النظـــم القرآنـــي ودلالاتـــــه
في سورة نوح عليه السلام

إعداد

د. محمود حسني عبد الوهاب إبراهيم

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم المساعد

كلية البنات الأزهرية بالمنيا الجديدة ـ جامعة الأزهر الشريف

Email: mahmoudhosny953@gmail.com

DOI: 10.21608/AAKJ.2023.235119.1545

تاريخ الاستلام: ٨/ ٩/ ٢٠٢٣م

تاريخ القبول: ٦/ ١٠ /٢٠٢٣م

ملخص:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ، فقد تناول البحث الدراسة البيانية لما ورد من مواضع استفهامية في هذه السورة وبيان أهمية الاستفهام وهذا من مميزات اللغة العربية حيث تتنوع أساليبها وصلاحيتها لمختلف العلوم، ولذلك فقد كرمها الله بأن جعلها لغة القرآن الكريم.

والاستفهام نوع من أنوع الإنشاء الطلبي وهو مبحث من مباحث علم المعاني وجاء على ضربين: ما هو ما يجري على المعنى الحقيقي، وهو ما يخرج عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر أو أكثر كالإنكار والتوبيخ والتعجب وغيره، والمعاني البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام ليس لها قواعد موضوعة مضبوطة منظمة يحتكم إليها، وإنما في إدراكها يعتمد على التذوق الأدبي الذاتي وعلى القرائن اللفظية والمعنوية التي تحيط بالاستفهام، ومن الطبيعي أن يختلف المفسرون في أذواقهم الأدبية وفي اكتناه ما يحيط بالاستفهام، حتى كانوا اختلفوا أحيانا فيما يدل عليه الاستفهام من معنى بلاغي.

والاستفهام بدوره مهم جدّا في نشأة العلم والأحكام الشرعية .وحين بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا طرحت الأسئلة الكثيرة عليه بالأشكال المختلفة التي تحتاج إلى الإجابة عنها، حتى نشأت منه العلوم المتنوعة في مجال عديد منها التوحيد والعقيدة والفقه والعبادة واللغة.

والأصل في أسلوب الاستفهام في كلام العرب أنه يستعمل للاستفهام عن أمر يجهله السائل، هذا من حيث الأصل، ولكن مما لا شك فيه فأنه بهذا المعنى - طلب العلم أو الفهم يستحيل في حق الله سبحانه وتعالى؛ لانه يعني جهله تعالى، وهذا محال عقلا ونقلا، لكن قد يستعمل الاستفهام على سبيل المجاز لا على سبيل الحقيقة، والسؤال هنا بلا شك لا يراد منه حقيقة الاستفهام، بل المراد منه لفت النظر لسابق التنبيه واللوم على الوقوع فيه رغم ذلك التحذير المتكرر، ويتجلى هذا النوع من الاستفهام في السياق القرآني بشكل واضح وأسلوب يتميز به القرآن ينبغي الانتباه له وفهم مقاصده بشكل تفصيلي لإدراك الرسالة القرآنية بهذا الخصوص.

وما جاء في القرآن على لفظ الاستفهام، فإنما يقع في خطاب اللَّه على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفى حاصل، وقد تستعمل صيغة الاستفهام في غيره مجازًا، وقد توسعت العرب فأخرت الاستفهام عن حقيقته لمعان، أو أشربته تلك المعانى.

وقد وردت أدوات الاستفهام في سورة آل عمران سبع مرات، وأغراضها تفوق عددها تبعاً لما تحمله الآيات من معانٍ، فقد تكرّرت الهمزة في السّورة أربع عشرة مرّة، ووردت "كيف" أربع مرّات، ووردت "أنّي" أربع مرّات، ووردت "أيّ" مرتين، ووردت "لِمَ" سبع مرّات، ووردت "مَن" ثلاث مرّات، وأخيراً وردت "هل" مرة واحدة.

ونلاحظ أن أسلوب الاستفهام أحد الأساليب البلاغية التي كان لها حضورا لافتاً في هذه السورة الكريمة، والذي بُني عليه الخطاب القرآني في نسيجه الفني والفكري، وسيتم كذلك دراسة أسلوب الاستفهام في السورة لا وفق أدوات الاستفهام أو حسب الأغراض البلاغية ؛ وإنما سيتم مرتباً وفق وروده في السورة؛ نظراً للعلاقة الوثيقة بين مجيء هذا الأسلوب وتدرج المضمون الفكري والحدث، وارتباط المعنى بتسلسل الأفكار وترتيبها في السورة؛ لكونه يشكل نسيجاً لغوياً متلاحماً، فالأفكار في العمل الفني تمضي مترابطة متشابكة في إيقاع فني متواصل؛ يرتفع وينخفض وفق الإيقاع الفني الذي يعزفه الخطاب القرآني المبدع.

Abstract:

All Praise is due to Allah, and prayers and peace be **upon** our **prophet** Mohammed, the Messenger of God, may God bless him and grant him peace. The research dealt with the graphic study of the interrogative positions mentioned in this surah and an explanation of the importance of the interrogative. This is one of the advantages of the Arabic language, as its methods are diverse and its suitability for various sciences. Therefore, God has honored it by making it the language of the Holy Qur'an.

The interrogative is a type of requesting construction, and it is one of the topics of semantics. It comes in two types: that which is based on the true meaning, and that which deviates from its true meaning into another or more meanings, such as denial, rebuke, exclamation, etc., and the rhetorical meanings to which the interrogative emerges do not have established rules. It is precise, organized, and reliable, but its perception depends on personal literary taste and on the verbal and moral clues that surround the question. It is natural for commentators to differ in their literary tastes and in the depth of what surrounds the question, to the point that they sometimes differed in the rhetorical meaning indicated by the question.

In turn, the interrogative is very important in the emergence of science and legal rulings. When God sent Muhammad, may God bless him and grant him peace, as a prophet and messenger, many questions were posed to him in different forms that needed to be answered, until various sciences emerged from him in many fields, including monotheism, doctrine, jurisprudence, worship, and language.

The origin of the interrogative style in Arab speech is that it is used to inquire about a matter that the questioner does not know, this is in principle, but there is no doubt that in this sense - seeking knowledge or understanding is impossible in the right of God Almighty; Because it means the Almighty's ignorance, and this is impossible in terms of reason and transmission, but the question may be used as a metaphor and not as a matter of fact, and the question here undoubtedly does not mean the truth of the question, but rather what is intended is to draw attention to the previous warning and blame him for falling into it despite that repeated warning, and this is evident. The type of questioning in the Qur'anic context in a clear manner and style that characterizes the Qur'an should be paid attention to and its purposes understood in detail in order to comprehend the Qur'anic message in this regard.

Whatever is mentioned in the Qur'an regarding the interrogative word, it occurs in God's speech in the sense that the addressee has knowledge of that affirmation or denial. The interrogative form may be used metaphorically elsewhere, and the Arabs expanded and delayed the interrogative from its real meaning, or imbibed it with those meanings.

Interrogative tools appear in Surah Al Imran seven times, and their purposes exceed their number depending on the meanings they carry in the verses. The hamza is repeated in the surah fourteen times, "how" appears four times, "Anni" appears four times, and "Ay" appears twice. "Why" appears seven times, "who" appears three times, and finally "is" occurs once.

We note that the interrogative style is one of the rhetorical styles that had a remarkable presence in this noble surah, and upon which the Qur'anic discourse was built in its artistic and intellectual fabric. The interrogative style in the surah will also be studied, not according to the interrogative tools or according to rhetorical purposes; Rather, it will be arranged according to its appearance in the Surah. Given the close relationship between the emergence of this style and the progression of the intellectual content and event, and the connection of the meaning to the sequence of ideas and their arrangement in the surah; Because it constitutes a cohesive linguistic fabric, the ideas in the artistic work proceed interconnected and intertwined in a continuous artistic rhythm. It rises and falls according to the artistic rhythm played by the creative Qur'anic discourse.

مقدمة:

إن الحمد لله، نحمدُه ونستغفره ونستعينه ونستهديه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهْدِه اللهُ فلا مضِلَّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، بعثه اللهُ رحمةً للعالمين هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصحَ الأمّةَ فجزاهُ اللهُ خيرَ ما جزى نبيًا من أنبيائه، صلواتُ اللهِ وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى صحابته وآل بيته وعلى من أحبهم إلى يوم الدين.

ثم أما بعد...

فالقرآن الكريم هو كتاب الله الخالد، صالح لكل زمان ومكان، ونصوصه تعطي توجيهاتها لكل بني الإنسان، ولأنّه خطاب للإنسان فإنّه يصوغه شخصيّة متكاملة، وينشئ مجتمعًا قرآنيًّا منشودًا، وهذه هي المهمة التربوية للقرآن، لكن الأعداء المتربصين بهذا القرآن في كل زمان حينما أدركوا عجزهم عن تحريف ألفاظ القرآن، وجّهوا كيدهم إلى معانيه، بهدف تحريفها وتفريغها من روحها، بحيث تبقى ألفاظًا لا حياة فيها، ففرّغوا الألفاظ من المعاني، ونجحوا إلى حدّ كبير في هذا، حيث سادت النظرة القاصرة هذه، وشاعت عند كثير من أبناء المسلمين، فحين يراه بعضهم مجرد كتاب مقدّس، يراه بعضهم الآخر مجردّ كلام فصيح، وهذا له من الخطورة ما لا يخفى، فنحن بحاجة إلى من يعيد النظر في فهم القرآن، وإدراك وظيفته ودوره في الحياة، فالقرآن ليس مجرد ألفاظ تتلى، وإنما هو حياة تسري في شتى مجالات الإنسانية.

والمؤمَّل في هذا البحث أن يسهم في هذه المهمة، حيث ينطلق من ملاحظة البعد الواقعي للآيات، وتحرير النصوص القرآنية من قيود الزمان والمكان، وإدراك المعاني والأبعاد التي جاءت بها الألفاظ القرآنية، فهو يركّز على الأثر الدلالي للألفاظ، ويسلّط الضوء على الأبعاد اللغوية والنفسية من خلال الخطاب القرآني الذي يشخّص الأحداث، ويصوّرها للقارئ أيمّا تصوير، فكل لفظة تعبّر عن مدلول نفسي.

إذ العناصر النفسية والعاطفية جزء لا يتجزأ من النظام اللغوي، فالقرآن يؤثر في نفوس مستمعيه، بحيث يستولى على القلوب، ويستقطب العقول، ويأسر الأسماع بحلاوة وعذوبة وقعه، ولا يمكن للباحث أن يصل إلى هذا أو يستقيم عليه، إلا إذا تدبر القرآن الكريم ووقف على هذه الوجوه.

وقد أشار القرآن الكريم إلى تأثر النفوس بالقول البليغ، حيث قال " وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا " النساء ٦٣ ونفهم من النص الكريم أن البلاغة إنما تكون أول ما تكون في القول الذي لقائله هدف منه، وأن هذا القول ينبغي أن يكون مؤثرًا في النفوس، يفتح أبوابها ويهز جوانبها(١).

ولأن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي أسراره، ولو كان مقصورًا على معنى ظاهره لما تنافس العلماء بالازدياد منه فالقرآن الكريم كلام الله المعجِز في ألفاظه وتراكيبه ونظمه ومضمونه، فلا يوجد أفصح وأدق من اللفظ القرآني، بحيث لو وضعت كلمةٌ مكان أخرى، ما كانت لتؤدّي ذات المعنى في التركيب القرآني، وقد أدرك العرب القدامى أهمية النظم القرآني، ودقّة الكلمات القرآنية في سياقها، ولذلك توجهت أنظار المفسرين واللغويين إلى السياق القرآني، لما للسياق من دور في الكشف عن المعاني المركزية والثانوية، والاجتماعية والنفسية والإيحائية.

فالبحث يقوم على تحليل مدلول الألفاظ القرآنية، واستحضار الغرض من سياقها، وتتبع أدوات البلاغة وأساليبها المختلفة، لإبراز الأغراض التي أدتها تلك الأدوات والأساليب، فالبحث يهدف لجعل العناصر البلاغية خادمة للمقاصد القرآنية، فالمعاني اللغوية هي اللبنات الأولى التي تشكل العمود الفقري للنظم القرآني وإبراز مقاصد الألفاظ.

ولقد أخذ حوار الأنبياء مع أقوامهم حيزًا كبيرًا من قصص القرآن، وكان لنبي الله نوح عليه السلام – الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا قصب السبق في

كثرة حواراته، ومجادلاته مع قومه، حتى قالوا له " يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا " هود: ٣٢ " ومع تعدد السور التي وردت فيها قصة سيدنا نوح مع قومه فقد جاءت الإشارة إلى قصته في ثمانية وعشرين سورة من القرآن الكريم، إلا أنه خُص بسورة مستقلة تحمل اسمه وتحكي موجز قصته عليه السلام، ومع أن سورة نوح عليه السلام لا تتجاوز ثمانية وعشرين آية إلا أنها قد حوت أنواعًا من المحادثات والحوارات، فقد تضمنت حوارًا بين نوح وربه سبحانه وتعالى، وحوارًا بين نوح وقومه، وحوارًا بين الكفرة من قومه، كما تعددت موضوعات تلك الحوارات، واستخدمت فيها أساليب مختلفة، وروعيت فيها ضوابط وآداب، وشملت دروسًا ووقفات.

ونوح عليه السلام هو أول الرسل، وهو أبو البشرية الثاني أو كما سماه بعض المفسرين آدم الثاني، وقد سماه الله من قبل " عبدًا شكورًا " وذكر في كتاب الله ثلاث وأربعين مرة، وقصته في القرآن هي الأكثر ذكراً بعد قصص موسى وإبراهيم عليهما السلام.

ومن هنا كان الإختيار لسورة نوح عليه السلام نموذجًا لأنها تجسد صورة من صور الجهد الثقيل والصبر الجميل والإصرار الكريم من قبل نبي الله نوح عليه السلام لهداية قومه رحمة بهم وعطفًا عليهم، فهو النبي الوحيد الذي ظل يدعو قومه للهداية تسعمائة وخمسون سنة ومع ذلك لم يتبعه إلا القليل، كما إن أحداث السورة وألفاظها جاءت في أسلوب بياني معجز يتبوأ من البلاغة ذروتها، بهدف إثبات الوحي والرسالة والدعوة إلى توحيد الله وعبادته وتثبيت عزيمة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

فكان هذا البحث عن سورة نوح – عليه السلام– يستنطق آياتها المباركة لمعرفة الأثار الدلالية للألفاظ القرآنية التي تفوح بها هذه السورة الكريمة بهدف الوقوف على وجوة إعجاز القرآن الكريم، فهو مشحون في كثير من سوره وآياته بالعواطف والانفعالات التي تثير في النفس الإنسانية عوامل الترقب والتأمل والاستجابة.

وقد قمت بدراسة الألفاظ والتراكيب، والفصل والوصل، والفاصلة، والتكرار بالسورة الكريمة؛ لإبراز دلالات النظم القرآني التي تكمن خلف الآيات، فجاء البحث في مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة.

تحت عنوان: "النظم القرآني ودلالاته في سورة نوح عليه السلام"

حدود البحث:

يتناول البحث الكشف عن الأثار الدلالية للألفاظ القرآنية في سورة نوح – عليه السلام– وذلك عن طريق تسليط الضوء على الأبعاد اللغوية للألفاظ القرآنية في السورة المباركة من خلال الوقوف على ألفاظ السورة الكريمة.

أهداف البحث

١– المشاركة في الكشف عن بعض مضامين إعجاز النظم القرآني.

٢– بيان بعض هدايات قصة سيدنا نوح عليه السلام من خلال دلالة النظم القرآني.

٣– الكشف عن بعض الوجوه المتعلقة بدلالة الألفاظ القرآنية وما تمتاز به.

أهمية الموضوع ودواعي الكتابة فيه:

تظهر علاقة اللغة العربية الوثيقة بالقرآن الكريم حيث إنه نزل بلسان عربي مبين ولا يستطيع أحد أن يفهم القرآن فهمًا دقيقًا إلا إذا تبحر في اللغة العربية وعلومها، فالبحث يمثل مظهرًا من مظاهر ربط الدراسات اللغوية بالدراسات القرآنية، للوقوف على الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، ومدى تأثيره في ذهن المتلقي، كما يشارك بضميمة أمثاله في بيان دقة التعبير القرآني وثرائه لغويًا، ويسهم في دراسة أحد أهم وجوه الإعجاز القرآني، ويكشف عن الكنوز والدرر الكامنة في السورة الكريمة والتعرف على الأسرار البلاغية واللطائف البيانية، وتسجيل بعض أسرار بلاغتها، ونكات التعبير فيها، ويظهر المواقف والمشاهد التي تحتاج إلى تحليل وتوجيه في السورة الكريمة ويبين السر

في قوة وثبات نوح عليه السلام في دعوته ووقوفه أمام قومه بكل صبر واستعلاء ودفع حججهم بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، فتوجه البحث إلى كتاب الله عز وجل للوقوف على آيات قصته عليه السلام في السورة وقفة متدبر لها متأمل في دقائق نظمها لتسجيل بعض أسرار بلاغتها، ونكات التعبير فيها من خلال السورة الكريمة.

ولأن نوحٌ عليه السلام هو أول الرسل الكرام إلى الأرض، وأحد الأنبياء العظام المذكورين في القرآن الكريم، ممّن أمرنا بالإيمان بهم، والاقتداء بهديهم، كما يُعد نموذجًا متميزًا في الدعوة إلى الله تعالى.

وكذلك كثرة المواقف والمشاهد التي تحتاج إلى تحليل وتوجيه، وكما أن نوحٌ عليه السلام أول من سلك في طريق الدعوة إلى الله مختلف الأساليب والوسائل الدعوية في الإقناع والتأثير، وهو أطول الأنبياء عمرًا في الدعوة، والمدّة الزمنية، والحصيلة الإيمانية لدعوته ما عرفتها البشرية من قبله ولا من بعده، وكذلك قدرة نوحٌ عليه السلام على دحض شبه قومه، ودفع حججهم وافتراءاتهم بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة.

خطة البحث ومنهجه.

ينتهج البحث بصورة عامة منهجًا استقرائيًا استنباطيًا من حيث تناول آيات السورة الكريمة، ودراسة الألفاظ وبيان الغرض من سياقها وإبراز الأثار الدلالية التي أدتها الألفاظ القرآنية، وتوضيح حركة المعنى في أساليب السورة من مطلعها حتى خاتمتها.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يتكون من مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث وخاتمة، يليها فهرس بالمصادر والمراجع.

أما المقدمة: فقد تضمنت ماهية الموضوع وأهميته، والباعث على الموضوع ودوافعه، وخطتي في معالجة قضاياه.

وأما التمهيد فعنوانه: أثر دلالة النظم في التعبير القرآني.

ثم كانت المباحث كالتالي:

- **المبحث الأول:** الجو العام في السورة.
- **المبحث الثاني:** الألفاظ والتراكيب وأثرها في دلالات النظم القرآني من خلال السورة.
- **المبحث الثالث:** الفاصلة القرآنية وأثرها في دلالات النظم القرآني من خلال السورة.
- **المبحث الرابع:** الفصل والوصل وأثره في دراسة دلالة النظم القرآني من خلال السورة.
- **المبحث الخامس:** التكرار وأثره في دلالة دراسة النظم القرآني من خلال السورة.

ثم كانت الخاتمة التي ضمنتها أهم النتائج التي تمخضت عنها الدراسة، ثم فهرس بكافة المصادر والمراجع التي اقتضاها البحث.

التمهيد: أثر دلالة النظم في التعبير القرآني

القرآن الكريم وما يحمله بين ظهراني آياته البينات من مواعظ وعبر عن الأمم البائدة السالفة على مر العصور والأزمان يبقى نبراسًا وسراجًا منيرا لعقولنا يفتق آذهاننا ويشنف آذاننا نحو الطريق الصواب الذي سار على نهجه واستن على سنته السديدة السلف الصالح وأنبياء الله عليهم السلام أجمعين.

فالوحي المعجز المنزل بالتواتر المبدوء بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس على رسولنا صلى الله عليه وسلم يمثل إشعاع نور لأبصارنا وبصائرنا لمزيد من التفكير والتدبير المطلق في قرار آياته البينات تزرع فينا وازع التصديق والإيمان الخالص المطلق بمدبر هذا الوجود ومنشئ هذا الكون الذي أبدع فيه أيما ابداع، العالم الأوحد بشؤون خلقه وأسرار وخفايا هذا الكون سبحانه جل وعلا، ومن خلال البحث نغوص بعض الشيء في قرار هذا الإعجاز المنزل وما يشمله من أسرار وجمال وسحر بيان فيظهر أثر دلاله النظم القرآني، وبمجرد الإنصات بتدبير وخشوع وتأمل لآياته والتفكر

في معانيه ودلالاته نجد السكون والراحة النفسية قد استحوذت على نفوسنا بشيء عجيب تقف الجوارح إزاء هذا الإعجاز مشدوهة بقوة بلاغته وكمال بيانه الدال على أنه صادر من عند قوة وقدرة خفية لا تضاهيها قدرة أخرى، ناهيك عن قوة الإقناع وجزالة الأدلة العقلية، وسبل الإقناع والإبداع والامتاع، فحين ننصت خاشعين متدبرين لصيغه البلاغية القوية نجد علامات الاطمئنان والشعور بالراحة والأمن تغمرنا من كل صوب وحدب عند الحديث عن ذلك الإعجاز وما أحداثه في نفوس أشد الناس عداوة وعنادًا للإسلام تجد أن الكثيرين من أولئك قد انجذبوا لإعجازه وقوة تأثيره في أذهانهم مع الإقتناع التام والمطلق أنه ليس بكلام بشر بل من عند الله جل وعلا فما لبثوا الإ وعلامات الإيمان تنير قلوبهم ويومنوا بأنه وحي منزل من السماء حتى إن سادة قريش أمروا عبيدهم ونسائهم وصبيانهم وشيوخهم بعدم الإنصات له والتصامم عنه خشية تأثيره في الغالبية العظمى منهم على أنه سحر يفرق بين الابن وأبيه وبين الزوج وزوجته وبين السيد ومسوده ومع هذا دخل في الإسلام أفواجُ لا تحصى ولا تعد.

أثر دلالة النظم على المعنى في السورة الكريمة

إن المراقب لحركة المعنى في السورة كمن يراقب مسرى النفس في النفس، وكمن يحاول إبصار الماء في شجرة تتشابك أغصانها وتتشعب جذورها، وكلاهما غيب، إلا أن الأغصان والأوراق والجذور تهدى إلى حركة الماء، وكذلك الجوارح تهدى إلى حركة النفس(٢).

وبعدُ فأنت تعرف أن أفصح الكلام وأبلغه وأسراه وأجمعه لحرِّ اللفظ ونادر المعنى، وأخلقَه أن يكون منه الأسلوب الذي يحسمُ مادة الطبع في معارضته، هو ذلك الذي تريده كلامًا فتراه نفسًا حية، كأنها تُلقي عليك ما تقرؤه ممزوجًا بنبرات مختلفة وأصوات تدخل على نفسك – إن كنت بصيرًا بالصناعة متقدمًا فيها – كل مدخل، ولا تدع فيها إحساسًا إلا أثارته، ولا إعجابًا إلا استخرجته، فلا يعدو الكلام أن يكون وجهًا من الخطاب بين نفسك ونفس كاتبه، وتقرؤه وكأنك تسمعه، ثم لا يَلجُ إلى فؤادك حتى

تصير كأنك أنت المتكلم به، وكأنه معنى في نفسك ما يبرحُ مختلجًا ولا ينفك ماثِلًا من قديم؛ مع أنك لم تعرفه إلا ساعتك، ولم تجهد فيه ولا أعتملت له.

وذلك بما جَوَّده صاحبه، وبما نفث من روحه، وما بالغ في تصفيته وتهذيبه، وما اتسع في تأليفه وتركيبه، حتى خرج مطبوعًا من أثر مزاجه وأثر نفسه جميعًا فكأنه مادة روحية منه [٣].

فالألفاظ هي المعبر بها عن المعاني التي في النفوس والمعاني التي في النفوس هي الأمور المعبر عنها بتلك الألفاظ، وهذه هي علاقة اللفظ بالمعنى[٤].

وأعلم أن القرآن إنما صار معجزًا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف متضمنًا أصح المعاني فالمعاني التي تحملها الألفاظ الأمر في معاناتها أشد؛ لأنها نتائج العقول وولائد الأفهام، وبنات الأفكار، وأما رسوم النّظم فالحاجة إلى الثقافة والحذف فيها أكثر لأنها لجام الألفاظ، وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض، فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان" [٥].

يقول الامام الزركشى: وقد سبق لنا في باب الإعجاز أن إعجاز القرآن لاشتماله على تفرد الألفاظ التي يتركب منها الكلام مع ما تضمنه من المعاني مع ملاءمته التي هي نظوم تأليفه ... فالمعاني التي تحتملها الألفاظ فالأمر في معاناتها أشد لأنها نتائج العقول[٦].

وتعد الدراسة النفسية من أهم الدراسات التي تنشأ عن الاتصال اللغوي، حيث تنعكس المعاني الذاتية النفسية بصورة واضحة قوية تجاه الألفاظ والمفاهيم المتباينة "[٧].

وقد عد العلامه الرافعي مراعاة القرآن الكريم لهذا الجانب وجهًا من وجوه إعجازه فقال " والقرآنُ وإن كان لم يخرج عن أعلى طبقات اللغة، ولا برز عن وجوه العادة في تصريفها، غير أنه أتى بذلك من وراء النفس لا من وراء اللسان، فجعل من نظمه

طريقة نفسية في الطريقة اللسانية، وأدار المعاني على سنن ووجوه تجعل الألفاظ كأنها مذهب هذه المعاني في النفس، فليس إلا أن تقرأ الآية على العربي أو من هو في حكمه لغة وبلاغة، حتى تذهب في نفسه مذهبها: لا تَني ولا تتخلف، على حينِ أن أكثر المعاني الإنسانية يجيء من النقص في السياسة البيانية، بحيث ترى نفس السامع أو القارئ هي التي تذهب فيه فتأخذُ إلى جهة وتعدل على جهة، وتصعد في ناحية وتستبطِنُ في ناحية أخرى، ولا يكون من شأنها أن تنقادَ وتذعنَ، ولكن أن تكابر وتأبى أو تتصفح وتستدرك أو تستحسن وتزدري؛ لأن المعنى قد ألقي إليها في ألفاظ تقصر بحقيقته النفسية في تركيبها ونظمها أو تضعف هذه الحقيقة، أو تلبسها بغيرها، أو تهمل تصورها لونًا من الألوان، أو تجيء بها على الشبه والمحاكاة مما لا يبلغ الحقَّ في تصورها والتنبيه عليها.... وهذا فصلُ ما بين الكلام المعجز الذي يؤخذ من وراء النفس، وبين غيره مما يكون بعضه من النفس وبعضُه من اللسان، وعندنا أنه لا يمكن أن يتجه للباحث طريقُ الإعجاز المطلق أو يستقيم عليه، إلا إذا تدبر القرآن على تلك الوجوه التي أشرنا إليها؛ وقلب ألفاظه ومعانيه، وعرف من أين تلوى عُروة اللفظ " [٨].

فقد تثير لفظة ما معنى نفسيًّا عند فرد، لا يشترك فرد آخر معه في هذا المعنى، فان لفظة كـ (الحرية) تثير للعبد أو الأسير دلالات على التحسر والحزن، والظلم، لا تثيرها هذه اللفظة لسيده، أو لآسره" [٩].

ومن هنا اتفق العلماء على أن " لا يتصور أن تعرف للفظ موضعًا من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخى الترتيب في الألفاظ – من حيث هي ألفاظ – ترتيبًا ونظمًا دون أن تتوخى الترتيب في المعاني. وتعمل الفكر هناك. فإذا تم لك ذاك أتبعتها الألفاظ، وقفوت بها آثارها، وإنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرًا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني. وتابعة لها، ولاحقة بها.. وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق" [١٠].

فالألفاظ تقع في السمع فكلما اختلفت كانت أحلى، والمعاني تقع في النفس فكلما اتفقت كانت أحلى... فخير الكلام – على هذا التصفح والتحصيل – ما أيده العقل بالحقيقة، وساعده اللفظ بالرقة، وكان له سهولة في السمع، ووقع في النفس، وعذوبة في القلب، وروح في الصدر؟ يجمع لك بين الصحة والبهجة والتمام [١١].

ولذلك يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: أن عملية النظم الذي يتواصفه البلغاء، وتتفاضل مراتب البلاغة من أجله، إنما هي في ترتيب الألفاظ في النطق على حسب ترتيب المعاني في النفس، ولابد أن نعلم أن مدار تفضيل بعض القائلين على بعض، من حيث نطقوا وتكلموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، ورامو أن يعلموهم ما في نفوسهم؛ ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم[١٢].

وهذا كله دلالة على " أن الألفاظ خدم للمعاني وتابعة لها، ولاحقة بها " [١٣].

فدراسة الحالة النفسية تضيف إلى اللغة جانبًا مهمًا وفاعلا من جوانب فاعليتها وأثرها، وتظهر من جهة أخرى مكمنًا من مكامن عبقرية اللغة وحسن سياسة المعنى فيها [١٤].

ولذلك ربط العلماء بين الألفاظ وما تتضمنه من دلالات نفسية عند الفرد[١٥].

كل هذا يجعلنا نوكد على أهمية مراعاة هذا الجانب عند النظر في القرآن الكريم، فألفاظه وآياته مشحونة بدلالات لغوية وهذا هو المراد البحث عنه، من خلال الدراسة اللغوية لسورة نوح عليه السلام.

المبحث الأول ـ الجو العام للسورة الكريمة

وهذه السورة الكريمة جاءت تقص على النبي صلّى الله عليه وسلّم قصة نوح مع قومه في بعض المواقف الخاصة التي تدور حول دعاء نوح لهم وكيف وقفوا منه، ليتأسى النبي صلّى الله عليه وسلّم بما حصل لنوح، ولا يأسى من قومه، وليعتبر أهل مكة بما حصل لغيرهم(١٦).

وسورة نوح عليه السلام إحدى سور القرآن التي تقع في الجزء التاسع والعشرين منه، وهي السورة الحادية والسبعين، وتقع متوسطة بين سورتي المعارج والجن.

والمتأمل في السورة الكريمة يظهر جليا في مقطعها الأول براعة الاستهلال، ما تنطق بجلال الألوهية حيث الخالق الأعظم وقد أرسل نوحًا عليه السلام نذيرًا بالعذاب لقومه، فهذه علامة تدل على جلال ألوهيته سبحانه وتعالى، ثم يأتى جمال الربوبية في لمسة أخري وكان اليأس عن الله قد وقع لهم(١٧)، فقال لهم نوح عليه السلام – على سبيل التلطف في النصح، والتقرب إلى قلوبهم– يا قوم ويا أهلى وعشيرتي ... ثم بين لهم ما يترتب على إخلاص عبادتهم لله، وخشيتهم منه– سبحانه–، وطاعتهم لنبيهم فقال: " يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ، وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى" (١٨).

وكل معنى قرآنى في أي سورة من سور القرآن، بل في أي آية من آياته قائم من أمرين رئيسين لا يفترقان أبدا وهما جلال الألوهية وجمال الربوبية؛ فأما الأول فإنه يقيم المتلقى في مقام العبودية الراهبة المخبتة القانتة، والآخر يقيم العبد في مقام الرجاء واليقين بواسع مغفرته ورحمته(١٩).

والسورة الكريمة موضوع البحث مكية، وآيها ثمان وعشرون آية، وحروفها: تسع مئة وتسعة وعشرون حرفًا، وكلمها: مئتان وأربع وعشرون كلمة، وسميت به لاشتمالها على تفاصيل دعوته وأدعيته(٢٠).

يقول صاحب التحرير والتنوير: هي مكية بالاتفاق، وقد عدت الثالثة والسبعين في ترتيب نزول السور، نزلت بعد نزول أربعين آية من سورة النحل وقبل سورة الطور، وعد العادون بالمدينة ومكة آيها ثلاثين آية، وعدها أهل البصرة والشام تسعا وعشرين آية، وعدها أهل الكوفة ثمانا وعشرين آية، ولعل من أعظم مقاصدها ضرب المثل للمشركين بقوم نوح وهم أول المشركين الذين سلط عليهم عقاب في الدنيا وهو أعظم عقاب أعني الطوفان، وفي ذلك تمثيل لحال النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه بحالهم(٢١).

وجه اتصالها بما قبلها: والسورةالكريمة تعد امتدادا لما قبلها فهي تعالج نفس موضوعها ولكن بطريقة تختلف عن سابقتها، وتؤسس لمعنى سيأتى في لاحقتها، أما كونها تعد امتدادا لسابقتها وهي سورة " سأل " فإنه سبحانه لما ختم " سأل " بالإنذار للكفار بعذاب الدنيا والآخرة، وكانوا عباد أوثان، أتبعها بأعظم عذاب كان في الدنيا في تكذيب الرسل بقصة نوح عليه السلام، وكان قومه عباد أوثان وكانوا يستهزئون به وكانوا أشد تمردًا من قريش وأجلف وأقوى وأكثر، فلم ينفعهم شيء من ذلك عند نزول البلاء وبروك النقمة عليهم وإتيان العذاب إليهم(٢٢).

يقول ابو حيان: لما أَقْسَمَ تَعَالَى عَلَى أَنْ يُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ، وَكَانُوا قَدْ سَخِرُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَكَذَّبُوا بِمَا وُعِدُوا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، ذَكَرَ قِصَّةَ نُوحٍ وَقَوْمِهِ مَعَهُ، وَكَانُوا أَشَدَّ تَمَرُّدًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ أَخْذَ اسْتِئْصَالٍ حَتَّى أَنَّهُ لَمْ يُبْقِ لَهُمْ نَسْلًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَكَانُوا عُبَّادَ أَصْنَامٍ كَمُشْرِكِي مَكَّةَ، فَحَذَّرَ تَعَالَى قُرَيْشًا أَنْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ يَسْتَأْصِلُهُمْ إن لم يؤمنوا (٢٣).

ولما قال تعالى " إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ " سورة المعارج ــ ٤١، عقبه بقصة قوم نوح عليه السلام المشتملة على إغراقهم عن آخرهم بحيث لم يبق منهم في الأرض ديار، وبدل خيرا منهم، فوقعت موقع الاستدلال والاستظهار لتلك الدعوى كما وقعت قصة أصحاب الجنة في سورة " ن " موقع الاستظهار لما ختم به سورة " تبارك"،

هذا مع تواخي مطلع السورتين في ذلك العذاب الموعد به الكافرون ووجه الاتصال على قول من زعم أن السائل هو نوح عليه السلام ظاهر وفي بعض الآثار ما يدل على أن النبي صلّى الله عليه وسلم يقرؤها على قوم نوح عليه السلام يوم القيامة(٢٤).

يقول برهان الدين البقاعي: لما أمر الله تعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصبر على قومه في سورة المعارج بقوله " فاصبر صبرًا جميلًا " المعارج: ٥ "، وجليل الإغضاء بقوله " فذرهم يخوضوا ويلعبوا " المعارج: ٤٢ "، أتبع ذلك بقصة نوح عليه السلام وتكرر دعائه قومه إلى الإيمان، وخص من خبره حاله في طول مدة التذكار والدعاء لأنه المقصود في الموضع تسلية لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليتأسى به في الصبر والرفق والدعاء، فقد دام دعاء نوح عليه السلام مع قومه أدوم من مدتك، ومع ذلك فلم يزدهم إلا فرارًا " قال رب إني دعوت قومي ليلًا ونهارًا فلم يزدهم دعائي إلا فرارًا وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارًا " ثم مضت آي السورة على هذا المنهج من تجديد الإخبار بطول مكابدته عليه السلام وتكرير دعائه، فلم يزدهم ذلك إلا بعدًا وتصميمًا على كفرهم حتى أخذهم الله، وأجاب فيهم دعاء نبيه نوح عليه السلام " رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا "، وذلك ليأسه من فلاحهم، وانجر في هذا حض نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الصبر.

وجه اتصالها بما بعدها: لما كان نوح عليه الصلاة والسلام أول رسول أرسله الله تعالى إلى المخالفين من أهل الأرض، وكان قومه عباد أوثان، وعصوه أشد العصيان مع أنه كان منهم نسبًا ولسانًا، وختمت سورته بدعائه عليهم، وكان نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النبيين، فهو آخر رسول بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض وغيرهم من جميع الخلق، وكان قومه العرب قد وافقوا قوم نوح عليه السلام في أكثر أحوالهم عبادة الأوثان حتى تلك الأوثان إما بأساميها أو بأعيانها على ما ورد في الأخبار، وفي عصيان رسولهم واستضعاف أتباعه واستهزائهم ابتدئت، هذه بما كان من سهولة من سمع هذه الدعوة الخاتمة الجامعة من غير الجنس فضلًا عن الموافقين في الجنس مع قصر

الزمان وضعف الأعوان لجلالة هذا القرآن، فقال منبهًا له بالأمر على ما في هذا من عظيم القدر، مع الإشارة إلى تبكيت العرب على التباطؤ عن الإجابة إلى ما يعرفون من رشده بمعناه ونظمه، لكونه بلسانهم وكونهم من نوع الداعي وقبيله وأقرب الناس إليه(٢٥).

مقاصد السورة الكريمة: يقول الامام المراغي اشتملت هذه السورة على مقصدين:

١ـ دعوة نوح قومه إلى الإيمان وقد حوت:

(أ) طلب تركهم للذنوب، وأنهم إذا فعلوا ذلك أكثر الله لهم المال والبنين.

(ب) النظر في خلق السماوات والأرض والأنهار والبحار.

(ح) النظر في خلق الإنسان وأنه بخلق في الأرض كما يخلق النبات، وأن الأرض مسخرة له يتصرف فيها كما يشاء.

٢ـ كفر قومه وعقابهم في الدنيا والآخرة (٢٦).

يقول الإمام مقاتل بن سليمان: معظم مقصود السورة أمر نوح بالدعوة، وشكاية نوح من قومه، وبيان أن الاستغفار يزيد النعمة، وتحويل حال وإظهار العجائب على سقف السماء، وظهور دلائل القدرة على بساط الأرض، وغرق قوم نوح، ودعاؤه عليهم بالهلاك، والمؤمنين بالرحمة، وللظالمين بالنار والخسارة في قوله: ".. وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا " (٢٧).

ومن مقاصدها أيضًا صبر الدعاة وجهادهم في الدعوة، من خلال قصة نوح، تثبيتًا للمؤمنين، وتهديدًا للمكذبين(٢٨).

أرسل الله نوحا عليه السلام ليدعو قومه إلى عبادة الله وطاعته، وقد بلّغ نوح دعوة ربه إلى قومه، ولخّص دعوته في ثلاث كلمات: اعبدوا الله وحده، واتقوه وآمنوا به عن يقين، وأطيعوا رسولكم فيما يأمركم به ونهاكم عنه وبهذا الإيمان تستحقون مغفرة الله

لكم، والبركة في أعماركم، ولا شك أن للطاعات مدخلا في راحة البال، واستقرار العيش، وهدوء النفس، وهذا بلا ريب يطيل العمر ويجعله مباركا حافلا بالأعمال النافعة.

والسورة تفيض ببيان دلالات النظم القرآني، وفيها تفصيل لكثير من دعوة نوح–عليه السلام– لقومه إلى توحيد الله ونبذ عبادة الأصنام وإنذارهه لهم بعذاب أليم، واستدلاله لهم ببدائع صنع الله – تعالى – وتذكيرهم بيوم البعث، وتُظهر صورة من صور الرحمة الربانية والعناية الإلهية، حيث تُبين فضل المولي على البشرية في عدم التعجيل في إنزال العذاب، رغم علمه سبحانه وتعالى المسبق بطغيانهم وعنادهم، وذلك لحكمة إلهية، ففي إمهال المشركين أمل في رجوع الظالم عن ظلمه، والطاغية عن طغيانه، وفيه أيضًا أن الله تعالى يملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته، وفيه استدراج للعصاة والجبارين والمعاندين وإقامة الحجة عليهم، حتى لا يكون لهم حجة يوم القيامة، وهي مع كل ذلك لا تخلو من الأمل لما فيها من تبشير المطيعين بسعة الأرزاق وإكثار النسل ونعيم الجنة.

والسورة الكريمة تضمنت لوحة مشرقة يهتدي بضوئيا الهداة الدعاة إلى الله عز وجل، فهي تمثل عرض حال قدمه نوح عليه السلام لربه عز وجل، وهو خلَاصة دعوة دامت قرابة تسعمائة وخمسين سنة، ولنصغ إلى نوح عليه السلام وهو يشكوا إلى ربه ويعرض عليه ما قام به من دعوة إليه " رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيلًا ونهارًا " وهم أهل الْأرض كلهم يومئذ، وتكشف أيضًا عن صورة من صور العناد البشري حيث إصرار قوم نوح على عصيانه، وعلى تصلبهم في شركهم، ورفضهم دعوة نوح – عليه السلام– إلى توحيد الله رغم استدلاله لهم ببدائع خلق الله.

كما تكشف أيضًا صورة من الجهد المضنى الذي قام به نوح – عليه السلام– في سبيل الدعوة إلى الله، واستمراره في دعوة قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، قال تعالى " فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا " العَنكَبوت: ٤٠، وكذلك تبرز صبره عليه السلام ومثابرته وإصراره على ذلك، بمخاطبة عقولهم ودعوتهم للتأمل والتدبر، والحوار

الهادئ رغم إعراضهم واستهزائهم به، فهي تبرز أن معركة النبي نوح عليه السلام مع قومه معركة المقارعة باللسان وبالبرهان.

ثم هي بعد ذلك تظهر العناء والمشقة التي لقيها نوح عليه السلام مع قومه وفي هذا تثبيت قلب النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– في دعوته قومه إلى توحيد الله، وتحمله ما لا يطاق شأنه في ذلك شأن أسلافه من الأنبياء والمرسلين.

كل هذه المساقات اللغوية والانفعالات الوجدانية ساقها القرآن في أسلوب قصصي تدور أحداثها حول سيدنا نوح – عليه السلام – وقومه من بداية السورة إلى نهايتها.

ويلاحظ أن سرد قصة نوح مع قومه في السورة الكريمة يتناسب مع نفس سيدنا نوح الرقراقة وفطرته السليمة الحانية ويظهر هذا جليًا من موقفه عليه السلام حينما أوشك ابنه على الغرق وهنا تحركت عاطفة الأبوة الفطرية في نفس نوح، والفطرة السليمة تتحرك فيها العواطف الإنسانية، فنادى على ابنه خشية الغرق، وقد عزل نفسه عن أبيه الداعي إلى الحق(٢٩).

كذلك لوحظ في سرد قصة نوح –عليه السلام– في هذه السورة سرد بعض الأحداث التي تنسجم مع الواقع النفسي وليس كل أحداث القصة(٣٠)، حيث ورد في سورة هود قصة الطوفان بمزيد تفصيل ولم تتعرض سورة نوح لذلك، كما وجدنا فيها التركيز في بعض الأحيان على الجانب الفكري، وذلك عند دعوته قومه للتأمل والتفكر في الكون، وفي خلق الإنسان، وهذا لا شك يتناسب مع السياق الزمني لمراحل الدعوة التي كان يمر بها النبي – صلى الله عليه وسلم.

كما أن ورود القصة في الفترة المكية التي نزلت فيها السورة ينسجم مع نفسية الرسول – صلى الله عليه وسلم – من جهة، ثم نفسية أتباع الرسول من جهة أخرى، ثم نفسية المشركين من جهة ثالثة(٣١).

أما من جهة الرسول – صلى الله عليه وسلم – فكان يدعو قومه إلى دين جديد، وقد لاقى صدودًا وإعراضًا من المشركين وقد كان في حاجة تسّري عنه، فساق الله له قصة نوح ليثبت فؤاده، قال تعالى " وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ " هود: ١٢٠ "، ويجدد عزيمته في الدعوة؛ لمواجهة عناد المشركين وآذاهم.

وأما من جهة أتباع النبي – صلى الله عليه وسلم – فالقصة تنسجم مع الواقع النفسي للمؤمنين؛ إذ هم في حاجة إلى تثبيت قلوبهم على الحق والتسرية عنهم بذكر نماذج من قصص السابقين الذين قاسوا مثلهم، وهذا يتلاءم مع السياق الزمني للسورة والفترة المكية، تلك الفترة التي واجه فيها المسلمون التعذيب والاضطهاد من المشركين قبل الهجرة إلى المدينة، ووجه مناسبتها للمشركين ما فيها من الترهيب لهم، والتحذير بذكر مصير قوم نوح وقد كانوا يشبهونهم في عبادة الأصنام.

وتختتم السورة بدعوة نوح على قومه بالاستئصال، وهي وإن كان في ظاهرها قسوة إلا أن في باطنها الرحمة بالمؤمنين والشفقة عليهم، وخوف نوح عليه السلام من أن يضلوا المؤمنين، ثم دعاء نوح بالمغفرة له وللمؤمنين، وبالتبار للكافرين كلهم.

يقول صاحب التفسير المنير: وختمت السورة ببيان كفر قومه وإصرارهم على عبادة الأصنام، وعقابهم في الدنيا والآخرة، ودعاء نوح عليه السلام على قومه بالهلاك والدمار بعد جهاد طويل في الدعوة دام تسع مائة وخمسين سنة، دون أن يقلعوا عن الشرك، ولم ينتفعوا بالإنذار والتذكير[٣٢].

لقد أهلك الله قوم نوح، وأهلك من بعدهم عددًا كبيرًا كعاد وثمود وفرعون، وكان هلاكهم جزاء عادلا وعقابا مناسبا لقوم يعلم الله إصرارهم على الكفر وبعدهم عن قبول الحق.

المبحث الثاني ـ الألفاظ والتراكيب وأثرها في دلالات النظم القرآني من خلال السورة.

بدأت السورة الكريمة بدقة بالغة في اختيار الألفاظ التي صورت وقربت للذهن هذه الأحداث وكذلك أتت بعنصر التشويق لإثارة النفس لمعرفة تفاصيل الأحداث بعد ذلك(٣٣)، فقد أُفتتحت السورة الكريمة بالتوكيد بقوله تعالى " إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ "؛ " إِنَّا " أي بما لنا من العظمة الباهرة البالغة، " قَوْمِهِ " أي الذين كانوا في غاية القوة على القيام بما يحاولونه وهم بصدد أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه ويكرموه لما بينهم من القرب بالنسب واللسان، وكانوا جميع أهل الأرض من الآدميين(٣٤)، وجئ " بإن " في ابتداء الكلام لإظهار الاهتمام وتقييد إرساله إلى قومه يدل على أنه عليه السلام لم يكن مبعوثا إلى الناس كافة، وفي ذلك مراعاة لطبيعة النفس البشرية إذ ليس المقام لرد إنكار منكر ولا دفع شك عن متردد في هذا الكلام كما أنه دل على أن نوح أنذر قومه، وبالغ في إنذارهم، فلم يستمعوا له، ولم يقبلوا منه قولا.. فلما يئس منهم لجأ إلى ربه شاكيا(٣٥).

ونلاحظ أن لفظ الإرسال ومشتقاته ورد في الآيات المكية ثلاثمائة وخمسًا وسبعين وفي الآيات المدنية خمسًا وتسعين ويلاحظ من السياق المكي أن الإرسال ومشتقاته أكثر ما ورد في القصص القرآني التي كانت تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وموعظة له في الإقتداء بإخوانه الأنبياء، وأصحاب الرسالات(٣٦).

فنجد الحكمة في استخدام القرآن الكريم للفظ الإرسال دون الإفاد أو البعث لأن الإرسال لا يكون إلا برسالة وما يجري مجراها.(٣٧)، ولأن في الإرسال معنى القول دون حروفه(٣٨).

يقول صاحب روح البيان: أرسله الى قومه بالإنذار فلما عصوه أخذهم بالقهر مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ من الله تعالى عَذابٌ أَلِيمٌ عاجل كالطوفان والغرق، أو آجل كعذاب الآخرة لئلا يبقى لهم عذرًا أصلا كما قال تعالى " لئلا يكون للناس على الله حجة بعد

الرسل" سورة النساء١٦٥ والأليم بمعنى المؤلم أو المتألم مبالغة والألم جسماني وروحاني والثاني أشد كأنه قيل: فما فعل نوح عليه السلام فقيل: قالَ لهم يا قومي فخاطبهم بإظهار الشفقة عليهم وارادة الخير لهم وتطبيبا لهم " إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ " منذر من عاقبة الكفر والمعاصي، وأفرد الإنذار مع كونه بشيرًا أيضا لأن الإنذار أقوى في تأثير الدعوة لما أن اكثر الناس يطيعون أولا بالخوف من القهر وثانيا بالطمع في العطاء وأقلهم يطيعون بالمحبة للكمال والجمال(٣٩).

وأصل الإنذار الإعلام بموضع المخافة ليتقى، لا أنك مثبت للإيمان في الصدور، ونوح عليه السلام قد أنذر قومه بموضع المخافة وهي عبادة غير الله وانتهاك محارمه، فأنذرهم فلم ير مجيبًا وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه فيقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون (٤٠).

فقد يكرر القرآن الجملة المؤكدة عدة مرات بألفاظها نفسها، عِلمًا منه بما لذلك من أثر في النفس فقوله " إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ " وهي وإن كانت مقولة على ألسنة عدة رسل توحي لتكرارها بعبارة واحدة بصدق هؤلاء الرسل، وتثبيت التصديق بهم، فمضمونها بيان غرض مجيء نوح عليه السلام وهو الإنذار والتوضيح لحقيقة الدعوة التي جاء من أجلها، وكأنه قيل فما فعل عليه الصلاة والسلام بعد هذا الإرسال فقيل: قال لهم يا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌن ومنذر وموضح لحقيقة الأمر، واللام في " لَكُمْ " للتقوية أو للتعليل أي لأجل نفعكم من غير أن أسألكم أجرًا(٤١).

وقد تكرر نداء نوح عليه السلام لقومه بكثرة في آيات قصة سيدنا نوح عليه السلام لغرض التلطف بهم والإستدراج لهم، ومن فوائده أيضًا زيادة التنبيه، وتأكيد المعنى، وتعزيزه في النفس، والحث على التذكر والتدبر، بالإضافة إلى التفخيم والتعظيم والإستعطاف والمبالغة في استحقاق العذاب، فنلاحظ كثرَة ظاهرَة في أساليب النداء وصيغ الخطاب الموجه من نوح إلى ربه تحزنًا أو تفجعًا أو لغرض الشكاية وطلب النصر أو من نوح إلى قومه أمرًا لهم أو نهيًا أو تلطفًا أو تحننًا أو تهديدًا، ولهذا دلالته

البلاغية، ففيه استحضار للمخاطبين من قومه، وتهدئة من روعهم تارة وتقريعهم وتخويفهم تارة أخرى فيقع ذلك في نفوسهم موقعًا مؤثرًا أملًا في عدولهم عن كفرهم، والسير على نهج التوحيد، وهذا أسلوب دعوي، عالٍ في الخلق، قمة في الأدب، عظيم التأثير؟[٤٢].

ولا بد أن تعرف أن الكلام إذا علا في نفسه كان له من الوقع في القلوب، والتمكن في النفوس ما يذهل ويبهج، ويقلق ويؤنس، ويطمع ويؤيس، ويضحك ويبكي، ويحزن ويفرح، ويسكّن ويزعج، ويشجى ويطرب، ويهزّ الأعطاف، ويستميل نحوه الأسماع، ويورث الأريحية والعزّة، وقد يبعث على بذل المهج والأموال شجاعة وجودا، ويرمى السامع من وراء رأيه مرمى بعيدا، وله مسالك في النفوس لطيفة، ومداخل إلى القلوب دقيقة[٤٣].

وقوله تعالى " قالَ يا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ " بعد الأمر الذي أمر به من ربه، دون توان أو تردد– في هذا ما يشير أيضا إلى أن الأمر يقتضي المبادرة بإنذار القوم، قبل أن تقع بهم الواقعة التي هي وشيكة الوقوع!، وفى كلمات قليلة، ألقى نوح إلى القوم بهذا الإنذار " إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ " إنه لا وقت للحديث والنار تشتمل على القوم، وتكاد تعلق بهم.. إنها كلمة واحدة أن اطلبوا وجها للنجاة من هذا البلاء!!، ثم يقدم إليهم نوح بعد هذا التنبيه إلى الخطر، مركب النجاة، الذي إن أسرعوا إليه، ودخلوا فيه، سلموا من الخطر المحدق بهم.. وهو الإيمان بالله، والاستقامة على طريق تقواه " أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ " فإنهم إن آمنوا بالله وعبدوه، واتقوا حرماته يدفع عنهم يد الهلاك المطلة عليهم، ويؤخرهم إلى الأجل المسمى لهم، حتى يستوفوا أعمارهم، فلا يبادرهم العذاب وهم على طريق الحياة [٤٤].

وقدم قوله " نَذِير " الدالة على المبالغة في النذارة على " مُبِينٌ " لتهديدهم وردعهم، ومعنى " مُبِينٌ " أي أمر بيّن وواضح في نفسه بحيث أنه صار من شدة وضوحه كأنه مُظهر لما يتضمنه[٤٥].

فمجيء قوله " قالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ " دون عطفها على ما قبلها يشعر النفس بمبادرة نوح – عليه السلام – لإنذار قومه بمجرد أن جاءه الوحي من الله بأن ينذر قومه، بالإضافة إلى أن افتتاح دعوة قومه بالنداء؛ إنما كان لطلب إقبال أذهانهم، كما أن في ندائه لهم بلفظ " قوم " يشير إلى مراعاة نوح – عليه السلام إلى ما تنضوي عليه نفوس المتلقين من الإغترار والكبر والعناد والتردد فناداهم بـ " قوم " مستعطفًا لهم بالتذكير بالقرابة وعاطف النسابة، لتعطفهم الأرحام وتردهم القرابات إلى قبول نصحه لهم؛ فهو لا يريد لقومه إلا ما يريده لنفسه، ثم تصدير دعوته بحرف التوكيد؛ لأن المخاطبين يترددون في الخبر، لذلك أتبعه بقوله " لكم " للإشارة إلى أن فائدة ذلك الإمتثال لدعوته تعود عليهم، فهو لا يجتني من دعوتهم فائدة من متاع الدنيا، وإنما فائدة ذلك لهم [٤٦].

ومن باب قصد استمالتهم إلى الإيمان كان نوح عليه السلام حريص أشد الحرص على مراعاة الجوانب النفسية لقومه والتركيز على الجوانب التي تقنع المدعو بصدق الدعوة التي بعث فيها النبي، فمن ذلك التلطف بالنداء " ياقوم " فهذه العبارة لها مدلولات نفسية واسعة في تقريب الفجوة بين النبي المؤمن وبين المدعو، لما تبدي من التوافق والمحبة والتآخي ولا يخفى ما لهذه العبارات من أثر في نفسية المدعو وجعله قابلًا ومسلمًا لدعوة نبيه، وكذلك استخدام أسلوب الإقناع النفسي والعقلي بعدم سؤالهم الأجر، حيث إن المدعو إذا أيقن أن هذه الدعوة ليست منبثقة عن طمع وحب مال، وإنما منبعها الصدق والإخلاص كان لهذا الشيء مدلول على نفسه في قبول الدعوة والإقبال عليها، وهكذا يتبين أن مراعاة نفسية المدعو من الأهمية بمكان في قبول الحق وقبول دعوة الأنبياء، وهذا من عظيم إعجاز القرآن الكريم في وصف أساليب الأنبياء النفسية في الدعوة إلى الله حتى يقتدي بها المسلم في شؤون حياته[٤٧].

وقوم نوح هم الناس الذين كانوا عامرين الأرض يومئذ، إذ لا يوجد غيرهم على الأرض .... وإضافة " قوم " إلى ضمير نوح لأنه أرسل إليهم فلهم مزيد اختصاص به،

ولأنه واحد منهم وهم بين أبناء له وأنسباء فإضافتهم إلى ضميره تعريف لهم إذ لم يكن لهم اسم خاص من أسماء الأمم الواقعة من بعد، فأضافهم إلى نفسه إظهارًا للشفقة عليهم، وفي العدول عن أن يقال له: أنذر الناس إلى قوله: أنذر قومك إلهابا لنفس نوح ليكون شديد الحرص على ما فيه نجاتهم من العذاب، فإن فيهم أبناءه وقرابته وأحبته، وهم عدد تكون بالتوالد في بني آدم في مدة ستمائة سنة من حلول جنس الإنسان على الأرض، ولعل عددهم يوم أرسل إليهم نوح لا يتجاوز بضعة آلاف(٤٨).

وقوله تعالى: " يا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ " يعني: قال نوح لقومه أنبئكم بلغة تعرفونها؟، فقد أرسل نوحًا إلى قومه؛ لينذرهم بالعذاب إن لم يؤمنوا، فكأنت رسالة الله لهم هي إنزال العذاب بهم إن لم يؤمنوا، ولذلك آثر القرآن التعبير بالإنذار؛ لأن الإنذار تخويف مع إعلام موضع المخافة من قولك نذرت بالشيء إذا علمته فاستعددت له فإذا خوف الإنسان غير وأعلمه حال ما يخوفه به فقد أنذره، وختم بقوله " مُبِينٌ " يقول: قد أبنت لكم إنذاري إياكم، وهذا كله يتناسب مع ما في نفوسهم من الإغترار والتكبر والعناد، الذي يجعلهم لا يستجيبون إلا لمؤثرات عنيفة (٤٩).

وهذا نموذج في كيفية مراعاة نفسية المدعو، فالدعوة إلى الله يجب أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، وعدم التصادم مع المدعو لما لذلك من أثر واضح الدلالة على نفسيته ورفضه للدعوة وإن كانت على حق، فما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول لأن شانهم النصيحة، ثم يخاطبهم بأسلوب ليّن، لذلك اختار نوح –عليه السلام – لفظة " يا قوم " وفيه تلطف مع المدعو وإن كان كافرًا، وكذلك اختار أسلوب الوعيد ليدل على اهتمامه وحبه للخير له.

فقد خاطبهم بإظهار الشفقة عليهم وإرادة الخير لهم وتطبيبا لهم " إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ " منذر من عاقبة الكفر والمعاصي وأفرد الانذار مع كونه بشيرا أيضا لأن الإنذار أقوى في تأثير الدعوة لما أن أكثر الناس يطيعون أولا بالخوف من القهر وثانيا بالطمع في العطاء وأقلهم يطيعون بالمحبة للكمال والجمال (٥٠).

ثم بدأ نوح عليه السلام يبين لهم فوائد كثيرة تعود عليهم إن آمنوا واتقوا وفي هذا مراعاة لطبيعة النفس البشرية، التي لا تستجيب ولا تزعن الا إذا أحست بفائدته تعود عليها فبدأ– عليه السلام – في سرد فوائد عدة تعود عليهم؛ لترغيبهم في عبادة الله وتقواه وطاعته فقال تعالى " أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ " فجعل العبادة والتقوى لله وحده وجعل الطاعة له، فإنه من يطع الرسول فقد أطاع الله(٥١)، ومع هذا استمر قومه في كفرهم وعنادهم وتمسكهم بعباداتهم الشركية وتواصوا فيما بينهم بالبقاء على معبوداتهم(٥٢).

وقد سلك نوح عليه السلام في ردّ قومه إلى عقيدة التوحيد منهجًا فريدًا وعجيبًا، جديرًا بالتأمل والإعتبار فنري لين الكلمة، وسهولة الأسلوب، وعدم مقابلة السب والأذى بمثله، يظهر ذلك واضحًا من حديثه معهم حيث ردّ عليهم في هدوء ولين، قائلًا لهم " أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ " (٥٣).

ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَ الْقَوْمَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَتَقْوَاهُ وَطَاعَةِ نَفْسِهِ، فَالْأَمْرُ بِالْعِبَادَةِ يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ الْوَاجِبَاتِ وَالْمَنْدُوبَاتِ مِنْ أَفْعَالِ الْقُلُوبِ وَأَفْعَالِ الْجَوَارِحِ، وَالْأَمْرُ بِتَقْوَاهُ يَتَنَاوَلُ الزَّجْرَ عَنْ جَمِيعِ الْمَحْظُورَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ.

وفي قوله " وَأَطِيعُونِ " لطيفة تريح النفوس وهي أنه لما كان لا سبيل إلى معرفة ما يرضي الملك ليلزم، وما يسخطه ليترك إلا منه، ولا وصول إلى ذلك إلا من خاصته، ولا خاصة مثل رسوله الذي ائتمنه على سره، " واطيعون " أي لأعرفكم ما تقصر عنه عقولكم من صفات معبودكم ودينكم ودنياكم ومعادكم، وأدلكم على اجتلاب آداب تهديكم، واجتناب شبهة ترديكم، وهذا هو الإسلام فقد جمع هذا الدعاء الإيمان والإسلام والعمل، وقدم العبادة على التقوي، لأنها سبب لها، كما قدم التقوي على الطاعة لأنها ناتجة عنها، فقد جمع هذا الدعاء الإيمان والإسلام والعمل، وهي الأثافي التي تدور عليها أسباب الفلاح (٥٤).

وقوله: " وَأَطِيعُونِ " يَتَنَاوَلُ أَمْرَهُمْ بِطَاعَتِهِ وَجَمِيعَ الْمَأْمُورَاتِ وَالْمَنْهِيَّاتِ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ دَاخِلًا فِي الْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَتَقْوَاهُ، إِلَّا أَنَّهُ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ تَأْكِيدًا فِي ذَلِكَ التَّكْلِيفِ وَمُبَالَغَةً فِي تَقْرِيرِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى لَمَّا كَلَّفَهُمْ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ الثَّلَاثَةِ وَعَدَهُمْ عَلَيْهَا بِشَيْئَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَنْ يُزِيلَ مَضَارَّ الْآخِرَةِ عَنْهُمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ: " يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ " الثَّانِي: يُزِيلُ عَنْهُمْ مَضَارَّ الدُّنْيَا بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ، وَذَلِكَ بأن يؤخر أجلهم إلى أقصى الإمكان (٥٥).

وقوله: " يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ " أي يغفر لكم من ذنوبكم إلى وقت الإيمان " وَيُؤَخِّرْكُمْ " أي: عن العذاب إلى أَجَلٍ مُسَمًّى وهو منتهى آجالهم، والمعنى: فتموتوا عند منتهى آجالكم غير مِيتة المعذَّبين " إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ " فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أجل الموت، قاله مجاهد، فيكون المعنى: إن أجل الله الذي أَجَّلكم إليه لا يُؤَخَّرُ إذا جاءَ، فلا يمكنكم حينئذ الإيمان، والثاني: أنه أجل البعث، قاله الحسن، والثالث: أجل العذاب، قاله السّدّيّ ومقاتل(٥٦).

أي يغفر الله لكم ذنوبكم هذا إذا اعتبرنا " من " في الآية زائدة، وإذا اعتبرناها بمعنى " عن " كما رجح ذلك ابن كثير ويكون المعنى يصفح لكم عن ذنوبكم، وإذا اعتبرناها بمعنى " بعض " يكون المعنى: يغفر لكم الذنوب العظيمة التي أوعدكم على ارتكابكم إياها(٥٧).

يقول الإمام الرازي: ومَا فَائِدَةُ " مِنْ " فِي قَوْلِهِ: " يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ "؟ وَالْجَوَابُ: مِنْ وُجُوهٍ أَحَدُهَا: أَنَّهَا صِلَةٌ زَائِدَةٌ وَالتَّقْدِيرُ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَالثَّانِي: أَنَّ غُفْرَانَ الذَّنْبِ هُوَ أَنْ لَا يُؤَاخَذَ بِهِ، فَلَوْ قَالَ: يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، لَكَانَ مَعْنَاهُ أَنْ لَا يُؤَاخِذَكُمْ بِمَجْمُوعِ ذُنُوبِكُمْ، وَعَدَمُ الْمُؤَاخَذَةِ بِالْمَجْمُوعِ لَا يُوجِبُ عَدَمَ الْمُؤَاخَذَةِ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ آحَادِ الْمَجْمُوعِ، فَلَهُ أَنْ يَقُولَ: لَا أُطَالِبُكَ بِمَجْمُوعِ ذُنُوبِكَ، وَلَكِنِّي أُطَالِبُكَ بِهَذَا الذَّنْبِ الْوَاحِدِ فَقَطْ، أَمَّا لَمَّا قَالَ: يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ كَانَ تَقْدِيرُهُ يَغْفِرُ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ، وَهَذَا يَقْتَضِي عَدَمَ الْمُؤَاخَذَةِ عَلَى مَجْمُوعِ الذُّنُوبِ وَعَدَمِ الْمُؤَاخَذَةِ أَيْضًا عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ

الْمَجْمُوعِ الثَّالِثُ: أَنَّ قَوْلَهُ: يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ هَبْ أَنَّهُ يَقْتَضِي التَّبْعِيضَ لَكِنَّهُ حَتَّى لِأَنَّ مَنْ آمَنَ فَإِنَّهُ يَصِيرُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذُنُوبِهِ عَلَى إِيمَانِهِ مَغْفُورًا، أَمَّا مَا تَأَخَّرَ عَنْهُ فَإِنَّهُ لَا يَصِيرُ بِذَلِكَ السَّبَبِ مَغْفُورًا، فَثَبَتَ أنه لا بد هاهنا مِنْ حَرْفِ التَّبْعِيضِ(٥٨).

كل هذا أيضًا من باب قصد استمالتهم إلى الإيمان فيبين لنا كيف كان نوح عليه السلام حريصًا أشد الحرص على مراعاة الجوانب النفسية لقومه والتركيز على الجوانب التي تقنع المدعو بصدق الدعوة التي بعث فيها النبي صلى الله عليه وسلم(٥٩).

وقوله تعالى: " ويؤخركم إلى أجل مسمى " أي وَيُؤَخِّرَكُمْ في عافية إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى يقول إلى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم بالسنين، وهذا أمر محبب إلى النفس، وهم قد طغي عليهم حب الدنيا فأراد أن يوضح لهم أن طاعته ستكون سببًا في طول أعمارهم ويدلل على هذا قوله " لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " ففي تزييل الآية بها فائدة تظهر مدى تهافت هولاء على حب الدنيا واعراضهم عن دعوة سيدنا نوح عليه السلام، فالغرض والفائدة من قوله " لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " الزَّجْرُ عَنْ حُبِّ الدُّنْيَا، وَعَنِ التَّهَالُكِ عَلَيْهَا وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الدِّينِ بِسَبَبِ حُبِّهَا، يَعْنِي أَنَّ غُلُوَّهُمْ فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطَلَبِ لَذَّاتِهَا بَلَغَ إِلَى حَيْثُ يَدُلُّ على أنهم شاكون في الموت (٦٠).

وفي تمني نوح عليه السلام أن يعلم قومه، دلالة على أنه لو علم قومه الحقائق التي بينها لهم، ولم يغْلَقوا عقولهم وقلوبهم عن سماعها والتبصر بدلائلها، لكان علمهم بها باعثًا على الإيمان بها، والخوف من نقمة الله وعقابه، ولكان خوفهم دافعًا لهم لإتخاذ الوسائل التي يتقون بها عقاب الله تعالى بعبادته وحده وطاعته وطاعه رسوله كل منهم على قدر بصيرته وقوة إرادته(٦١).

ونلاحظ أن التمني بصيغة " ليت " لم يرد في آيات قصة سيدنا نوح عليه السلام – وهي الصيغة الأصلية له، ولا تخرج لغير التمني لعراقتها فيه، ومع ذلك خلت جميع الآيات منها، وظهر التمني في أداة " لو " وهي ليست أصلية، وإنما خرجت عن أصل.

وضعها إلى معنى التمني، وإذا كان التمني هو طلب حصول الشيء على سبيل المحبة، فإن نوحًا عليه السلام كان حريصًا كل الحرص على استجابتهم له وترك الأوثان وعبادة الله والواحد القهار، ومع ذلك لم يتمنَّ ذلك بأداة التمني الأصلية، لأنه كان على بصيرة ثاقبة، وخبرة دقيقة بحقيقة أنفسهم، اكتسب ذلك من خلال إقامته المدة الطويلة بينهم فأدى ما عليه دون تقصير، وأقام الحجة عليهم وسلَّم أمرهم إلى الله الذي حكم بإغراقهم جميعًا جزاءً بما كانوا يعملون(٦٢).

وقد أفاد تنكير " أجل " العموم والشمول لآجال عديدة، فالتنوين في أجل للنوعية، أي الجنس، وهو صادق على آجال متعددة بعدد أصحابها(٦٣).

يقول الإمام الزمخشري: فإن قلت كيف قال " وَيُؤَخِّرْكُمْ " مع إخباره بامتناع تأخير الأجل، وهل هذا إلا تناقض؟ قلت: قضى الله مثلا أنّ قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة، وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة، فقيل لهم: آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى، أي: إلى وقت سماه الله وضربه أمدا تنتهون إليه لا تتجاوزونه، وهو الوقت الأطول تمام الألف، ثم أخبر أنه إذا جاء ذلك الأجل الأمد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت، ولم تكن لكم حيلة، فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير (٦٤).

وقد جلا السيوطي الغموض الذي تحيف هذا التعبير بقوله في تفسيره الممتع " ويؤخركم بلا عذاب " أي في الدنيا فلا يخالف قوله " إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر " لأن المنفي تأخيره فيه هو الأجل نفسه فلا تخالف بين هذين المحلين، وعبارة الكرخي في حاشيته على الجلالين: قوله " ويؤخركم " بلا عذاب جواب كيف قال " ويؤخركم إلى أجل مسمى " خطابا لقوم نوح لأنه إن كان المراد تأخيرهم عن الأجل المقدّر أزلا فهو محال لقوله تعالى: " ولن يؤخّر الله نفسا إذا جاء أجلها "، أو تأخيرهم إلى مجيء أجلهم المقدّر منهم كغيرهم سواء آمنوا أم لا، وإيضاحه أن معناه يؤخركم عن العذاب إلى منتهى آجالكم على تقدير الإيمان فلا يعذبكم في الدنيا إن وقع منكم ذنب كما عذب غيركم من الأمم الكافرة فيها(٦٥).

وقال ابن عطية: " وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى " مما تعلق المعتزلة به في قولهم إن للإنسان أجلين، وذلك أنهم قالوا: لو كان واحدًا محدودًا لما صح التأخير، إن كان الحد قد بلغ ولا المعاجلة إن كان الحد لم يبلغ، وليس لهم في الآية تعلق، لأن المعنى أن نوحا عليه السلام، لم يعلم هل هم ممن يؤخر أو ممن يعاجل؟ ولا قال لهم: إنكم تؤخرون عن أجل قد حان لكم، لكن قد سبق في الأزل أنهم إما ممن قضى لهم بالإيمان والتأخير وإما ممن قضي عليه بالكفر والمعاجلة، فكأن نوحًا عليه السلام قال لهم: آمنوا يبين لكم أنكم ممن قضي لهم بالإيمان والتأخير، وإن بقيتم فسيبين لكم أنكم ممن قضي عليه بالكفر والمعاجلة(٦٦).

وقوله: " إن أجل الله " أي ما قدره لكم على تقدير بقائكم على الكفر من العذاب " إذا جاء " وأنتم باقون على الكفر " لا يؤخر " بل يقع لا محالة فبادروا إلى الإيمان والطاعة، وقيل المعنى إن أجل الله وهو الموت إذا جاء لا يمكنكم الإيمان، وقيل المعنى إذا جاء الموت لا يؤخر سواء كان بعذاب أو بغير عذاب، وإضافة الأجل إليه سبحانه لأنه هو الذي أثبته، وقد يضاف إلى القوم كقوله " إذا جاء أجلهم " لأنه مضروب لهم(٦٧).

وقد سلك نوح عليه السلام في ردّ قومه إلى عقيدة التوحيد منهجًا فريدًا وعجيبًا، جديرًا بالتأمل والاعتبار، منها تنويعه للأساليب في الدعوة، فلم يلتزم أسلوبًا معينًا، أو حالة واحدة، ولكنه أخذ يدعوهم في الليل والنهار، وفي السر والجهر، يظهر ذلك جليًا من قوله تعالى: " قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا "، فنجد ترغيبهم بمغفرة الذنوب إنْ هم أطاعوه، وصدقوا ما جاء به، ويمد الله في أعمارهم، ويدرأ عنهم العذاب الذي إنْ لم يجتنبوا ما نهاهم عنه أوقعه الله بهم (٦٨).

ثم مضي علية السلام يشكو بثه وحزنه إلى الله تعالى من قومه وعشيرته ليسري عن نفسه الهموم والآلام فتوجه إلى الله تعالى شاكيا: " قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلاَّ فِرارًا " أي قال نوح عليه السلام مناجيا ربه عز وجل وحاكيا

لـه سبحانه بقصد الشكوى وهو سبحانه أعلم بحالـه مـا جرى بينـه وبين قومـه من القيل والقال في تلك المدد الأطوال بعد ما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاز في الإنذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل " رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي " إلى الإيمان والطاعة " لَيْلًا وَنَهارًا " أي دائما من غير فتور ولا توان " فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلَّا فِرارًا " مما دعوتهم إليه(٦٩).

وحذف " يا " في القرآن من الرب تعالى تنزيها وتعظيما لأن في النداء طرفا من الأمر، أي أن في إظهار " يا " إيحاء بالأمر والتكليف وهذا لا يليق في هذه المواضع، وحذف " يا " يوحي أيضًا بأن المنادي الله سبحانه وتعالى ليس بعيدًا عن المنادي بل هو قريب منه " وإذا سألك عبادي ... " فالله قريب من عباده يسمعهم حين ينادنه بدون واسطة وحذف الأداة يوحي بشدة القرب منـه حتـى وكأنها واسطة فحذفت مبالغة فـي تبيين القرب فحذف الأداة أسهم في تقريب بين المنادَي والمنادِي(٧٠).

وقدم الليل على النهار لأنه أسبق من النهار وذلك لأنه خلق قبل الأجرام كانت الظلمة(٧١).

يقول القرطبي: ولما كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أطول الأنبياء عمرًا، وكان قد طال نصحه لهم وبلاؤه بهم، نبه على ذلك بقوله مستأنفًا " قَالَ رَبِّ " مناديًا لمن أرسله لأنه تحقق أن لا قريب منه غيره، وأسقط أداة النداء كما هي عادة أهل القرب فقال " رب "، ولما كانت العادة جارية بأن التكرار لا بد أن يؤثر ولو قليلًا، فكانت مخالفتهم لذلك مما هو أهل لأن يشك فيه، قال مؤكدًا إظهارًا لتحسره وحرقته عليه الصلاة والسلام منهم في تماديهم في إصرارهم على التكذيب شكاية لحاله إلى الله تعالى واستنصارًا به واستمطارًا للتنبيه على ما يفعل به بذله الجهد وتنبيهًا لمن يقص به عليهم هذا وإن كان المخاطب سبحانه عالمًا بالسر وأخفى، ففيها إشارة إلى مراعاة نوح – عليه السلام– لقومه لاختلاف طبيعة النفس البشرية وأوقات التهيئة النفسية عند الدعوة، فليست النفس مهيأة في كل وقت لتقبل الدعوة؛ ولذلك قال " لَيْلًا وَنَهَارًا " أَيْ وَاصَلْتُ

الدُّعَاءَ، حتى يكون ذلك حجة على قومه، فهو دعاهم في كل الأوقات وتحين الأوقات المناسبة للدعوة(٧٢).

ونلاحظ التكرار الدائم في دعوتهم، على الرغم من مرور الأعوام الطوال، وبذله كل الجهود الهادفة إلى إرجاعهم إلى الحق، وسلوك الطريق المستقيم، ولكن ليس هناك جدوى تذكر برغم تنويعه للأساليب في الدعوة، فلم يلتزم أسلوبًا معينًا، أو حالة واحدة، ولكنه أخذ يدعوهم في الليل والنهار، وفي السر والجهر، يظهر ذلك من قوله تعالى: "قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرارًا " (٧٣).

والتعبير بقوله " دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهارًا "، يشعر بحرص نوح التام على دعوتهم، في كل وقت يظن فيه أن دعوته لهم قد تنفع،

كما أن التعبير بقوله " فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلَّا فِرارًا " يدل دلالة واضحة على إعراضهم التام عن دعوته، أي: فلم يزدهم دعائي شيئا من الهدى، وإنما زادهم بعدا عنى، وفرارا منى، وإسناد الزيادة إلى الدعاء، من باب الإسناد إلى السبب، كما في قولهم سرتنى رؤيتك(٧٤).

يقول الامام الألوسي: وإسناد الزيادة إلى الدعاء من باب الإسناد إلى السبب(٧٥)، ولما ازدادوا إعراضًا ونفارًا عن الحق، جعل الدعاء هو الذي زادهم، إذ كان سبب الزيادة (٧٦).

فالفرار مستعار لقوة الإعراض، أي فلم يزدهم دعائي إياهم قربا مما أدعوهم إليه(٧٧)، وكأن القرآن الكريم جعل قوم نوح عليه السلام هم الحدث نفسه وكأنهم الاعراض والفرار والهروب.

والْمَقْصُودُ أَنَّهُ دَعَاهُمْ عَلَى وُجُوهٍ مُتَخَالِفَةٍ وَأَسَالِيبَ مُتَفَاوِتَةٍ، فَلَمْ يَنْجَعْ ذَلِكَ فِيهِمْ، وأسند الزِّيَادَةِ إِلَى الدُّعَاءِ لِكَوْنِهِ سَبَبَهَا، كَمَا فِي قَوْلِهِ: " زادَتْهُمْ إِيمانًا "، وفي التعبير ب "ثُمَّ " التي تفيد الدَّلَالَةُ عَلَى تَبَاعُدِ الْأَحْوَالِ لِأَنَّ الْجِهَارَ أَغْلَظُ مِنَ الإسرار(٧٨).

وفي التعبير بكلمة " كلما " التي تفيد التكرار، مما يشير إلى أن نوحًا عليه السلام كرر على أسماعهم دعوته مرارًا وتكرارًا [٧٩].

فقد جعل دعوته مظروفة في زمني الليل والنهار للدلالة على عدم الهوادة في حرصه على إرشادهم، وأنه يترصد الوقت الذي يتوسم أنهم فيه أقرب إلى فهم دعوته منهم في غيره من أوقات النشاط وهي أوقات النهار، ومن أوقات الهدو وراحة البال وهي أوقات الليل، كل هذا يدلل على علو همه نوح عليه السلام واصراره على هداية قومة [٨٠].

ونجد نوح – عليه السلام– يبوح عما بداخله ويفصح عن نتيجة دعوته لقومه فهو يصور الجهاد النفسي الذي كان يعيشه نوح – عليه السلام– من أجل إقناعه قومه بالدعوة، حيث خاطب عقولهم، ودعاهم ليتوبوا فلم يستجيبوا وأصروا على الضلال، " فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا " فهم لم يؤمنوا بل مضوا فِي عُتُوٍّ وفي تكبر وَنُفُورٍ وتباعدًا من الإيمان وفرارًا عما دعوتهم إليه وبعدًا عنه[٨١].

وأضاف إلى فرارهم منه حالة أخرى تدل على إعراضهم عنه، وعلى كراهيتهم له فقال " وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ، وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ، وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا "، واللام في قوله " لِتَغْفِرَ لَهُمْ " للتعليل، والمراد بأصابعهم: جزء منها، واستغشاء الثياب معناه: جعلها غشاء، أى: غطاء لرءوسهم ولأعينهم حتى لا ينظروا إليه، ولابد أن تلاحظ المبالغة في قوله تعالى " وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ " أي بالغوا في التغطي بها، كأنهم طلبوا من ثيابهم أن تغشاهم لئلا يروه، كراهة النظر إليه، من فرط كراهة الدعوة، ففي التعبير بصيغة الاستفعال ما لا يخفى من المبالغة [٨٢].

والمعنى وإنى– يا مولاي– كلما دعوتهم الى عبادتك وتقواك وطاعتي فيما أمرتهم به، لكي تغفر لهم ذنوبهم ما كان منهم إلا أن جعلوا أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعوا قولي، وإلا أن وضعوا ثيابهم على رءوسهم، وأبصارهم حتى لا يرونى، وإلا أن أَصَرُّوا إصرارا تاما على كفرهم وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا عظيما عن قبول الحق.

والتعبير بقوله " وَأَصَرُّوا " ينقل لنا المشهد تمامًا من إقبال هولاء على المعاصي والإنغماس فيها والمداومة عليها فلا أمل في اصلاحهم أو قبول دعوته عليه السلام "وَأَصَرُّوا " أي داموا على سوء أعمالهم دوامًا هم في غاية الإقبال عليه، فاستعير للإقبال على المعاصي وملازمتها لأنه يكون بغاية الرغبة كأن فاعله حمار وحش قد ثارت شهوته"(٨٣).

وأيضًا التعبير بقوله " واستكبروا " أي أوجدوا الكبر طالبين له راغبين فيه، وأكد ذلك بقوله " استكبارًا " تنبيهًا على أن فعلهم منابذ للحكمة، فكان مما ينبغي أن لا يفعلوه فهو مما لا يكاد يصدق لذلك، وقد نادت هذه الآيات بالتصريح في غير موضع بأنهم عصوا نوحًا عليه الصلاة والسلام وخالفوه مخالفة لا أقبح منها ظاهرًا بتعطيل الأسماع والأبصار، وباطنًا بالإصرار والاستكبار ولم يوافقوه بقول ولا فعل (٨٤)، فاسْتَكْبَرُوا عن قبولها وهو أعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها، ويتعظموا عن تقبلها(٨٥).

يقول العلامه القشيري: " لمّا دام بينهم إصرارهم تولّد من الإصرار استكبارهم " وهذا من الإعجاز البياني واللغوي من تقديم لفظة " وَأَصَرُّوا " على لفظة " وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبارًا " ولأن الاستكبار يتولد ويتأتي من الإصرار والتعلق بالمعاصي(٨٦).

وتأكيد استكبروا بمفعوله المطلق اسْتِكْبارًا للدلالة على تمكن الاستكبار، وتنوين اسْتِكْبارًا للتعظيم، أي استكبارا شديدا لا يفله حد الدعوة(٨٧).

وتأمل دلالة التنكير في قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام في سياق شكواه لربه من عدم استجابة القوم له بالرغم من طول المدة التي دعاهم فيها " وَإِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ، وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ، وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبارًا "، وتنكير " استكبار "، يدل على عظمة الاستكبار وشدة استحكام هذه الصّفة وتمكنها في سويداء قلوب هؤلاء تمكنا عجيبا لا مثيل له، كما يدل على قساوة قلوب

القوم، ولقد تحدث القرآن عن أمثال هذه القلوب فقال " ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ " البقرة ٧٤، فمقارنة الله القلوب القاسية بالحجارة يدل على عظمة وشدة هذه القسوة، كما أن هذه المقارنة هي تعريض للكفار بأن هذه الحجارة رغم قساوتها فإنها لا تبقى قاسية دائما بل تتحرك وتنشق وتهبط من خشية الله فلماذا لا تسلكون مسلك هذه الحجارة ذات الطبيعة القاسية(٨٨).

فأنت ترى أن هذه الآية الكريمة، قد صورت عناد قوم نوح، وجحودهم للحق، تصويرا بلغ الغاية في استحبابهم العمى على الهدى،

وهي ثانيًا- عبرت عن عدم استماعهم إليه بقوله- تعالى " جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ " وعبر عن الأنامل بالأصابع على سبيل المبالغة في إرادة سد المسامع، فكأنهم لو أمكنهم إدخال أصابعهم جميعها في آذانهم لفعلوا، حتى لا يسمعوا شيئا مما يقوله نبيهم لهم، فإطلاق اسم الأصابع على الأنامل من باب المجاز المرسل، لعلاقة البعضية، حيث أطلق- سبحانه- الكل وأراد البعض، مبالغة في كراهيتهم لسماع كلمة الحق، وهي ثالثا- عبرت عن كراهيتهم لنبيهم ومرشدهم بقوله- تعالى " وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ" أى: بالغوا في التّغطّى بها، حتى لكأنهم قد طلبوا منها أن تلفهم بداخلها حتى لا يتسنى لهم رؤيته إطلاقا، وهذا كناية عن العداوة الشديدة، ومنه قول القائل: لبس لي فلان ثياب العداوة، رابعا- قد بينت بأنهم لم يكتفوا بكل ذلك، بل أضافوا إليه الإصرار على الكفر- وهو التشديد فيه، والامتناع من الإقلاع عنه مأخوذ من الصرّة بمعنى الشدة- والاستكبار العظيم عن الاستجابة للحق، فقد أفادت هذه الآية أنهم عصوا نوحا وخالفوه مخالفة ليس هناك ما هو أقبح منها ظاهرا، حيث عطلوا أسماعهم وأبصارهم، وليس هناك ما هو أقبح منها باطنا، حيث أصروا على كفرهم، واستكبروا على اتباع الحق، ومع كل هذا الإعراض والعناد فقد حكت لنا الآيات بعد ذلك أن نوحا- عليه

السلام– قد واصل دعوته لهم بشتى الأساليب فقال– كما حكى القرآن عنه " ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهارًا "[٨٩].

وفي التعبير بقوله " جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ "، بجمع الأصابع إشارة إلى أنّه لم يرد أصبعا معيّنة؛ لأنه أراد وصف حالة قومه وما كانوا عليه من كبر وعناد، فأية أصبع اتفق لهم أن يسدوا بها آذانهم فعلوا غير معرّجين على ترتيب معتاد أو تعيين مفترض[٩٠].

يقول أبو حيان: الظَّاهِرُ أَنَّهُ حَقِيقَةٌ، سَدُّوا مَسَامِعَهُمْ حَتَّى لَا يَسْمَعُوا مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، وَتَغَطَّوْا بِثِيَابِهِمْ حَتَّى لَا يَنْظُرُوا إِلَيْهِ كَرَاهَةً وَبُغْضًا مِنْ سَمَاعِ النُّصْحِ وَرُؤْيَةِ النَّاصِحِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كِنَايَةٌ عَنِ الْمُبَالَغَةِ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنْ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، فهم بمنزلة مَنْ سَدَّ سَمْعَهُ وَمَنَعَ بَصَرَهُ، ثُمَّ كَرَّرَ صِفَةَ دُعَائِهِ بَيَانًا وَتَوْكِيدًا، لَمَّا ذَكَرَ دُعَاءَهُ عُمُومَ الْأَوْقَاتِ، ذَكَرَ عُمُومَ حَالَاتِ الدُّعَاءِ، " وكُلَّما دَعَوْتُهُمْ " يَدُلُّ عَلَى تَكَرُّرِ الدَّعَوَاتِ، فَلَمْ يُبَيِّنْ حَالَةَ دُعَائِهِ أَوَّلًا، وَظَاهِرُهُ أَنْ يَكُونَ دُعَاؤُهُ إِسْرَارًا، لِأَنَّهُ يَكُونُ أَلْطَفَ بِهِمْ، وَلَعَلَّهُمْ يَقْبَلُونَ مِنْهُ كَحَالِ مَنْ يَنْصَحُ فِي السِّرِّ فَإِنَّهُ جَدِيرٌ أَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ لَهُ الْإِسْرَارَ، انْتَقَلَ إِلَى أَشَدَّ مِنْهُ وَهُوَ دُعَاؤُهُمْ جِهَارًا صَلْتًا بِالدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ لَا يُحَاشِي أَحَدًا، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ عَادَ إِلَى الْإِعْلَانِ وَإِلَى الْإِسْرَارِ[٩١].

فقد صور لنا– عليه السلام– إعراض قومه واستكبارهم وعنادهم بصورة ناطقة حتى لكأن القارئ يشاهدها أمامه، من خلال وصف الحالة النفسية للمتلقين وما تنضوي عليه نفوسهم من كراهة وبغض وما تنطوي عليه قلوبهم من حقد وغل وعدم تقبل النصح ورؤية الناصح، فكان هذا دليلًا على اعراضهم عما دعاهم إليه ورفضهم الاستجابة، ولم يتوقف نوح عليه السلام عند حد دعائه لهم ليلًا ونهارًا بل راح يُفصَّل ويوضح لهم على كل الوجوة ليلًا ونهارًا وسرًا وجهرًا وفي كل هذا الجهد المبذول منه عليه السلام مراعاة لطبيعة هولاء وهم أهله وعشيرته وهو أعرف الناس بأحوالهم وبما تنطوي عليه نفوسهم فتدرج بهم وترفق في دعوته فبدأ بمناصحتهم في السر فلم

يستجيبوا فتدرج معهم بالمجاهرة فلم يستجيبوا فجمع بين السر والمجاهرة قال تعالى " ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا " وكأن نوحًا – عليه السلام– في مناجاته مع ربه يريد أن يبرئ ساحته، فأسربالدعوة تارة وجهر بالدعوة تارة أخرى، ثم زاوج بين الإعلان والإسرار، وفيه دلالة على أنه دعاهم في وقت سرًا وفي وقت جهرًا أو دعا بعضهم سرًا وبعضهم جهرًا، وكل هذا من نوح مبالغة في الدعاء وتلطفًا في الاستدعاء(٩٢).

يقول صاحب البحر المديد: والحاصل أنه دعاهم ليلًا ونهارًا في السر، ثم دعاهم جِهارًا، ثم دعاهم في السر والعلن، وهكذا يفعل المذكِّر في الأمر بالمعروف، يبتدىء بالأهون فالأشد، افتتح بالمناصحة بالسر، فلما لم يُطيعوا ثنّى بالمجاهرة، فلما لم تؤثر ثلّث بالجمع بين الإسرار والإعلان، ولاحظ التعبير ب " ثم " التي تدل على تباعد الأحوال؛ لأنَّ الجِهار أغلظ من الإسرار، والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما (٩٣).

يقول الامام الزمخشريُّ: " فإنْ قلتَ: ذَكَرَ أنَّه دعاهم ليلًا ونهارًا، ثم دعاهم جِهارًا، ثم دعاهم في السِّرِّ والعَلَنِ فيجب أَنْ تكونَ ثلاثَ دَعَوات مختلفات حتى يَصِحَّ العطفُ " قلت: قد فَعَلَ عليه السلام كما يَفْعَلُ الذي يَأْمُرُ بالمعروفِ ويَنْهى عن المنكر في الإبتداءِ بالأَهْوَنِ، والترقِّي في الأَشَدِّ فالأَشُدِّ، فافتتح في المناصحةِ بالسِّرِّ، فلمَّا لم يَقْبلوا ثَنَّى بالمجاهرة، فلمَّا لم يَقْبلوا ثَلَّثَ بالجَمْعِ بين الإسرار والإعلان، ومعنى " ثم " الدلالةُ على تباعُدِ الأحوالِ، لأنَ الجِهارَ أغلظُ من الإسرارِ، والجمعُ بين الأمرَيْن أغلظُ مِنْ إفرادِ أحدِهما(٩٤).

فنلاحظ أنه عليه السلام ارتقى في شكواه واعتذاره بأن دعوته كانت مختلفة الحالات في القول من جهر وإسرار، فعطف الكلام ب " ثم " التي تفيد في عطفها الجمل أن مضمون الجملة المعطوفة أهم من مضمون المعطوف عليها، لأن اختلاف كيفية الدعوة ألصق بالدعوة من أوقات إلقائها لأن الحالة أشد ملابسة بصاحبها من

ملابسة زمانه، فذكر أنه دعاهم جهارا، أي علنا، وارتقى فذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار لأن الجمع بين الحالتين أقوى في الدعوة وأغلظ من إفراد إحداهما، فقوله: " أعلنت لهم " تأكيد لقوله: " دعوتهم جهارا " ذكر ليبنى عليه عطف " وأسررت لهم إسرارا " فقد توخى ما يظنه أوغل إلى قلوبهم من صفات الدعوة، فجهر حين يكون الجهر أجدى مثل مجامع العامة، وأسر للذين يظنهم متجنبين لوم قومهم عليهم في التصدي لسماع دعوته وبذلك تكون ضمائر الغيبة في قوله دعوتهم، وقوله: أعلنت لهم وأسررت لهم موزعة على مختلف الناس، وكما أن وجه توكيد الإسرار في قوله "وأسررت لهم إسرارًا " أن إسرار الدعوة كان في حال دعوته سادتهم وقادتهم لأنهم يمتعضون من إعلان دعوتهم بمسمع من أتباعهم، وانتصب إسرارا على أنه مفعول مطلق مفيد للتوكيد، أي إسرارا خفيا[٩٥].

ونلاحظ تقديم اعلان الدعوة على سريتها، لبيان شرف الدعوة العلنية وأهميتها وخطورتها، فهي التي تحدث التغيير الأوسع وتحلرك الجماهير[٩٦].

وترى الإثارة بخاصة فيما يتصل بالتعبير عن القوم الذين يستغشون ثيابهم ويضعون أصابعهم في آذانهم حيث نعرف جميعًا أن هذا النمط من السلوك يعبر عن أن هؤلاء الشخصيات قد وصل بهم المرض النفسي إلى قمته لأن المفروض إذا رفض إنسان ما هذه الدعوة أو تلك إنما يكتفي بالرفض وتنتهي المسألة ولكن عندما لا يكون مستعدًا حتى ليستمع للنصيحة بحيث يضع يده داخل أذنه أو يغطي وجهه بثوبه فهذا يمثل النفسية الملتوية المنحرفة الممزقة المتصارعة وبهذا يكشف لنا النص القرآني عن جانب من عدم استجابات هؤلاء المنحرفين ومدى الانغلاق النفسي والذهني لديهم.

ولما كذَّبوا نوحًا – عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام زمانًا طويلًا حبس اللَّهُ عنهم المطر، وأعقم أرحامَ نسائهم أربعين سنة، فهلكت مواشيهم وزروعهم فصاروا إلى نوح – عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام واستغاثوا به، فقال " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا "، قال قتادة:

علم نبيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنهم أهل حرصٍ على الدنيا، فقال: هلموا إلى طاعة الله، فإنَّ في طاعة الله درك الدنيا والآخرة(٩٧).

وهذا وعد بخير الآخرة ورتب عليه وعدًا بخير الدنيا بطريق جواب الأمر، وهو "يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ، وقدم "عَلَيْكُمْ" في الآية على الحال "مِدْرَارًا " تشويقاً لمعرفة المرسل من السماء، وقد كانوا أهل فلاحة فوعدهم بنزول المطر الذي به السلامة من القحط وبالزيادة في الأموال، والسماء: هنا المطر، ومن أسماء المطر السماء "مِدْرَارًا "، زنة مبالغة، وهذا الوزن لا تلحقه علامة التأنيث إلا نادرًا كما في قول سهل بن مالك الفزاري: أصبح يهوى حرة معطارة فلذلك لم تلحق التاء هنا مع أن اسم السماء مؤنث(٩٨).

والإرسال: مستعار للإيصال والإعطاء، وتعديته ب عليكم لأنه إيصال من علو كقوله: "وأرسل عليهم طيرا أبابيل" الفيل: ٣

وإعادة فعل يجعل بعد واو العطف في قوله: " وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا "، للتوكيد اهتماما بشأن المعطوف لأن الأنهار قوام الجنات وتسقي المزارع والأنعام، وفي هذا دلالة على أن الله يجازي عباده الصالحين بطيب العيش(٩٩).

وليس المراد بالاستغفار مجرد قول استغفر الله بل الرجوع عن الذنوب وتطهير الألسنة والقلوب(١٠٠).

يقول الإمام الطبري: أي ويعطكم مع ذلك ربكم أموالًا وبنين، فيكثرها عندكم ويزيد فيما عندكم منها.... وقال ذلك لهم نوح، لأنهم كانوا فيما ذُكر قوم يحبون الأموال والأولاد، فقد رأى نوح عليه السلام قومه تجزّعت أعناقهم حرصا على الدنيا، فقال: هلموا إلى طاعة الله، فإن فيها درك الدنيا والآخرة (١٠١).

وقدم الأموال من باب تقديم السبب، فإنه إنما شرع النكاح عند قدرته على مؤونته، فهو سبب التزويج، والتزويج سبب للتناسل، ولأن المال سبب للتنعيم بالولد،

وفقده سبب لشقائه، لأن الأموال لا تكاد تفارقها الفتنة، وقوله تعالى " إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى " العلق " ٧، ٦ " وليست الأولاد في استلزام الفتنة مثلها فكان تقديمها أولى(١٠٢).

فأوضح سبحانه على لسان نبيه نوح عليه الصلاة والسلام شيئا من صفاته عز وجل، وأنه الذي يمدهم بما يمدهم به من الأرزاق، والخير الكثير، والنعم العظيمة، وأنه المستحق لأن يعبد ويطاع، ويعظم جل وعلا (١٠٣).

فقد أَخْبَرَ أَنَّهُ أَمَرَهُمْ بِالِاسْتِغْفَارِ، وَأَنَّهُمْ إِذَا اسْتَغْفَرُوا دُرَّ لَهُمُ الرِّزْقُ فِي الدُّنْيَا، فَقَدَّمَ مَا يَسُرُّهُمْ وَمَا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ، إِذِ النَّفْسُ مُتَشَوِّفَةٌ إِلَى الْحُصُولِ عَلَى الْعَاجِلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ " آية ١٣ الصف، وَقِيلَ: لَمَّا كَذَّبُوهُ بَعْدَ طُولِ تَكْرَارِ الدُّعَاءِ قَحَطُوا وَأَعْقَمَ نِسَاؤُهُمْ، فَبَدَأَهُمْ فِي وَعْدِهِ بِالْمَطَرِ، ثُمَّ ثنى بالأموال والبنين (١٠٤).

وتظهر البلاغة القرآنية في التعبير بقوله " إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا " حتى لا تظنوا أن غفرانه إنما حدث الآن بل هو أبدًا هكذا عادته أنه غفارٌ في حق من استغفر (١٠٥).

ثم انتقل الحق من مقام الترغيب إلى مقام الترهيب فقال " مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا " فبعد أن أدبهم الأدب الخلقي بطلبه منهم تهذيب نفوسهم واتباعهم مكارم الأخلاق... شرع يؤدِّبهم الأدب العلمي بدراسة التشريح وعلم النفس ودراسة أحوال العوالم العلوية والسفليّة فقال " مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا "، إنكار لأن يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقارًا على أن الرجاء بمعنى الاعتقاد، والوقار العظمة، و"ما " للاستفهام الإنكاري التوبيخي (١٠٦).

إذ صدر بقوله: ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب، وهذا يقتضي أن يكون الكلام كناية تلويحية عن حثهم على الإيمان بالله

الذي يستلزم رجاء ثوابه وخوف عقابه لأن من رجا تعظيم الله إياه آمن به وعبده وعمل الصالحات(١٠٧).

يقول الإمام الطبري: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم معناه: ما لكم لا ترون لله عظمة، أو لا تبالون لله عظمة، أو لا تعظمون الله حق عظمته، والرجاء: الطمع والمخافة، ما لَكَمَ لَا تَكُونُونَ عَلَى حَالِ مَا يَكُونُ فِيهَا تَعْظِيمُ اللَّهِ إِيَّاكُمْ فِي دَارِ الثَّوَابِ وَلِلَّهِ بَيَانٌ لِلْمُوَقَّرِ(١٠٨).

ولعل الإختلاف في الوقوف على معنى هذا اللفظ المشترك دلالات نفسية أعمق، فهو يريد أن تذهب النفس فيه كل مذهب، فيكون ذلك أبلغ في إنكار لأن يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وَقارًا (١٠٩).

فكأن الكلام على هذا وعيد وتخويف، وكما قال بعض العلماء تَرْجُونَ على بابها في الرجاء وكأنه قال: ما لكم لا تجعلون رجاءكم لله وتلقاءه وقارا، ويكون على هذا التأويل منهم كأنه يقول: تؤدة منكم وتمكنا في النظر لأن الكفر مضمنه الخفة والطيش وركوب الرأس(١١٠).

والذي يتحصل معنا من هذا كله: هو أن القوم كانوا يبالغون في احتقاره عليه السلام والإستهزاء به والتندّر عليه فأمرهم الله بالتزام الجدّ في توقيره واحترامه والصدوف عن هذه المعاملة غير اللائقة، أي أنكم إذا وقرتم نوحا وتركتم الإستخفاف به والتندّر عليه كان ذلك طاعة لله وتقربا إليه وامتثالا لأوامره فما لكم لا تهتبلون هذه الفرصة فتفوزوا برضا الله بتوقيره واحترامه؟(١١١).

وقوله تعالى: " وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوارًا " قال ابن عباس ومجاهد: هي إشارة إلى التدريج الذي للإنسان في بطن أمه من النطفة والعلقة والمضغة، وقال جماعة من أهل التأويل هي إشارة إلى العبرة في اختلاف ألوان الناس وخلقهم وخلقهم وملهم، والأطوار: الأحوال المختلفة (١١٢).

كأنه قال لهم: ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للإيمان به، لأنه خلقكم أطوارًا: أي تارات: خلقكم أوّلا ترابا، ثم خلقكم نطفا، ثم خلقكم علقا، ثم خلقكم مضغا، ثم خلقكم عظاما ولحما، ثم أنشأكم خلقا آخر، وهنا لطيفة تظهر من مخاطبة نوح عليه السلام لعقولهم للنظر في أعماق أنفسهم ليحدث لهم اليقين من طلاقة القدرة فقد نبههم على النظر في أنفسهم أوّلا، لأنها أقرب منظور فيه منهم، ثم على النظر في العالم وما سوّى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السماوات والأرض(١١٣).

ثم وعظهم ليعتبروا، وأنتقل بهم للحديث عن أدلة أخرى فلفت أنظارهم إلى السماوات وما فيهن مما يدلل على قدرته تعالى ليقيم عليهم الحجة بعدما ساق لهم الدليل من أنفسهم على توحيده تعالى وطلاقة قدرته فأراد أن يوجه أنظارهم لبعض الخلائق الهائلة فقال " أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجًا " وفى هذا الاستفهام دعوة إلى إيقاظ هذه العقول النائمة، وفتح تلك العيون المغلقة التي لا ترى شيئا فيما حولها من هذا الوجود، وما فيه من آيات شاهدة على قدرة الله وحكمته(١١٤).

والإخبار عن القمر بأنه نور مبالغة في وصفه بالإنارة بمنزلة الوصف بالمصدر، والقمر ينير ضوؤه الأرض إنارة مفيدة بخلاف غيره من نجوم الليل فإن إنارتها لا تجدي البشر، والإخبار به عن الشمس من التشبيه البليغ وهو تشبيه، والقصد منه تقريب المشبه من إدراك السامع، فإن السراج كان أقصى ما يستضاء به في الليل وقل من العرب من يتخذه وإنما كانوا يرونه في أديرة الرهبان أو قصور الملوك وأضرابهم، وقدم الجار والمجرو " فِيهِنَّ " على المفعول الثاني " نُورًا " لإظهار الإهتمام والعناية بالسموات السبع اللواتي يحوين القمر والشمس(١١٥).

وقوله " فِيهِنَّ " في السماوات، وهو يريد في السماء الدنيا، لأنّ بين السماوات ملابسة من حيث أنها طباق وقيل: " إنما هو في السماء الدنيا لأن بين السماوات وبين

السماء الدنيا مناسبة "، فجاز أن يقال: فيهنّ كذا، وإن لم يكن في جميعهنّ كما يقال: في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها " وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا " يبصر أهل الدنيا في ضوئها كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره، والقمر ليس كذلك، إنما هو نور لم يبلغ قوّة ضياء الشمس(١١٦).

وتأمل دقة التعبير القرآني عند الحديث عن القمر قال " وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا" وعندما تحدث عن الشمس قال " وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا " مع أن كلًا منهما فيه معنى الإضاءة، لكن جاءت المغايرة بينهما بالتعبير عنهما بلفظ مغاير متفقًا مع نور القمر الذي لا يبلغ مبلغ نور الشمس والتي هي مصدر الضوء فجاء التعبير عنها بالسراج.

وقد اجتمع في قوله " وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا " استدلال وامتنان ففي جعل القمر نورا إيماء إلى أن ضوء القمر ليس من ذاته، فإن القمر مظلم وإنما يستضيء بانعكاس أشعة الشمس على ما يستقبلها من وجهه بحسب اختلاف ذلك... وبعكس ذلك جعلت الشمس سراجا لأنها ملتهبة وأنوارها ذاتية فيها صادرة عنها إلى الأرض وإلى القمر، مثل أنوار السراج تملأ البيت وتلمع أواني الفضة ونحوها مما في البيت من الأشياء المقابلة (١١٧).

وقوله تعالى " وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا " أي الذي ترونه وهو في السماء الدنيا، وبدأ به لقربه وسرعة حركته وقطعه جميع البروج في كل شهر مرة وغيبته في ليالي السرار ثم ظهوره، وذلك أعجب في القدرة، ثم علل ذكر الشمس ولما كان نوره مستفادًا من نور الشمس ذكر الشمس معظمًا لها بإعادة العامل وهوه النور العظيم في السماء الرابعة والتي تكشف ظلمة الليل عن وجه الأرض(١١٨).

فقد دعاهم نوح إلى النظر في أنفسهم أولا ثم دعاهم للنظر في الآفاق، وهذا يتماشى مع نفسية قومه وعشيرته ودرجة تقبلهم لدعوته، فقد عاش فيهم سنين ويعلم ما

تكنه صدورهم وما تنطوي عليه نفوسهم من العناد والمكابرة وعدم قبول الحق، فتدرج بعقولهم فدعاهم للنظر في أنفسهم أولا، ثم دعاهم للنظر في العالم العلوي والسفلي.

يقول صاحب البحر المحيط: لَمَّا نَبَّهَهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْفِكْرِ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَكَيْفَ انْتَقَلُوا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَكَانَتِ الْأَنْفُسُ أَقْرَبَ مَا يُفَكِّرُونَ فِيهِ مِنْهُمْ، أَرْشَدَهُمْ إِلَى الْفِكْرِ فِي الْعَالَمِ عُلْوِهِ وَسُفْلِهِ، وَمَا أَوْدَعَ تَعَالَى فِيهِ، أَيْ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ مِنْ هَذَيْنِ النَّيِّرَيْنِ اللَّذَيْنِ بِهِمَا قِوَامُ الْوُجُودِ(١١٩).

ويستمر نوح عليه السلام في لفت أنظارهم لمشاهدة طلاقة قدرة المولي عز وجل في هذا الكون وفي نشأتهم من العدم وإعادتهم مرة أخري بعد الموت، ونلاحظ بلاغة الألفاظ التي عبرت عن نشأة الإنسان من الأرض بالإنبات، مما يدل على الحدوث والتكون من الأرض، وفي هذا تناسب مع خلق آدم عليه السلام قال تعالى " وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها، وَيُخْرِجُكُمْ إِخْراجًا " والآية الكريمة استعارة تصريحية لأنه شبّههم بالنبات، فقد استعار الإنبات للإنشاء كما يقال زرعك الله للخير، وكانت هذه الاستعارة ذات فائدة لأنها دلّت على الحدوث فإنهم إذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات وفيه قيل للحشوية النباتية والنوابت لحدوث مذهبهم في الإسلام(١٢٠).

وقدم لفظ الجلاله " اللَّهُ " للتعظيم فالإنبات استعارة في الإنشاء، فقد أنشاء آدم من الأرض وصارت ذريته منه، فصّح نسبتهم كلهم إلى أنهم أُنبتوا منها وفي ذلك دلالة واضحة على عظمة الله تعالى (١٢١).

فقد صرح الحق بالبعث فقال مستعيرًا الإنبات للإنشاء " والله " أي الملك الأعظم الذي له الأمر كله " أنبتكم " أي بخلق أبيكم آدم عليه الصلاة والسلام " من الأرض " أي كما ينبت الزرع، وعبر بذلك تذكيرًا لنا لما كان من خلق أبينا آدم عليه الصلاة والسلام لأنه أدل على الحدوث والتكون من الأرض، وأشار إلى أنه جعل

غذءانا من الأرض التي خلقنا منها، وبذلك الغذاء نمونا، ولما كان إنكارهم للبعث كأنه إنكار للابتداء أكده بالمصدر وأجراه على غير فعله بتجريده من الزيادة، إشارة إلى هوانه عليه سبحانه وتعالى وسهولته مع أنه إبداع وابتداء واختراع، فقال " نباتًا " ...، ولما كان في الموت أيضًا دليل على تمام العلم والقدرة غير أنه ليس كدلالة الابتداء بالابتداع، وكان مسلمًا ليس فيه نزاع، ذكره من غير تأكيد بالمصدر فقال دالًا على البعث والنشور " ثم يعيدكم " على التدريج " فيها " أي الأرض بالموت والإقبار وإن طالت(١٢٢).

فقد انتقل نوح –عليه السلام– من تنبيههم إلى ما في خلق السماوات والشمس والقمر من دلالة على وحدانية الله وقدرته.. إلى لفت أنظارهم إلى التأمل في خلق أنفسهم، وفي مبدئهم وإعادتهم إلى الحياة مرة أخرى بعد موتهم، فقال– كما حكى القرآن عنه " وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها وَيُخْرِجُكُمْ إِخْراجًا " والمراد بأنبتكم: أنشأكم وأوجدكم، فاستعير الإنبات للإنشاء للمشابهة بين إنبات النبات، وإنشاء الإنسان من حيث إن كليهما تكوين وإيجاد للشيء بقدرته – تعالى والمراد " بأنبتكم " أنبت أصلكم وهو أبوكم آدم فأنتم فروع عنه(١٢٣).

ونباتا: اسم من أنبت، عومل معاملة المصدر فوقع مفعولا مطلقا ل أنبتكم للتوكيد، ولم يجر على قياس فعله فيقال: إنباتا، لأن نباتا أخف فلما تسنى الإتيان به لأنه مستعمل فصيح لم يعدل عنه إلى الثقيل كمالا في الفصاحة، بخلاف قوله بعده إخراجا فإنه لم يعدل عنه إلى: خروجا، لعدم ملاءمته لألفاظ الفواصل قبله المبنية على ألف مثل ألف التأسيس فكما تعد مخالفتها في القافية عيبا كذلك تعد المحافظة عليها في الأسجاع والفواصل كمالا(١٢٤).

يقول الإمام الرازي: كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ: أَنْبَتَكُمْ إِنْبَاتًا إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ بَلْ قَالَ: " أَنْبَتَكُمْ نَبَاتًا " وَالتَّقْدِيرُ أَنْبَتَكُمْ فَنَبَتُّمْ نَبَاتًا، وَفِيهِ دَقِيقَةٌ لَطِيفَةٌ: وَهِيَ أَنَّهُ لَوْ قَالَ: أنبتكم إنباتا كان المعنى أنبتكم إنباتا عجيبا غَرِيبًا، وَلَمَّا قَالَ: " أَنْبَتَكُمْ نَبَاتًا " كَانَ

الْمَعْنَى أَنْبَتَكُمْ فَنَبَتُّمْ نَبَاتًا عَجِيبًا، وَهَذَا الثَّانِي أَوْلَى لِأَنَّ الْإِنْبَاتَ صِفَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَصِفَةُ اللَّهِ غَيْرُ مَحْسُوسَةٍ لَنَا، فَلَا نَعْرِفُ أَنَّ ذَلِكَ الْإِنْبَاتَ إِنْبَاتٌ عَجِيبٌ كَامِلٌ إِلَّا بِوَاسِطَةِ إِخْبَارِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا الْمَقَامُ مَقَامُ الِاسْتِدْلَالِ عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا يُمْكِنُ إِثْبَاتُهُ بِالسَّمْعِ ... وَكَوْنُ النَّبَاتِ كَذَلِكَ أَمْرٌ مُشَاهَدٌ مَحْسُوسٌ، فَيُمْكِنُ الِاسْتِدْلَالُ بِهِ عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَكَانَ هَذَا مُوَافِقًا لِهَذَا الْمَقَامِ فَظَهَرَ أَنَّ الْعُدُولَ مِنْ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ إِلَى هَذَا الْمَجَازِ كَانَ لِهَذَا السِّرِّ اللَّطِيفِ، أَمَّا قَوْلُهُ " ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها "، فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمَعْهُودَةِ فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا كَانَ قَادِرًا عَلَى الِابْتِدَاءِ كَانَ قَادِرًا عَلَى الْإِعَادَةِ(١٢٥).

ثم ختم نوح –عليه السلام– إرشاداته لقومه، بلفت أنظارهم إلى نعمة الأرض التي يعيشون عليها فقال " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطًا لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلًا فِجاجًا " وجاء التنكير في قوله " سُبُلًا "، إشارة إلى التكثير فهي هنا بمعنى الطرق الواضحة المسلوكة بكثرة ومعنى الآية والله– تعالى– وحده هو الذي جعل لكم– بفضله ومنته الأرض مبسوطة، حيث تتقلبون عليها كما يتقلب النائم على البساط، وجعلها لكم كذلك " لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلًا " أي: لكي تتخذوا منها لأنفسكم طرقا فِجاجًا أي: متسعة جمع فج وهو الطريق الواسع " بِساطًا " تشبيه بليغ أي: جعلها لكم كالبساط، وهذا لا يتنافى مع كون الأرض كروية، لأن الكرة إذا عظمت جدًا، كانت القطعة منها كالسطح والبساط في إمكان الانتفاع بها، والتقلب على أرجائها، وهكذا نرى أن نوحا– عليه السلام– قد سلك مع قومه مسالك متعددة لإقناعهم بصحة ما يدعوهم إليه، ولحملهم على طاعته، والإيمان بصدق رسالته لقد دعاهم بالليل والنهار، وفي السر وفي العلانية، وبين لهم أن طاعتهم لله– تعالى– تؤدي إلى إمدادهم بالأموال والأولاد، والجنات والأنهار ووبخهم على عدم خشيتهم من الله– تعالى– وذكرهم بأطوار خلقهم، ولفت أنظارهم إلى بديع صنعه– سبحانه– في خلق السموات والشمس والقمر، ونبههم إلى نشأتهم من الأرض، وعودتهم إليها، وإخراجهم منها للحساب والجزاء، وأرشدهم إلى نعم الله– تعالى– في

جعل الأرض مبسوطة لهم وهكذا حاول نوح – عليه السلام– أن يصل إلى آذان قومه وإلى عقولهم وقلوبهم بشتى الأساليب الحكيمة، والتوجيهات القويمة في صبر طويل وإرشاد دائم، ثم توجه عليه السلام بالشكوي لربه تعالى وهو تعالى يعلم السر وأخفي مما وصلوا اليه هولاء من العناد والمكابرة بعدما بذل كل الجهد لإقناعهم وبهذا يشير إلى حالة العناد التي كانوا عليها ويبرىء ساحته أمام ربه تعالى، وأن قومه قد بلغوا الغاية في الغباء والجهالة والعناد والطغيان، لذا نرى السورة الكريمة تحكى عن نوح– عليه السلام– ضراعته إلى ربه والتماسه منه– تعالى– استئصال شأفتهم وقطع دابرهم(١٢٦).

ومما يجب التنبيه إليه في هذا المقام أن " أسلوب الدعوة " الذي حكاه كتاب الله عن نوح عليه السلام لا يختلف في شيء عن أسلوب الدعوة الذي استعمله خاتم النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما أن الحجج والبراهين الكونية والنفسية التي كان نوح يقارع بها قومه هي نفس الحجج والبراهين التي واجه بها رسول الله مشركي قريش ومن لف لفهم(١٢٧).

وَلَمَّا أَصَرُّوا عَلَى الْعِصْيَانِ وَعَامَلُوهُ بِأَقْبَحِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، " قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ": الضَّمِيرُ لِلْجَمِيعِ، وَكَانَ قَدْ قَالَ لَهُمْ: وَأَطِيعُونِ، وَكَانَ قَدْ أَقَامَ فِيهِمْ مَا نَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وَكَانُوا قَدْ وَسَّعَ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ بِحَيْثُ كَانُوا يَزْرَعُونَ فِي الشَّهْرِ مَرَّتَيْنِ، " وَاتَّبَعُوا " أَيْ عَامَّتُهُمْ وَسَفَلَتُهُمْ، إِذْ لَا يَصِحُّ عَوْدُهُ عَلَى الْجَمِيعِ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، " مَنْ لَمْ يَزِدْهُ " أَيْ رُؤَسَاؤُهُمْ وَكُبَرَاؤُهُمْ، وَهُمُ الَّذِينَ كَانَ مَا تَأَثَّلُوهُ مِنَ الْمَالِ وَمَا تَكَثَّرُوا بِهِ مِنَ الْوَلَدِ سَبَبًا فِي خَسَارَتِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، وَكَانَ سَبَبُ هَلَاكِهِمْ فِي الدُّنْيَا (١٢٨).

أي قال نوح: رب إنهم عصونى فيما أمرتهم به، وأنكروا ما دعوتهم إليه، واتبعوا رؤساءهم الذين بطروا بأموالهم، واغتروا بأولادهم، فكان ذلك زيادة في خسرانهم وخروجا عن محجة الصواب وبعدا من رحمة الله(١٢٩).

يقول الإمام الألوسي: " قالَ نُوحٌ " أعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه عزّ وجلّ أي قال عليه السلام مناجيا له تعالى شاكيا إليه عزّ وجلّ " رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي " أي داموا على عصياني فيما أمرتهم به مع ما بالغت في إرشادهم بالعظة والتذكير " وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسارًا " أي واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين أبطرتهم أموالهم وغرتهم أولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة فصاروا أسوة لهم في الخسار والظاهر أن اتباع عامتهم وسفلتهم لأولئك الرؤساء وفي وصفهم بذلك إشعار بأنهم اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الأموال والأولاد لا لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع في الجملة(١٣٠).

ونوح عليه السلام أراد أن ينقل المشهد برمته ليظهر حال هولاء القوم فليس المراد من " اتبعوا " أنهم عصوه أولًا ثم اتبعوا رؤساءهم لكن المراد أنهم ظلوا واستمروا في اتباع الرؤساء أي اتَّبَعَ الْأَصَاغِرُ رُؤَسَاءَهُمْ، وَأَهْلَ الثَّرْوَةِ مِنْهُمُ الَّذِينَ لَمْ يَزِدْهُمْ كَثْرَةُ الْمَالِ وَالْوَلَدِ إِلَّا ضَلَالًا فِي الدُّنْيَا وَعُقُوبَةً فِي الْآخِرَةِ... وأَنَّهُمُ اسْتَمَرُّوا عَلَى اتِّبَاعِهِمْ لَا أَنَّهُمْ أَحْدَثُوا الِاتِّبَاعَ(١٣١).

وعبر بالموصول في قوله " وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ " ولم يقل بأنهم اتبعو الرؤساء والكبراء ليتضح لنا أن السر وراء اتباع رؤساءهم البطرين بأموالهم المغترين بأولادهم بحيث صار ذلك سببًا لزيادة خسارهم في الآخرة، إنما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم بالأموال والأولاد وأدت بهم إلى الخسار(١٣٢).

يقول صاحب التحرير والتنوير: وعدل عن التعبير عنهم بالكبراء ونحوه إلى الموصول لما تؤذن به الصلة من بطرهم نعمة الله عليهم بالأموال والأولاد، فقلبوا النعمة عندهم موجب خسار وضلال، وأدمج في الصلة أنهم أهل أموال وأولاد إيماء إلى أن ذلك سبب نفاذ قولهم في قومهم وائتمار القوم بأمرهم: فأموالهم إذ أنفقوها لتأليف أتباعهم قال تعالى " إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله" **الأنفال: ٣٦**، وأولادهم أرهبوا بهم من يقاومهم، ولا تعارض ولا اشكال بين قوله تعالى عند الحديث عن زيادة

المال والولد وعدها من باب النعمة وكان هذا في مقام الترغيب كما قال تعالى: " وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ " وبين وعدها هنا من باب الخسران والبوار في هذا المقام لأن العلة في هذا أنهم اتبعوا أهل الأموال والأولاد والتي لم تزدهم تلك الأموال والأولاد إلا خسارا لأنهم استعملوها في تأييد الكفر والفساد فزادتهم خسارا إذ لو لم تكن لهم أموال ولا أولاد لكانوا أقل ارتكابا للفساد(١٣٣).

يقول الإمام الرازي: هَذَانِ وَإِنْ كَانَا مِنْ جُمْلَةِ الْمَنَافِعِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا أَنَّهُمَا لَمَّا صارا سببا للخسار فِي الْآخِرَةِ فَكَأَنَّهُمَا صَارَا مَحْضَ الْخَسَارِ وَالْأَمْرُ كَذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ لِأَنَّ الدُّنْيَا فِي جَنْبِ الْآخِرَةِ كَالْعَدَمِ فَإِذَا صَارَتِ الْمَنَافِعُ الدُّنْيَوِيَّةُ أَسْبَابًا للخسار فِي الْآخِرَةِ صَارَ ذَلِكَ جَارِيًا مَجْرَى اللُّقْمَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْحُلْوِ إِذَا كَانَتْ مَسْمُومَةً سُمَّ الْوَقْتِ، وَاسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ عَلَى الْكَافِرِ نِعْمَةٌ لِأَنَّ هَذِهِ النِّعَمَ اسْتِدْرَاجَاتٌ وَوَسَائِلُ إِلَى الْعَذَابِ الْأَبَدِيِّ فَكَانَتْ كَالْعَدَمِ، وَلِهَذَا الْمَعْنَى قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ " لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسارًا ".

ثم انتقل إلى النَّوْعُ الثَّالِثُ مِنْ قَبَائِحِ أفعالهم قوله تعالى: " وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا "، قوله: " وَمَكَرُوا " مَعْطُوفٌ عَلَى " مَنْ لَمْ يَزِدْهُ " لِأَنَّ الْمَتْبُوعِينَ هُمُ الَّذِينَ مَكَرُوا وَقَالُوا لِلْأَتْبَاعِ " لَا تَذَرُنَّ "، والمراد بالْمَكْرُ الكبار هو أنهم قالوا لأتباعهم: لا تَذَرُنَّ وَدًّا فَهُمْ مَنَعُوا الْقَوْمَ عَنِ التَّوْحِيدِ، وَأَمَرُوهُمْ بِالشِّرْكِ، وَلَمَّا كَانَ التَّوْحِيدُ أَعْظَمَ الْمَرَاتِبِ، لَا جَرَمَ كَانَ الْمَنْعُ مِنْهُ أَعْظَمَ الْكَبَائِرِ فَلِهَذَا وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ كُبَّارٌ، وسماه " مكرا " لوجهين الأول: لِمَا فِي إِضَافَةِ الْإِلَهِيَّةِ إِلَيْهِمْ مِنَ الْحِيلَةِ الْمُوجِبَةِ لِاسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى عِبَادَتِهَا، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: هَذِهِ الْأَصْنَامُ آلِهَةٌ لَكُمْ، وَكَانَتْ آلِهَةً لِآبَائِكُمْ، فَلَوْ قَبِلْتُمْ قَوْلَ نُوحٍ لَاعْتَرَفْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ جَاهِلِينَ ضَالِّينَ كَافِرِينَ، وَعَلَى آبَائِكُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا كَذَلِكَ، وَلَمَّا كَانَ اعْتِرَافُ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ، وَعَلَى جَمِيعِ أَسْلَافِهِ بِالْقُصُورِ وَالنَّقْصِ وَالْجَهْلِ شَاقًّا شَدِيدًا صَارَتِ الْإِشَارَةُ إِلَى هَذِهِ الْمَعَانِي بِلَفْظِ " آلِهَتِكُمْ " صَارِفًا لَهُمْ عَنِ الدِّينِ، فَلِأَجْلِ اشْتِمَالِ هَذَا الْكَلَامِ عَلَى هَذِهِ الْحِيلَةِ الْخَفِيَّةِ سَمَّى اللَّهُ كَلَامَهُمْ مَكْرًا، والثَّانِي: أَنَّهُ تَعَالَى حَكَى عَنْ

أُولَئِكَ الْمَتْبُوعِينَ أَنَّهُمْ كَانَ لَهُمْ مَالٌ وَوَلَدٌ، فَلَعَلَّهُمْ قَالُوا لِأَتْبَاعِهِمْ إِنَّ آلِهَتَكُمْ خَيْرٌ مِنْ إِلَهِ نُوحٍ، لِأَنَّ آلِهَتَكُمْ يُعْطُونَكُمُ الْمَالَ وَالْوَلَدَ، وَإِلَهُ نُوحٍ لَا يُعْطِيهِ شَيْئًا لِأَنَّهُ فَقِيرٌ، فَبِهَذَا الْمَكْرِ صَرَفُوهُمْ عَنْ طَاعَةِ نُوحٍ(١٣٤).

ولنتأمل جمال التعبير القرآني وبلاغة ودقة ألفاظه حيث عبر بقوله "ومكروا" التي تدل على الكيد له، ولم يعبر بلفظ آخر فلم يقل مثلًا " احتالوا " فجاء التعبير ب "مكروا" ليدلل على تعمد هولاء النيل من نوح عليه السلام وممن معه، وكما أن المكر لا يكون إلا مع تدبر وفكر بخلاف الحيل، ولأن من الحيل ما ليس بمكر وهو أن يقدر نفع الغير لا من وجهة فيسمى ذلك حيلة مع كونه نفعا، وكما أن المكر لا يكون نفعا وفرق آخر وهو أن المكر بقصد ضرر الغير من غير أن يعلم به وسواء كان من وجهه أو لا، والحيلة لا تكون من غير وجهه، وسمى الله تعالى ما توعد به الكفار مكرا في قوله تعالى " فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون " وذلك أن الماكر ينزل المكروه بالممكور به حيث لا يعلم فلما كان هذا سبيل ما توعدهم به من العذاب سماه مكرا ويجوز أن يقال سماه مكرا لأنه دبره وأرسله في وقته(١٣٥).

وأيضًا تجد الدقة في اختيار التعبير بالمصدر"وَمَكَرُوا مَكْرًا " ثم وصف المكر بقوله " كبارًا " للمبالغة، ولأنهم منعوا القوم عن التوحيد وأمروهم بالشرك، واعلم أنه لما كان التوحيد أعظم المراتب، لا جرم كان المنعُ منه أعظم الكبائر، فلهذا وصفه اللَّهُ تعالى بأنه كبار(١٣٦).

والتعبير بقوله " كُبَّارًا " فيه من المبالغة ماليس في غيره، الكُبَار والكُبَّار والكبير بمعنى واحد، إلا أنّ بينها تفاوتًا في المبالغة. فالكبَّار أشدها مبالغة، والكُبَار دون ذلك، ويروى أنّ أعرابيًا سمع النبي صل صلى الله عليه وسلم يقرأ " وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا " فقال: ما أفصح ربك يا محمد، وهذا من جفاء الأعراب؛ لأنّ الله تعالى لا يوصف بالفصاحة(١٣٧).

ثم انتقل نوح – عليه السلام–إلى مرحلة جديدة فحكي أقوالهم التي قالوها "وَقالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ، وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُواعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلالًا ".

" لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ " أي عبادتها، " وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُواعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا " وَلا تَذَرُنَّ هؤلاء خصوصًا، كأن هذه المسميات كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم، فخصوها بعد قولهم لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ (١٣٨).

أي ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لأنها كانت أكبر اصنامهم وأعظمها عندهم(١٣٩).

وانظر كيف فصل تلك الآلهة بقوله: " وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا " وجرَّد الأخيرين عن حرف النفي؛ إذ بلغ التأكيد نهايته، وعلم أن القصد إلى كل فرد فرد لا إلى المجموع من حيث هو مجموع، أي ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوصًا، فهو من عطف الخاص على العام خصوصًا بالذكر مع اندراجها فيما سبق؛ لأنّها كانت أكبر أصنامهم وأعظم ما عندهم(١٤٠).

ولاحظ كثرة ورود الأسماء في السورة الكريمة ومن هذه الأسماء أسماء لآلهة يعبدونها، وسبب كثرة الأسماء يعود إلى طبيعة موضوع الجدل وهو إرساء دعائم العقيدة وتثبيتها في القلوب، وذلك بالتعريف بأهم أركان العقيدة كالإيمان بالله، كما تدل الأسماء على خصوصيات بعض الأقوام مثل ما ورد في سورة نوح عليه السلام " ودّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا "، وكما تدل الأسماء على أيضًا على ردود الأفعال السلبية وذلك بإثبات أوصاف سيئة لأنبيائهم واتباعهم، كما ساهمت الأسماء في وصف إيجاد تصنيف جديد للأقوام " المؤمن، الكافر، الفاجر " (١٤١).

وتوضح هذه الآيات أن الغلو في الصالحين ومجاوزة الحد بهم درجتهم إلى أن عبدوا من دون الله وصار ذلك سببًا لهلاك العابدين والغالين، والغلو سبب أول شرك

حصل في بني آدم كما حصل من قوم نوح فهم أول من أحدث الشرك ونوح عليه السلام أول رسول أرسل بالدعوة إلى توحيد الله والإنذار والتحذير عن الشرك(١٤٢).

وقد انتقلت هذه الأصنام بأعيانها عنهم إلى العرب، فكان وَدًّ لكلب بدُّومة الجندل بضم، قال دُومة، ولذلك سمت العرب بعبد ودٍّ، وهو صنم سمي بذلك إما لمودتهم له أو لاعتقادهم أن بينه وبين البارىء تعالى مودّة تعالى الله عن ذلك، وكان سُوَاع لهمْدان قبيلة باليمن، ويَغُوث لمذ حجٍ، ويَعُوق لمراد، وهو كغراب أبو قبيلة، سمّي به لأنّه تمرّد، ونَسْر لحِمْير موضع غربيّ صنعاء اليمن،

وقيل: انتقلت أسماؤها إليهم فاتخذوا أمثالها، فعبدوها إذ يبعد بقاء أعيان تلك الأصنام، كيف وقد خربت الدنيا في زمان الطوفان، ولم يضعها نوح في السفينة؛ لأنّه بعث لنفيها، وجوابه: أنّ الطوفان دفنها في ساحل جدة فلم تزل مدفونة حتى أخرجها اللعين لمشركي العرب (١٤٣).

وقيل: بأن انتقالها إلى العرب بواسطة نقل أحوال قوم نوح وأبنائهم وعوائدهم، على ألسنة الرحل والسّمار، لأن سيرة القرن المتقدم في العصر المتأخر، وسنة الخالف أن يؤرخ السالف، وجلي أن النفس أميل إلى الجهل منها إلى العلم، لا سيما إذ زين له المنكر بصفة تميل إليها، فتكون ألصق به، وهكذا كان بعد انقراض العلم وحملته(١٤٤).

وقوله: " وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا " يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح: وقد ضلّ بعبادة هذه الأصنام التي أُحدثت على صور هؤلاء النفر المسمينَ في هذا الموضع كثير من الناس فنُسِب الضّلال إذ ضلَّ بها عابدوها إلى أنها المُضِلة (١٤٥).

وقد اختلف العلماء في عودة الضمير في قوله تعالى "أَضَلُّوا" هل يعود على الأصنام أم على الرؤساء وفي العدول عن الاسم الظاهر إلى الضمير يفتح الباب لإعمال العقل والبحث عن عودة الضمير لتقف على السبب في إضلال هولاء، وإن كان الرؤساء والزعماء وكذلك الأصنام جميعهم كانوا سببًا في ضلال قوم نوح عليه السلام.

يقول العلامه الزحيلي: الضمير للرؤساء بأن أمروهم بعبادتهم، أو للأصنام، وَأَجْرَى عَلَيْهِمْ ضَمِيرَ مَنْ يَعْقِلُ لِاعْتِقَادِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهَا أَنَّهَا تَعْقِلُ (١٤٦).

وقوله تعالى: " وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلالًا " هنا يظهر مدى اليأس وحالة الإحباط التي وصل اليها نوح عليه السلام من عدم استجابتهم، وأن الله تعالى أعطى لنوح عليه السلام مؤشرًا على اقتراب هلاك هولاء، فتوجه إلى الله تعالى بهذه الدعوات عليهم بزيادة الضلال، فإن قلت: كيف جاز أن يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته؟ قلت: المراد بالضلال: أن يخذلوا ويمنعوا الألطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من إيمانهم، وإنما دعا عليهم بذلك بعد أن أعلمه الله تعالى أنهم لا يؤمنون، حيث قال له " إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن " وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به، بل لا يحسن الدعاء بخلافه، ويجوز أن يريد بالضلال: الضياع والهلاك، لقوله تعالى " وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبارًا " (١٤٧).

يقول الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي رحمه الله تعالى: دعاء نوح – عليه السلام– عليهم بالازدياد من الضلال الذي هو ضد الهدى، إنما كان بعد أن يئس من إيمانهم وبعد أن أخبره ربه أنهم لن يؤمنوا، والتعبير بزيادة ضلالهم بمثابة تأكيد على ضلالهم ورسوخهم في الضلال؛ لأن " الزيادة لا تكون إلا على أصل (١٤٨).

وقد ختم نوح شكواه إلى الله بالدعاء على الضالين المتحدث عنهم بأن يزيدهم الله ضلالا، والمراد بالظالمين قومه الذين عصوه فكان مقتضى الظاهر التعبير عنهم بالضمير عائدا على قومي من قوله " دعوت قومي ليلًا ونهارًا " فعدل عن الإضمار إلى الإظهار على خلاف مقتضى الظاهر لما يؤذن به وصف الظالمين من استحقاقهم الحرمان من عناية الله بهم لظلمهم، أي إشراكهم بالله فالظلم هنا الشرك " إن الشرك لظلم عظيم " لقمان: ١٣، والضلال مستعار لعدم الاهتداء إلى طرائق المكر الذي خشي نوح غائلته في قوله " ومكروا مكرا كبارا "، أي حل بيننا وبين مكرهم ولا تزدهم إمهالا

في طغيانهم علينا إلا أن تضللهم عن وسائله، فالآيات تكشف لنا أن هؤلاء القوم من خلال إصرار رؤسائهم على الانحراف، وهذا الإصرار من رؤسائهم على الانحراف أصبح هو الحاجز عن إمكانية تعديل السلوك، ولذلك لفت نظرنا إلى جانب مهم جدًا ألا وهو إصرار المتبوعين لأتباعهم على أن لا يذروا آلهتهم ولا يذروا ودًا ولا سواعًا ولا يغوثًا..الخ، مما يكشف أنه كان من الممكن أن يستجيبوا لدعوة نوح عليه السلام لولا أن الرؤساء هم الذين حملوهم على عدم الاستجابة، وبهذا نكشف أن هذا الحوار المنقول قد كشف لنا كثيرًا من الحقائق المرتبطة باستجابة القوم وأنماطها من جانب، وبالمراحل الزمنية المطولة والمتنوعة من جانب آخر حتى إذا انطوت هذه المراحل جميعًا ووصل السلوك الملتوي إلى قمته بحيث بلغ إلى مرحلة اليأس عندئذٍ اتجه نوح عليه السلام بخطابه إلى الله سبحانه وتعالى من جديد وقال " ربي لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا "، حيث إن هذه المرحلة تكشف عن أن القرون العديدة التي قطعها نوح عليه السلام لإنذار قومه لم تجد نفعًا، ولذلك فإن المسوغ الموضوعي تمامًا يدفعه إلى أن يطلب من الله سبحانه وتعالى بأن يبيد هؤلاء الكافرين إبادة تامة لأن الموقف يتطلب ذلك بصفة أن ما يقارب الألف عام من الإنذار لم تترك أثرها، فحينئذٍ لابد أن يتجانس هذا مع العقاب الذي ينبغي أن يكون مبيدًا ومدمرًا وهذا ما حدث بالفعل في حادثة الطوفان المعروفة.

وأفاد التنكير في " ديارًا "، الشمول لكل إنسان على وجه الأرض فهذه اللفظة اسم مخصوص بالوقوع في النفي يعم كل إنسان، وهو اسم بوزن فيعال مشتق من اسم الدار فعينه واو لأن عين دار مقدرة واوا، فأصل ديار: ديوار فلما اجتمعت الواو والياء واتصلتا وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء ثم أدغمت في الياء الزائدة ومعنى ديار: من يحل بدار القوم كناية عن إنسان(١٤٩).

وقوله تعالى " مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا " هذا من كلام الله سبحانه إشعارًا بإجابة دعوة نوح عليه السلام، وتسلية

للرسول– صلى الله عليه وسلم – وأصحابه، وتخويفًا للعاصي من العذاب وأسبابه، والمعنى: أي من أجل معاصيهم وذنوبهم أغرقهم الله بالطوفان، وسيعذّبهم في قبورهم، ولا يجدون من آلهتهم أنصارًا ولا أعوانًا يدفعون عنهم ما كتب عليهم، وبذا ضل سعيهم وخاب فألهم، و " ما " مزيدة بين الجار والمجرور لتأكيد الحصر المستفاد من تقديم قوله: " مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ "، فإنه يدل على أنَّ إغراقهم بالطوفان لم يكن إلا من أجل خطيئاتهم، تكذيبًا لقول المنجمين من أن ذلك كان لاقتضاء الأوضاع الفلكية إياه، ونحو ذلك، فإنه كفر لكونه مخالفًا لصريح هذه الآية [١٥٠].

ونلاحظ لطيفة في تقديم الجار والمجرور في قوله " مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ " ليحصر أسباب العذاب والإغراق وما حلّ بهم بسبب ما أقترفوة من خطايا، ولبيان أن لم يكن إغراقهم بالطوفان، فإدخالهم النار إلا من أجل خطيئاتهم... وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا، فإن كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم، وإن كانت كبراهنّ، وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعى عليهم كفرهم، ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب العذاب، لئلا يتكل المسلم الخاطئ على إسلامه، ويعلم أنّ معه ما يستوجب به العذاب وإن خلا من الخطيئة الكبرى[١٥١].

وقوله تعالى: " أغرقوا " أي: من كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم " أغرقوا فأدخلوا نارا " أي: نقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار، " فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا " أي: لم يكن لهم معين ولا مغيث ولا مجير ينقذهم من عذاب الله، ولما كانوا قد استندوا إلى آلهتهم لتنصرهم من أخذ الله تعالى، قال مسببًا عن هذا الإغراق والإدخال من الرحمة ليكون ذلك أشد في العذاب، فإن الإنسان – كما قال الملوي: – إذا كان في العذاب ويرجو الخلاص يهون عليه الأمر بخلاف ما إذا يئس من الخلاص، معلمًا بأن آلهتهم عاجزة فإنهم لم تغن عنهم شيئًا، توبيخًا لمن يعبد مثلها " فلم يجدوا " وحقق الأمر فيهم بقوله " لهم " أي عندما أناخ الله بهم سطوته وأحل بهم نقمته [١٥٢].

وأفاد التعبير بقوله " أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نارًا " أنهم سيدخلون في الآخرة نارًا، فجاء لفظ الماضي بمعنى الاستقبال، لأن الوعد حق، هذا قول الأكثرين، وقال الضحاك: فأُدخلوا نارا في الدنيا، وذلك أنهم كان يغرقون من جانب، ويحترقون في الماء من جانب(١٥٣).

وقيل: عبّر عن المستقبل بالماضي لتحقّقه، والمراد إما عذاب القبر، فهو عقب الإغراق وإن كانوا في الماء، فإن من مات في ماء أو نار أو أكلته السباع أو الطير أصابه ما يصيب المقبور من العذاب، وللإعلام بأنه في غاية السهولة على الفاعل المختار الواحد القهار، فطاف الماء عليهم جميع الأرض السهل والجبل، فلم يبق منهم أحدًا، وكذا الكلام فيما تسبب عنه وتعقبه من قوله: " فأدخلوا " أي بقهر القهار (١٥٤).

وأفاد تنكير قوله " نارًا "، أي عظيمة جدًا أخفها ما يكون من مبادئها في البرزخ، في الدنيا بالغرق، وفي الآخرة بالحرق، والإياس من الرحمة، وأيّ عذاب أشد من ذلك، في حالة واحدة كانوا يغرقون في الماء من جانب ويحترقون في الماء من جانب آخر بقدرة الله سبحانه وتعالى (١٥٥).

فجعل دخولهم النار في الآخرة كأنه متعقب لإغراقهم لاقترابه، ولأنه كائن لا محالة، فكأنه قد كان، وفي تنكير النار إما لتعظيمها، أو لأن الله أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار نارًا عظيمة هائلة، وفي هذا زجر لمرتكب الخطايا مطلقًا وفي التعبير بقوله: " فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصارًا " تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وأنها غير قادرة(١٥٦).

قوله تعالى: " وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ".

وهنا غاير نوح عليه السلام في وصف هولاء المعارضين لدعوته وفي هذا مراعاة للمقام، فبعد ما وصفهم بالظالمين في أول السورة عاد هنا ووصفهم بالكفار وذلك

لصدهم الناس عن قبول دعوته، فكانوا سببًا في كفرهم وضلالهم، وهو أيضًا يعلم ما تنطوي عليه نفوسهم، فلا أمل عنده في إيمانهم بل أصبح خائفًا على القلة التي أمنت معه أن يفتنوا ويرتدوا على أعقابهم، ولذلك قال " إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ " وَالْمَعْنَى: لَا تَدَعْ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا أَهْلَكْتَهُ " إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ " إِنْ تَتْرُكْهُمْ عَلَى الْأَرْضِ يُضِلُّوا عِبَادَكَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ " وَلا يَلِدُوا إِلَّا فاجِرًا كَفَّارًا " قال ذلك لما جربهم واستقرى أحوالهم أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عامًا فعرف شيمهم وطباعهم(١٥٧).

ولما أتم الخبر عن إغراقهم وقدمه للاهتمام بتعظيم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إجابة دعوته تحذيرًا للعرب أن يخرجوا رسولهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيخرجوه إلى مثل ذلك، عطف على قول نوح عليه السلام من أوله قوله عندما أخبره تعالى أنهم مغرقون وأنه لا يؤمن منهم إلا من قد آمن بعدما طال بلاؤه بهم حتى أنه كان الرجل ليأتي بابنه إليه فيقول له: احذر هذا أن يضلك، وإن أبي حذر به، وكانت صيغة العموم ليست بنص في أفرادها أبدًا، استنجازًا لوعده وتصريحًا بمراده (١٥٨).

وقوله تعالى: " وَقَالَ نُوحٌ " الواو هنا للاستئناف، وعطف موقف على موقف.. فالعطف هنا يشعر بأن نوحا في موقف آخر، غير الموقف الذي كان يقفه بين يدي ربه ويشكو إليه قومه وما صنعوا معه.. وهو هنا في هذا الموقف الذي بلغ به غاية المطاف مع قومه ينهى موقفه معهم، ويقطع صلته بهم، ويطوى صفحة رسالته فيهم، بهذا الدعاء الذي يدعو به عليهم.. " رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّارًا " أي ساكن دار، وهو كناية عن القضاء على كل كافر، وما يضم بيته من مال ومتاع.. والمراد بالأرض هنا ليس مطلق الأرض، بل الأرض التي كان يسكنها قومه.. فإن نوحا أرسل إلى قوم، ولم يرسل إلى الناس جميعا.. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى في أول السورة " إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحًا إِلى قَوْمِهِ " ولو كان مرسلا إلى أهل الأرض جميعا، لجاء النظم هكذا: إنا أرسلنا نوحا إلى بنى آدم.. مثلا(١٥٩).

وقد أفادت " أل " التعريف في " الكافرين " استغراق الجنس لكل الكافرين الذين رفضوا دعوة نوح عليه السلام للتوحيد، وغيرهم من كفار الأرض الذين سيأتون بعدهم وذلك حرصا على سلامة المجتمع الإنساني من شوائب المفاسد وتطهيره من العناصر الخبيثة(١٦٠).

وعَن قَتَادَة فِي قَوْله " رب لَا تذر على الأَرْض من الْكَافرين ديارًا " قَالَ: أما وَالله مَا دَعَا عَلَيْهِم نوح حَتَّى أوحى الله إِلَيْهِ أَنه لن يُؤمن من قَوْمك إِلَّا من قد آمن فَعِنْدَ ذَلِك دَعَا عَلَيْهِم، والمعنى: " لَا تذر " أَحَدًا يَدُورُ فِي الْأَرْضِ فَيَذْهَبُ وَيَجِيءُ أَصْلُهُ مِنَ الدَّوَرَانِ، وَقِيل: إِنَّ أَصْلَهُ مِنَ الدَّارِ(١٦١).

قوله تعالى " إِنَّك إِن تذرهم يضلوا عِبَادك " يَعْنِي يضلوا من آمن من قومه بِكَثْرَة الإذاية فَرُبمَا رَجَعَ مِنْهُم إِلَى مَذْهَبهم وَقد يكون الْعباد هُنَا المولودين على الْفطْرَة الَّذين إِذا أدركوا يكفرون بِكفْر آبَائِهِم كَمَا ورد فِي الْخَبَر(١٦٢).

إِنَّمَا قَالَ نُوحٌ هَذَا حِينَ أَخْرَجَ اللَّهُ كُلَّ مُؤْمِنٍ مِنْ أَصْلَابِهِمْ وَأَرْحَامِ نِسَائِهِمْ وَأَعْقَمَ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ وَأَيْبَسَ أَصْلَابَ رِجَالِهِمْ قَبْلَ الْعَذَابِ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: سَبْعِينَ سَنَةً وَأَخْبَرَ اللَّهُ نُوحًا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَا يَلِدُونَ مُؤْمِنًا فَحِينَئِذٍ دَعَا عَلَيْهِمْ نُوحٌ فَأَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ، وَأَهْلَكَهُمْ كُلَّهُمْ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ صَبِيٌّ وَقْتَ الْعَذَابِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: " وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ " **الفُرقَانِ: ٣٧**، وَلَمْ يُوجَدِ التَّكْذِيبُ مِنَ الْأَطْفَالِ(١٦٣).

فبعد أن بذل نوح عليه السلام غاية جهده في سبيل هداية قومه وإصلاحهم، وصبره وحلمه الطويل عليهم، ومع ذلك كله " وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ " وأخيرًا لجأ إلى ربه يشكو قومه ودعا عليهم بالهلاك قائلًا: " رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا " وقد استجاب الله لدعاء رسوله(١٦٤).

ويظهر مدى الدقة في التعبير بلفظ " عبادك " الذي له دلالة نفسية ومعنوية تتفق مع الحالة التي عليها قوم سيدنا نوح عليه السلام، وهَذِهِ الْإِضَافَةُ لِلتَّخْصِيصِ وَالتَّفْضِيلِ، وَإِلَّا فَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِبَادُ اللَّهِ(١٦٥).

يقول الإمام الزمخشري " وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا " فإن قلت: بم علم أن أولادهم يكفرون، وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة؟ قلت: لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، فذاقهم وأكلهم وعرف طباعهم وأحوالهم، وكان الرجل منهم ينطلق بابنه إليه، ويقول: احذر هذا، فإنه كذاب، وإن أبى حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك، وقد أخبره الله عزّ وجل أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، ومعنى " لا يَلِدُوا إِلَّا فاجِرًا كَفَّارًا "، لا يلدوا إلا من سيفجر ويكفر، فوصفهم بما يصيرون إليه، وهو مجاز مرسل علاقته ما يئول إليه لأنهم لم يفجروا وقت الولادة بل بعدها بزمن طويل على كل حال(١٦٦).

وفي قوله " ولا يلدوا إلا فاجرا كفّارا " مجاز مرسل علاقته ما يئول إليه لأنهم لم يفجروا وقت الولادة بل بعدها بزمن طويل على كل حال(١٦٧).

وكأنه اعتذار مما عسى يرد عليه، من أن الدعاء بالاستئصال، مع احتمال أن يكون من أخلافهم من يؤمن منكر، وإنما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن أعقابهم، بعد ما جربهم، واستقرأ أحوالهم قريبا من ألف سنة(١٦٨).

يقول الإمام الرازي: فَإِنْ قِيلَ: مَا جُرْمُ الصِّبْيَانِ حِينَ أُغْرِقُوا؟ وَالْجَوَابُ مِنْ وُجُوهٍ الْأَوَّلُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَيْبَسَ أَصْلَابَ آبَائِهِمْ وَأَعْقَمَ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ قَبْلَ الطُّوفَانِ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْ " تِسْعِينَ "، فَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ صَبِيٌّ حِينَ أُغْرِقُوا، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ " اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِلَى قَوْلِهِ " وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ "، وَهَذَا يَدُلُّ بِحَسَبِ الْمَفْهُومِ عَلَى أَنَّهُمْ إِذَا لَمْ يَسْتَغْفِرُوا فَإِنَّهُ تَعَالَى لَا يُمْدِدْهُمْ بِالْبَنِينَ.

الثَّانِي: قَالَ الْحَسَنُ: عَلِمَ اللَّهُ بَرَاءَةَ الصِّبْيَانِ فَأَهْلَكَهُمْ بِغَيْرِ عَذَابٍ، الثَّالِثُ: غَرِقُوا مَعَهُمْ لَا عَلَى وَجْهِ الْعِقَابِ بَلْ كَمَا يَمُوتُونَ بِالْغَرَقِ وَالْحَرْقِ وَكَانَ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي عَذَابِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ إِذَا أَبْصَرُوا أَطْفَالَهُمْ يَغْرَقُونَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ [١٦٩].

وفي التعبير بقوله " كَفَّارًا "، دون التعبير بقوله " كفورا "، مع أن كلاهما للمبالغة، ولأن لفظ " الكَفَّار " أبلغ من الكفور[١٧٠]، كما أن صيغة " الكَفَّار " توحي بأن الكفر قد صار للموصوف حرفة يزاولها[١٧١]، لأن فعالا لتكثير الفعل، ومعالجة أَن يَجِيء على فعَّال لِأَن فعَّالًا لتكثير الْفِعْل وصاحبُ الصَّنْعَة مداوِمٌ لصنعته فجُعِل لَهُ الْبناء الدَّال على التكثير كالبَزَّار والعَطَّار وَغير ذَلِك مِمَّا لَا يُحصى كَثْرَة [١٧٢]، وهذا يدل على أنهم وأولادهم ترعرعوا وتربوا في بيئة ضلال وكفر، وعلى عادات وتقاليد آبائهم، فكانوا أشد كفرًا ممن سبقوهم، ولذلك جاء التعبير بصيغة المبالغة " كفَّار "، التي تفيد كثرة مزاولة الفعل وتكراره دون " كفور " التي تفيد المبالغة مع التجدد والاستمرار".

وَاعْلَمْ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا دَعَا عَلَى الْكُفَّارِ قَالَ بَعْدَهُ: " رَبِّ اغْفِرْ لِي " أَيْ فِيمَا صَدَرَ عَنِّي مِنْ تَرْكِ الْأَفْضَلِ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ حِينَ دَعَا عَلَى الْكُفَّارِ إِنَّمَا دَعَا عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ تَأَذِّيهِ مِنْهُمْ، فَكَانَ ذَلِكَ الدُّعَاءُ عَلَيْهِمْ كَالِانْتِقَامِ فَاسْتَغْفَرَ عَنْ ذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ طَلَبِ حَظِّ النَّفْسِ، " وَلِوَالِدَيَّ " ذنوبهما، وكانا مسلمين على ملّة إدريس عليه السلام، ولَمْ يَكُنْ بَيْنَ نُوحٍ وَآدَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ آبَائِهِ كَافِرٌ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آدَمَ عَشَرَةُ آبَاءٍ، والعامة على فتح الدال على أنه تثنية والد؛ يريد أبويه.. وقرأ الحسن بن على – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما –: ولولدي، تثنية ولد يعني ابنيه سامًا وحامًا، وقرأ ابن جبير: "ولوالِدِي" – بكسر الدال – يعني أباه، وعليه فيجوز أن يكون أراد أباه الأقرب الذي ولده، وخصَّه بالذِّكر لأنه أشرف من الأم، وأن يريد جميع من ولده من لدن آدم إلى زمن من ولده، وَقِيلَ: أَرَادَ آدَمَ وَحَوَّاءَ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: أَرَادَ بِوَالِدَيْهِ أَبَاهُ وَجَدَّهُ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يكفر لنوح أب ما بينه وبين آدم، " وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ "، يَعْنِي مَسْجِدَهُ، وَقِيلَ: مَنْزِلَهُ الَّذِي هُوَ سَاكِنٌ فِيهِ، وَقِيلَ: سَفِينَتَهُ، وَقِيلَ: لِمَنْ دَخَلَ فِي دِينِهِ [١٧٣].

وكان يدخل بيوت الأنبياء من آمن بهم فجعل المسجد سببا للدعاء بالمغفرة فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ، تَقُولُ: اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، وَأَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ "، ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها، وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن(١٧٤).

وقوله " وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا " فأفاد التنكير في قوله " مُؤْمِنًا " الشمول لكل مومن صدّق برسالة نوح عليه السلام، وآمن بدعوته من قومه، وأعاد الجار إظهارًا للاهتمام فقال " وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ " لأن المتحرم بالإنسان له حق أكيد لا سيما إن كان مخلصًا في حبه، وأفاد تنكير " مُؤْمِنًا " التخصيص ولانه بعد ما خص عم " وللمؤمنين والمؤمنات " أي العريقين في هذا الوصف في كل أمة إلى آخر الدهر ولا تزدهم في حال من الأحوال شيئًا من الأشياء إلا مفازًا(١٧٥).

وقوله: " وَلِلْمُؤْمِنِينَ والمؤمنات "، خصَّ نفسه أولًا بالذكر والدعاء، ثم المتصلين به لأنَّهم أولى، وأحق بدعائه، ثم عمَّ المؤمنين والمؤمناتِ إلى يوم القيامة، فالمرادَ بالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ عَامَّةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وقيل: مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقِيلَ: مِنْ قَوْمِهِ وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ، ثُمَّ خَتَمَ الْكَلَامَ مَرَّةً أُخْرَى بِالدُّعَاءِ عَلَى الْكَافِرِينَ فَقَالَ: " وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبارًا " أَيْ هَلَاكًا وَدَمَارًا، وَكُلُّ شَيْءٍ أُهْلِكَ فَقَدْ تَبَرَ وَمِنْهُ قَوْلُهُ: إِنَّ هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ " **الْأَعْرَافِ: ١٣٩** "، وَقَوْلُهُ " وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا " **الْإِسْرَاءِ: ٧** فالآية عَامَّةٌ فِي كُلِّ كَافِرٍ وَمُشْرِكٍ، وَقِيلَ: أَرَادَ مُشْرِكِي قَوْمِهِ، وَالتَّبَارُ: الْهَلَاكُ. وَقِيلَ: الْخُسْرَانُ، وَقِيلَ: التَّبَارُ الدَّمَارُ، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بذلك فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ فَأَهْلَكَهُمْ بِالْكُلِّيَّةِ(١٧٦).

وقدم المؤمنين على المؤمنات لبيان شرف الذكورة، وهذا كثير في القرآن الكريم، ولأن الذكر تقع على عاتقه المسئولية، وله حظ الأنثيين، ولكن لا فرق بينه وبين الأنثي في الحقوف(١٧٧).

ولابد أن نقف لنتأمل في الأدب الجم لسيدنا نوح عليه السلام وهو يتوجه إلى ربه بالدعاء " رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ .. " وكيف لا وهو أحد أولي العزم من الرسل، فهو يعلم منزلته ومكانته عند الله تعالى، وفي نفس الوقت لا ينسى بشريته مع أنه رسول من الله تعالى، فهو يعلم تمام العلم أنه لن يدخل الجنة بعمله إلا أن يتغمده الله برحمته وفضله، كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ " قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: " وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ " [١٧٨].

وتأمل التعبير بقوله تعالى: " ... ولا تزد الظالمين إلا ضلال "، وقال في أخر السورة: " .. ولا تزد الظالين إلا تبارا ".

للسائل أن يسأل عن الأول واختصاصه بالإضلال، وعن الثاني واختصاصه بالإهلاك الذي هو التبار؟

الجواب أن يقال: إن الأول جاء بعد قوله ... ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيراً..، أي: لما قالوا: " لا تذرن آلهتكم ولا تذرُن وَدّا ولا سواعا "، فأمروا أتباعهم بالتمسك بعبادة هذه الأصنام، وأضلوهم عن طريق الرشاد دعا عليهم نوح عليه السلام بان يضلهم التواب بعد استحقاق العقاب ليجاوب قوله " وقد أضلوا كتيرا " وأما الآخر فإن معناه؟ زدهم هلاكا على هلاك، وعذابا فوق عذاب بما وافوا عليه القيامة من كفر وضلال، وذلك عند دخول النار، فاقتضى كلّ من المكانين ما جاء فيه[١٧٩].

والضلال مستعار لعدم الاهتداء إلى طرائق المكر الذي خشي نوح غائلته في قوله " ومكروا مكرا كبارا " أي حل بيننا وبين مكرهم ولا تزدهم إمهالا في طغيانهم علينا إلا أن تضللهم عن وسائله، فيكون الاستثناء من تأكيد الشيء بما يشبه ضده، أو أراد إبهام طرق النفع عليهم حتى تنكسر شوكتهم وتلين شكيمتهم نظير قول موسى عليه السلام " ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم"

يونس: ٨٨، وليس المراد بالضلال الضلال عن طريق الحق والتوحيد لظهور أنه ينافي دعوة نوح قومه إلى الإستغفار والإيمان بالبعث فكيف يسأل الله أن يزيدهم منه(١٨٠).

ونلاحظ أن أكثر الضمائر مرتبطة بعلاقة نوح عليه السلام مع قومه، فوظّفت الضمائر المتعلقة بنوح عليه السلام وقومه توظيفًا دّل في بداية السورة على تقريب نوح عليه السلام نفسه إلى قومه إثارة لعواطف القرابة، واستمالة لهم لكي يستجيبوا للدعوة، وكما دّلت الضمائر في وسط السورة على تبعيد نوح عليه السلام إيّاهم عن نفسه باستعمال الضمائر الغائبة بعد رفضهم للدعوة، وكما دّلت الضمائر في نهاية السورة على تغييب نوح عليه السلام إيّاهم كاملًاعن ساحته بحذف الضمائر الغائبة وتسميتهم بالقوم الكافرين والقوم الظالمين(١٨١).

أثر المستوى الصوتي في دلالة النظم القرآني في السورة الكريمة

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي نزلت على رسولنا صلى الله عليه وسلم نزولا صوتيا وليس مدونا في سطور أو مكتوبا في كتاب، وفي هذا إشارة إلى إعجازه، فقد اتّسم بنظام صوتي معجز متسق الحركات والسكنات اتساقا رائعا يسترعي الأسماع، ويستولي على الأحاسيس والمشاعر بطريقة عجيبة تفوق كل كلام منثور ومنظوم، وبهذا يظهرلنا جليًا مناسبة الأصوات لدلالة الآيات في السورة من خلال تناول أمورعديدة منها دعوة نوح عليه السلام وإنذاره لقومه، وما أعده الله تعالى لهم من الخيرات أن هم استجابوا لدعائه وآمنوا بدعوته، وكذلك دعائه عليه السلام عليهم بعدما يئس من قبولهم لدعوته، وكل ما جرى لهم في جوٍّ مفعم بالدلالات الخفية مسيطر على السورة الكريمة.

وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن هناك علاقة ترابط بين أصوات كثير من الكلمات وبين ما تدل عليه هذه الكلمات، وفي هذا يقول العلامه ابن جني: " إن كثيرًا من هذه اللغة وجدته مضاهيًا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها؛ ألا

تراهم قالوا قضم في اليابس وخضم في الرطب؛ ذلك لقوة القاف وضعف الخاء فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف، وكذلك قالوا: صر الجندب، فكرروا الراء لما هناك من استطالة صوته، وقالوا: صرصر البازي فقطعوه لما هناك من تقطيع صوته وسموا الغراب غاق حكاية لصوته والبط بطًا حكاية لأصواتها(١٨٢).

كما يتضح هذا في قوله " أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا " مريم ٨٣، أي تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزّهم هزّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة، لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز، لأنك قد تهزّ ما لا بال له، كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك، ولذ بعض العلماء يستنطق الطبيعة ليفسّر الفرق بين النّضح والنّضخ، فقوله تعالى " فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ " الرحمن ٦٦، يقول: النّضخ للماء ونحوه، والنّضخ أقوى من النّضح، فجعلوا الحاء– لرقتها– للماء الضعيف، والخاء– لغلظها– لما هو أقوى منه، فالخاء له دخل في الدّلالة على العنف والكثرة، فهناك علاقة قريبة بين المعنى في النفس، وبين تجلّيه في الحروف والحركات، ولا يخفى أنّ مادّة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأنّ هذا الانفعال بطبيعته، إنما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدّا أو غنّة أو لينا أو شدّة، وبما يهيّئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النّفس من أصولها(١٨٣).

وليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدا أو غنة أو لينًا أو شدة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها؛ ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والإجتماع؛ أو الإطناب والبسط؛ بمقدار ما يكسبه من الحدوة والإرتفاع والإهتزاز وبعد المدى ونحوها، مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى، فلو اعتبرنا ذلك في تلاوة القرآن على طرق الأداء

الصحيحة لرأيناه أبلغ ما تبلغ إليه اللغات كلها في هز الشعور واستثارته من أعماق النفس؛ وهو من هذه الجهة يغلب بنظمه على كل طبع عربي أو أعجمي، وهذه حالة مطردة يعرفها الناس جميعًا، وما من أعجمي يسمع ترتيل القرآن إن فهمه أو لم يفهمه إلا اعترته رفة للشجى والنظم، وأحس أن هذه الآيات تتموج في نفسه وتجيش نفسه بها، مع أنه لا يعتريه من ذلك شيء إذا هو سمع الألحان العربية في الغناء والشعر، وقد لا يجد في الموسيقى ضربًا أسخف منها، لمكان اختلاف الأذواق، وما تجده ملحدًا لا يؤمن بالله إلا وهو مؤمن بهذا الإعجاز في كتابه حين يسمعه مرتلًا من صوت جميل، كأن النبوة حينئذ تلامسه، وكل من يزعم أن القرآن من كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يستطيع ألبتة أن يشرك مع القرآن كلامًا آخر في هذه الخاصة، فكأنه يقر بمعنى الإعجاز وينكر لفظه، وما كان الدليل على الحقيقة من لفظ الحقيقة، بل هي لا يدل عليها شيء كثبوت معناها، وهل اللفظ إلا ما أدى إليه المعنى [١٨٤]، حتى إن القاسية قلوبهم من أهل الزيغ والإلحاد، ومن لا يعرفون لله آية في الآفاق ولا في أنفسهم، لتلين قلوبهم وتهتز عند سماعه؛ لأن فيهم طبيعة إنسانية؛ ولأن تتابع الأصوات على نسب معينة بين مخارج الأحرف المختلفة، هو بلاغة اللغة الطبيعية التي خلقت في نفس الإنسان، فهو متى سمعها لم يصرفه عنها صارف من اختلاف العقل أو اختلاف اللسان؛ وعلى هذا وحده يؤول الأثر الوارد أن في الصوت الحسن يزيد القرآن حسنًا؛ لأنه يجنب هذا الكمال اللغوي ما يعد نقصًا منه إذا لم تجتمع أسباب الأداء في أصوات الحروف ومخارجها، وإنما التمام الجامع لهذه الأسباب صفاء الصوت، وتنوع طبقته، واستقامة وزنه على كل حرف [١٨٥].

وقد تميزت سورة نوح عليه السلام بميزات صوتية مختلفة، فقد شكلت الأصوات المجهورة نسبةً عالية ورابطًا صوتيًا متوافقا في كلمات السورة، فجأت أضعاف نظيراتها المهموسة، وَالْهَمْسُ مِنْ صِفَاتِ الضَّعْفِ، كَمَا أَنَّ الْجَهْرَ مِنْ صِفَاتِ الْقُوَّةِ، فإِذَا مَنَعَ الْحَرْفُ النَّفَسَ أَنْ يَجْرِيَ مَعَهُ حَتَّى يَنْقَضِيَ الِاعْتِمَادُ كَانَ مَجْهُورًا[١٨٦].

ونسبة الأصوات المهموسة في هذه السورة الكريمة أقلّ من نسبتها في الكلام العادي وهذا راجع إلى سياق سورة " نوح " الذي يقتضي استعمال الأصوات المجهورة بكثرة لأن نوح عليه السلام من جانب أُمر بدعوة قومه إلى الهداية فيحتاج في دعوته هذه إلى الجهر بما يدّعيه، وهذا يقتضي استعمال الأصوات المجهورة، ومن جانب آخر كان نوح عليه السلام مصرًّا في دعوته، فسياق الآيات في كلّ الجوانب يدلّ على هذا الإصرار ممّا أدّى إلى هذا التوظيف الكثير للأصوات المجهورة أيضا(١٨٧).

ومن خصائص الأصوات المجهورة أنّها هي الغالبية في الأصوات اللغويّة، وفي كلّ كلام، كي لا تفقد اللغة عنصرها الموسيقيّ ورنينها الخاص، والدليل على ذلك أن نسبة شيوع الأصوات المجهورة في كل كلام خمسة وسبعين مقابل خمسة وعشرين بالمائة.

نسبة شيوع الأصوات المهموسة، والأصوات المجهورة تسعة عشر حرفا يجمعها " ظل قند يضغم زرطا وإذ بعج" (١٨٨).

وقد كان لمجئ هذه الأصوات المجهورة في بداية السورة الكريمة دلالة ظاهرة وقوية على مدى حقيقة دعوة نوح عليه السلام.

ووضوح غرضه عليه السلام ومقصده من هذه الدعوة من أول السورة الكريمة، فالأنبياء عليهم السلام قبل أن يعرضوا دعوتهم على أقوامهم ويكون الجدل حول مضمون هذه الدعوات، يعرّفون بأنفسهم قبل كل شيء، ويوضّحون غرضهم ومقصدهم، ولقد تكررت الآيات التي تعرّفنا بحقيقة هؤلاء الأنبياء والغرض الذي جاءوا من أجله فكان افتتاح السورة بقوله " إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ " فجاء التعريف بنوح عليه السلام بأسمه وأنه نذير مبين، وتصدير السورة بهذه الآيات للدلالة على هدفه وغرضه بأداة التوكيد لأنّه يعلم سلفا أن قومه يترددون وينكرون خبر هذه الدعوة، ولأنّ المخاطب إذا كان خالي الذهن استغنى عن المؤكدات، وإذا كان مترددا احتاج إلى توكيد الخبر، وإذا أنكر الخبر

احتاج إلى توكيد أقوى فالتوكيد يستعمل أو يستغنى عنه بحسب احتياجات المخاطب، ويستعمل التوكيد بدرجات مختلفة، قلة وآثرة وفق أحوال الإنكار وتكاثر عناصر التوكيد وفق تصاعد أحوال الإنكار(١٨٩).

وأقوام هؤلاء الأنبياء ينكرون أي جديد يطرأ على حياتهم لأنّهم راضون بالواقع الذي يرونه صوابًا، وبالمقابل يرفضون سلفًا لأي فكرة جديدة تحاول تغيير واقعهم، ومن ثَمّ فأذهانهم غير خالية بل هي مترددة ومنكرة ولذلك أكد الأنبياءعليهم السلام غرضهم من مجيئهم إلى هؤلاء الأقوام وتقديم معمول الخبر " لكم " على عامله يدل على الاهتمام بهؤلاء الأقوام، وأنّ الدعوة جاءت خصيصا لهم تعود بالنفع عليهم إن قبلوها، ومجيء غرض الدعوة جملة اسمية مؤكدة يدل على أنّ نوحا كان جريئا شجاعًا واضحًا ومفصحًا عن غرضه وهو الإنذار، ومبيّنا حجّته، ولا يتمتم ولا يجمجم ولا يتلعثم في دعوته، ولا يدع لبسًا ولا غموضًا في حقيقة ما يدعو إليه، وفي ما ينتظر المكذبين بدعوته(١٩٠).

فقد جاءت الأصوات المجهورة السمة الغالبة في السورة لتصور لنا المواقف التي توحي بالحسرة والأسى على هولاء الذين صدوا أتباعهم عن دعوته عليه السلام فكانت الكثرة والغلبة لحروف " الغين، القاف، الواو، الباء، الراء، والعين " والتي شكلت نسبة عالية جدًا وهي أضعاف نظائرها من الأصوات المهموسة، وهذا ما ناسب سياق السورة الذي فيه إسماع من خلال الوضوح السمعي العالي لما تناولتة السورة الكريمة كما تلاحظ أن صوت " الهمزة " الذي يعُد من أصعب الأصوات وأعسرها نطقًا على الإنسان في تسع وأربعين موضعًا، وكأنه يوحي بشدة ما جاء به قوم نوح عليه السلام من صدهم واعراضهم عن دعوته .

فتواتر الأصوات المجهورة في سورة نوح بنسبة عالية يصور لنا مدى الصعوبة التي وجدها نوح عليه السلام في دعوته وحملت أصداء متلاحقة من أحداث متنازلة تزيد من رهبة الموقف.

فهذا التكرار في عموميته يلأئم جوّ السورة العامّ حيث كانت السورة تدور حول دعوة نوح عليه السلام لقومه فناسب مجئ الأصوات المجهورة التي تفيد الوضوح والبروز.

وقد تُوجد دلالةٌ خاصّة لتواتر بعض الحروف في بعض الآيات مثلما نرى في تواتر حرف الواو في قوله تعالى " وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا " فالضمة و " الواو " أثقل الصوائت، حيث يحتاج الإنسان لتلفظهما ولا سيّما " الواو " إلى جمع شفتيه إلى الأمام ممّا يودّي إلى صعوبة في التلفّظ بالنسبة إلى بقية الحروف، فتكررت " الواو " في هذه الآية الكريمة " إحدى عشرة مرّة، وذلك حينما ذكرت أسماء آلهة قوم نوح عليه السلام الذين رفضوا دعوته فلعلّ ثقل تلفّظ " الواو الآية ولا سيّما في أسماء الآلهه " ودّ و سُواع ويغُوث ويعوق " يريد أن يصوّر تصوير هذه الآلهه تصويرًا ثقيلًا وقبيحًا في ذهن القارئ، وكذلك تكررت " الواو " في تسع مرّات في قوله " وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا "، فلعلّ تكرير " الواو " في هذه الآية أيضا يريد أن يجعل بثقل تلفّظها تصويرًا ثقيلًا وقبيحًا من حالة قوم نوح عليه السلام في رفضهم الدعوة، وجعل أصابعهم في الآذان واصرارهم على استكبارهم.

وكما نلاحظ أنّ تكرار " اللام " في بعض الآيات له دلالة خاصّة تناسب جوّ الآيات، فأكثر اللامات في سورة " نوح " من النوع المغلّظ حيث المقام مقام التفخيم والوعد، فإنذار نوح عليه السلام قومَه ثمّ شكايته عند الله عز وجل من قومه بأنّهم رفضوا دعوته واستكبروا استكبارا، ثم دعائه عليه السلام لإنزال العذاب عليهم كلّه يحتاج إلى التغليظ ولهذا استعملت " اللام " الغليظة، في حين أن الآية التي يطلب فيها نوح عليه السلام غفران الله تعالى له ولوالديه وللمؤمنين والمومنات، تُرقّق " اللام " فيها فنرى أنّ أكثر اللامات في قوله " رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا " من النوع المرقّق.

وتأمل أيضًا تكرار " الراء " وتعدّد ورودها في الأسماء والأفعال في السورة الكريمة مما يدلّ على شدّة تمسّك نوح بدعوته وإلحاحه في دعوته لقومه وإمحاض النصح لهم، والإشفاق عليهم، فتعدّد تكرار الراء في قوله تعالى " ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا " مما يدلّ دلالة واضحة على إصرار نوح عليه السلام على دعوته لقومه، فتكرار " الراء " في قوله " وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا "، يدلّ على تأكيد هذا الإسرار، وتواتر الراء في قوله " يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا " يدلّ على استمرار نزول الغيث عليهم، وتكرارها في قوله " وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا " يدل على اصرار قوم نوح عليه السلام على مكرهم واستمرارهم في هذا المكر حتّى أدّى إلى أن يتركهم نوح عليه السلام في طغيانهم.

ويدعو سبحانه وتعالى بأن ينزل بعذابه عليهم وقد أصرّ نوح عليه السلام إلى دعوتهم إلى الله، ولما لم يجد قبولًا لدعوته أصرّ على إنزال العقوبة لهم بقوله الذي تكرّرت فيه " الراء "، والذي يدل على هذا الإصرار قوله " وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا "

هذا وأنّ " الراء " تواترت في فواصل السورة تسع عشر مرة وهي " نَهَارًا، فِرَارًا، اسْتِكْبَارًا، جِهَارًا، إِسْرَارًا، غَفَّارًا، مدْرَارًا، أَنهْارًا، وَقَارًا، أَطْوَارًا، سِرَاجًا، إِخْرَاجًا، خَسَارًا، كبَّارًا، نَسْرًا، أَنصَارًا، دَيَّارًا، كفَّارًا، تَبَارًا " فهذه الألفاظ بتكرار الراء فيها، تدلّ على استمرارية عدّة محاور في السورة:

١ـ محور استمرارية دعوة نوح عليه السلام قومَه في ألفاظ: " نهارا، جهارا، إسرارا "

٢ـ محور استمرارية غفران الله تعالى واستمرارية نعمه وفضله في ألفاظ: " غفّارا، مدرارا، أنهارا، وقارا، أطوارا، سراجا، إخراجا ".

٣ـ محور استمرارية العذاب النازل بقوم نوح عليه السلام بعد رفضهم الدعوة في ألفاظ: خَسارا، كبّارا، نَسرا، أنصارا، دَيّارا، كفّارا، تَبارا[١٩١].

فهذا التكرار في عموميته يلأئم وجوّ السورة العامّ حيث دارت السورة حول دعوة نوح عليه السلام، فقد تُوجد دلالة خاصّة لتواتر بعض الحروف في السورة مثلما نرى الأصوات التي جاءت أكثرَ تواترًا فيها، وكذلك بعض الصوائت التي وإن لم تتكرّر بكثرة في كلّ السورة لكنّها تواترت في بعض الآيات تواترا ملحوظا.

وأيضًا في قوله " أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ " فقد جاء نذيرًا لقومه عليه السلام عقب إرساله مباشرة، وهذا يتناسب مع طبيعة دعوته عليه السلام لهولاء السادة والزعماء فجاءت الأحرف المجهورة أضعاف غيرها لتدل على الشدة والقوة التي اتسمت بها دعوته، كما جاءت مناسبة الأصوات المجهورة عندما يئس عليه السلام منهم فدعا عليهم ولجأ واستجار بالقوى سبحانه وتعالى " رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّارًا "، وجاءت الغلبة للأصوات المجهورة مناسبة لما ورد في ختام السورة " رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا " لتظهر قوة التماسك والترابط بين أهل الإيمان فرابطة الإيمان مقدمة على أي رابطة أخرى.

وكذلك أيضًا لما بلغ عصيانهم مداه وأمعنوا في اتباع سراة القوم، وبالغوا في المكر والاحتيال في الدّين وصدّ الملأ من القوم والناس عن اتّباعه وتحريشهم لأن يؤذوه، وتمسكوا بعبادة الأوثان ونهوا عن تركها، وضلوا عن جادة الصواب، شكى نوح إلى ربه وقال " رَب إنهم عصوني .... وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا " وقال أيضًا في ختام السورة " وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا " والمقصود بالظالمين الملأ من قومه ومن تبعهم، فلماذا أظهر كلمة " الظالمين " ومقتضى السياق يغني عن إظهار وصفهم ويكتفي بإضمارهم، وعدل عن الإضمار إلى الإظهار على خلاف مقتضي الظاهر ما يؤذن به وصف الظالمين من استحقاقهم الحرمان من عناية الله بهم لظلمهم، أي إشراكهم بالله، فالظلم هنا الشرك " إن الشرك لظلم عظيم " لقمان ١٣، وإيذان بأنهم أفرطوا في الظلم وبالغواية وتحذير لمن يحاول أن يكون مثلهم ويقفوا أثرهم في الظلم وأن يصل إلى هذا المصير الذي وصلوا إليه وهو الضلال البعيد [١٩٢].

ويستمر الإيقاع بسرعة فائقة وبموجات متدفقة ومتسارعة وترددية تضرب على الأذن وكأن ليس هناك نهاية في هذه المشاهد التي توحي بانتقال الإنسان من الموت إلى البعث مثيرةً انتباهنا إلى يوم القيامة الذي ليس له يومئذ ثمة مهرب ومفر؛ فهو محاسب لا محال، ولك أن تتأمل الفعل " تَذَرْ " في قوله تعالى: "وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ" وقوله: "إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ " والذي جاء كثيرًا في معرض الغضب والنقمة لأنه بحركاته المتوالية وحروفه الزلقة الخفيفة يصور لنا السرعة الخارقة في الأخد كما قال تعالى في حق الوليدبن المغيرة " ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا " سورة المدثر(١٩٣).

وكما كانت مناسبة الأصوات المجهورة التي دلت على السعة والزيادة فالفعل " زاد " في القرآن الكريم ذو شأن متنوع في أساليب القصر فقد جاء على الاتصال في مدح المؤمنين ووصفهم بما هو خير قال تعالى " وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا " الأحزاب ٢٢، فأصل الإيمان والتسليم موجود، وهذه هي الآية الوحيدة التي جاء فيها الفعل في اسلوب القصر في جانب المؤمنين وباقي الآيات في هذا المعنى جاءت بدون قصر نحو قوله "وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ " محمد ١٦، وقوله " الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ " ولعل انفراد آية الأحزاب بالقصر- والله أعلم . للتعبير عن موقف الإبتلاء المزلزل للمومنين في غزوة الأحزاب، ومع كل هذا كان التصديق المطلق من المومنين، والتسليم الكامل، فالقصر يزكي ثبات العقيدة ورسوخ التوحيد والهداية في هذه القلة الصابرة الفريدة، وجاء الفعل "زاد " وصيغة كثيرة في جانب الكافرين من كل الأمم على طريق القصر واقعًا على ألوان من الضلال والخسار، والفرار، والمقت، والنفور، والتخسير، ومن المثير أن تستأثر قصة نوح عليه السلام في سورة نوح عليه السلام بعديد من هذه الأساليب تلاؤمًا مذهلًا مع قصة الدعوة المتطاولة من نوح، فقد مكث يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، وفي كل أحداث القصة زيادة على المعهود إيجابًا وسلبًا، زيادة في

الدعوة زمانًا وحدثًا، وزيادة في فرارهم ونفارهم، وزيادة في النعم التي زادتهم خسارًا، وفي دعاء نوح عليهم كان بالزيادة في الضلال ثم التبار والإستئصال، حتى الإنتقام الإلهي زاد على المعهود " مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا"، وحتى إغراقهم لم يكن كإغراق فرعون وملئه، بل كان بطوفان صّم وعّم الأرض بأمواج كالجبال، فالسورة مبنية على زيادة الأحداث ألفاظًا ودلالات، وكما أن الاسلوب الأول في السورة " قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا "، وهنا التعجب فما كان سببًا للهدي والاقبال انقلب لديهم سببًا لا للإعراض فحسب بل للفرار تصويرًا حركيًا لإدبارهم المستمر، ومن حديث نوح عليه السلام في سورته وهو تقرير مفصل واعتراف كامل بقصته على سبيل الإنجاز نحس الآسى والحزن والشكاة الجريحة، والتفويض الواثق ومنه " وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا "، وهنا أيضًا التناقض الحاد في موقفهم، فالشئ أصبح نبعًا للنقيض فالمال والولد وهما نعمة تُبصر بالمُنعم تلك التي لم تزدهم إلا وجاهة، ومنفعة زائدة في الدنيا كانت سبب خسارة ابتداء بنهايتهم واستمر في آخرتهم، وزيادة الخسار الأخروي توحي بأن الخسار كالصفة اللازمة لهم، بل سمة يعرفون بها تحقيقًا وتصويرًا مؤكدًا للخسار، والمقصود بقوله " وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا " هم الملأ الأشراف من رؤسائهم وكبرائهم وقد قادوهم في طريق الضلال حتى أخسروهم وأهلكوهم، ثم كان دعاء نوح عليهم " وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا "، وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا "، وقد وسمهم بالظلم مرتين لأنهم تجاوزوا الحد في الكفر، وزادوا في الطغيان وهو سبب لهذا الدعاء عليهم الذي انتهي بطلب الهلاك الزائد تناسبًا مع الزيادة في أحداث القصة(١٩٤).

وأيضًا كثرة شيوع الصوائت الطويلة في آيات السورة، وهي حروف المد واللين "ا- و- ي "، وسميت بهذا الاسم لأن النطق بهن بصوت أكثر من تصويته بغيرهن، لاتساع مخارجهن وامتداد الصوت بهن(١٩٥)، وقد وردت الألف اثنتا وثمانين مرة، والواو ثلاثًا وعشرين مرة، والياء اثنتا عشرة مرة، وتتميز الصوائت بالوضوح السمعي وسهولة

نطقها وهو ما جعلها أصواتا موسيقية منتظمة قابلة للقياس خالية من الضوضاء لها القدرة على الاستمرار بجريان الصوت بها، وهذه الصوائت جاءت مباشرة ظاهرة وواضحة لتتناسب مع الجهر الذي جاء به نوح عليه السلام من أول وهلة " إني لكم رسول مبين "، وظل هذا الوضوح حتى مع حالة اليأس التي وصل لها عليه السلام بعدما رفضوا دعوته وآذوه، ومع موقفهم من الدعوة فقابلوا نوح عليه السلام برفض دعوته واصروا واستكبروا استكبارا (١٩٦).

وهي أشد وضوحا في السمع من غيرها من الأصوات الكلامية، ولعل ما زاد في قدرتها على قوة الاسماع أنها أصوات مجهورة، ولا سيما مصوت الألف، المدى الذي شكل حضورا قويًا، كأن في صوته الطليق ما ينبه على وجود أغراض عدة في السورة وجب الإنتباه إليها، وقد شكل صوت الهمزة بروزًا واضحًا في السورة وتواتر بنسبة عالية فهو صوت حنجري قوي بعيد المخرج، عند انسداد فتحة المزمار انسدادًا تاما، ثم يخرج الهواء بشكل مفاجئ محدثًا صوته، وهو من أصعب الأصوات ويتميز بإيقاعه العالي، ويوحي بالحضور والبروز لما يثيره من أنتباه في ذهن السامع، ممّا زاد من جمالية النص ما يحمله صوت " الهاء " من شحنات صوتية تعبيرية، قادرة على تصوير مشهدين متناقضين وهما مشهدا الفرح والحزن(١٩٧).

ويحدد الصوت الصائت " في الكلام الطبيعي " بأنه الصوت " المجهور " الذي يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم، وخلال الأنف معهما أحيانا، دون أن يكون ثمة عائق " يعترض مجرى الهواء اعتراضا تاما " أو تضييق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا، وإنما لقبت بالجهر لأن الجهر الصوت الشديد القوي، فلما كانت في خروجها كذلك لقبت به، لأن الصوت يجهر بها(١٩٨).

والصوائت ثمة حروف عربية، نضطر في إخراجها من الفم أن نمدّ الصوت فيها، لتكون سهلة، وجميلة، بل ومعبّرة أبلغ التعبير، وتسمّى حروف المدّ (١٩٩).

واعلم أن القوة في الحرف تكون بالجهر وبالشدة وبالإطباق والتفخيم وبالتكرير وبالاستعلاء وبالصفير وبالاستطالة وبالغنة وبالتفشي ... فبهذه الصفات يقوى الحرف وبعدها يضعف، وكلما تكررت فيه الصفة القوية كان أقوى للحرف، وكذلك إذا تكررت في الحرف الصفة الضعيفة كان أضعف، والقوة هنا تعني زيادة الصوت بالحرف زيادة تجعل مقاربه يدغم فيه، ولا يدغم هو في مقاربه، لئلا تذهب تلك الزيادة بالإدغام، فهذه الحروف أصوات، والحركات مأخوذة منها، فامتداد الصوت بها ممكن، ويسوغ فيه التطويل(٢٠٠).

وكما جاءت الأصوات المذلقة أضعاف الأصوات المصمتة في السورة الكريمة فالإذلاق: في اللغة حدة اللسان وبلاغته وطلاقته وقيل الطرف، واصطلاحًا: خفَّة الحرف وسرعة النطق به؛ لخروجه من ذَلَقِ اللسان أي طرفه أو من طرف إحدى الشَّفتين أو منهما معًا، وحروفُهُ: ستة مجموعة في قوله (فِرَّ مِنْ لُبِّ)، أو قوله (مر بنفل)، وسمِّيت مذلقة؛ لخروج بعضها من ذلق اللسان وهي: الراء، والنون، واللام، وبعضها من ذلق الشَّفَة وهي: الباء، والفاء، والميم، الإصمات: وهو ضد الإذلاق، ومعناه لغة: المنع تقول صَمَتَ عن الكلام أي منع نفسه منه، واصطلاحًا: ثقل الحرف وعدم سرعة النطق به؛ لخروجه بعيدًا عن ذَلَقَ اللسان والشَّفَة، وحروفُ الإصماتِ: خمسة وعشرون حرفًا الباقية، سميت هذه الحروف مُصْمَتة؛ لأنها ممنوعة من الإنفراد أصولًا في الكلمات الرباعية والخماسية بمعنى أن كل كلمة على أربعة أحرف أو خمسة أصولًا، لا بد أن يكون فيها مع الحروف المصمتة حرف من الحروف المذلقة، ولذلك قالوا: إن "عسجد" – اسم للذهب– أعجمي لكونه رباعيًّا وليس فيه حرف من الحروف المذلقة،(٢٠١) ولا توجد كلمة من أبنية كلام العرب مما زاد على الثلاثة معراة من أحد هذه الستة إذا كانت حروفها أصلية، اللهم إلا أن تكون الكلمة دخيلا في كلام العرب(٢٠٢).

حيث جاءت هذه الأصوات المذلقة أضعاف ضدها من الأصوات المصمتة، فقد وردت النون ستًّا وأربعين مرة، والميم تسعًا وستين مرة، واللام خمسًا وثمانين مرة، والراء تسعًا وأربعين مرة، والفاء ست عشرة مرة، والباء خمسًا وعشرين مرة، وأتسمت هذه الأصوات بالخفة واليسر والسرعة فناسبت أحداث السورة الكريمة من يسر وخفة، ودلت على أن خلق الإنسان هين ويسير على الله تعالى وكذلك إنبات الإنسان من الأرض وإعادته مرة أخرى ليوم الجزاء، وسعة الرزق إن آمنوا وداوموا على الإستغفار وكذلك التيسير والسعة بين المؤمنين في علاقتهم ببعضهم البعض كلهذا كان مناسبًا مع هذه الأصوات المذلقة التي غلبت على آيات السورة الكريمة.

كما وردت الأصوات المسفلة أضعاف أضدادها من الأصوات المستعلية، والإستفال وهو ضد الاستعلاء، والاستفال لغةً: الانخفاض والانحطاط، واصطلاحًا: انحطاط اللسان عن الحنك الأعلى عند النطق بحروف الاستفال حروفه هي جميع حروف الهجاء ما عدا حروف الاستعلاء، وسميت مستفلة لأن اللسان يستفل بها إلى قاع الفم عند النطق بها على هيئة مخارجها [٢٠٣].

وَالِاسْتِعْلَاءُ مِنْ صِفَاتِ الْقُوَّةِ وَهِيَ سَبْعَةٌ يَجْمَعُهَا قَوْلُكَ: قِظْ خُصَّ ضَغْطٍ. وَهِيَ حُرُوفُ التَّفْخِيمِ عَلَى الصَّوَابِ وَأَعْلَاهَا الطَّاءُ كَمَا أَنَّ أَسْفَلَ الْمُسْتَفِلَةِ الْيَاءُ[٢٠٤].

وقد جاءت هذه الأصوات المستفلة أضعاف أصوات الاستعلاء ليتماشي مع هذا الاستفال والتدني والانحطاط مع ما وقع من قوم نوح من التردي والتدني والانحطاط، وعدم قبول دعوة نوح عليه السلام، وصد الناس عن الإيمان به، وكذلك مع تدني وانحطاط أخلاق هولاء القادة العتاه الذين ضلوهم عن طريق الحق والصواب واستكبروا وعتوا عتوًا كبيرًا.

فهذه بعض النماذج لبعص الأصوات وأضددها التي وردت في السورة الكريمة وكان لورودها دور في إظهار المعنى وإفهام المطلوب بحيث يفهمه القاصي والداني وصدق الله إذ يقول: "وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ" (القمر ٢٢).

المبحث الثالث ـ الفاصلة القرآنية وأثرها في دلالات النظم القرآني من خلال السورة.

وتظهر أهمية الفواصل القرآنية بإعتبارها وجها من وجوة إعجاز القرآن الكريم، وأثرًا من آثار نظمه، فهي من دعائم النغم القرآني، وإحدي صور العنصر الإيقاعي والذي جاء في الفواصل القرآنية إغناءً للعرب المجبولين على حب القوافي والأسجاع لما فيهما من إيقاع جميل مؤثر فجاء اعتناء العرب بما هو أطيب وألذ للأسماع والعقول، وأكثر بركة وثوابًا، والقرآن يختار الفاصلة بدقة عجيبة تدل على إعجاز بياني، فهي من جهة الدلالة تتوافق مع مضمون الآية، ومن جهة الصوت تتوافق مع الإيقاع العام للآيات السابقة واللاحقة، حتى إن السامع إذا كان ذا نظر ثاقب بفن الكلام وسمع الفاصلة أدرك موقعها من الكلام، وتقع الفاصلة عند الإستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التيْ يباينُ القرآن بها سائر الكلام، وتسمى فواصل، لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل ما بينها وبين ما بعدها، وأخْذا من قوله تعالى " كتاب فصِّلَتْ آيَاتُه " فصلت: ٣، ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعًا، لأن الله تعالى لما سلب عنه اسْمَ الشعر وجب سلْبُ القافية عنه أيضًا، لأنها منه وخاصةٌ به في الإصطلاح، وكما يمتنع استعمال القافية فيه يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر، لأنها صفة لكتاب الله فلا تتعداه [٢٠٥].

فالفاصلة القرآنية ذات خصوصيات أسلوبية، وذات صيغ متعددة، وذات تعبيرات إعجازية قد تدلك بدرجات متفاوتة، فما يدركه البعض من مظاهر الإعجاز والجمال قد لا يدركه البعض الآخر، ولا شك أن القرآن راعى المناسبة بين الفواصل، وهو أمر مألوف في اللغة، ومحمود في الأسلوب، ومؤثر في جمال العبارة[٢٠٦].

وثمة فرق بين الفواصل ورءوس الآى، فالفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس، وكذلك الفواصل يكون رءوس آية وغيرها، وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعين وتجمع الضربين[٢٠٧].

والفاصلة في اللغة: الفَصْل الحاجزُ بين الشيئين فصَل بينَهُما يَفْصِل فصْلًا فانْفَصل والفَصْلُ والمَفْصِلُ كل مُلْتَقَى عظْميْن من الجَسَدِ والفاصِلةُ الخَرَزَةُ التي تَفْصلِ بين الخَرَزَتَيْنِ في النِّظامِ وقد فَصَّل النَّظْمَ والفَصْلُ القضاءُ بين الحَقِّ والباطلِ وقوله تعالى " هذا يوم الفصل " المرسلات ٣٨ أي هذا يومٌ يُفْصل فيه بين المُحْسِنِ والمُسْيء(٢٠٨).

وقد عرف الإمام السيوطي الفاصلة فقال: وهي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع، وقال الداني: كلمة آخر الجملة(٢٠٩).

والفرق بين التعريفين واضح، الأول يخص الفاصلة بآخر الآية وهو ما عليه العمل، والثاني يعتبر الفاصلة كلمة آخر الجملة سواء أكانت هذه الجملة في أول الآية أو وسطها أو آخرها فهو غير مانع إذ تدخل فيه الفاصلة اللغوية مع الفاصلة الاصطلاحية وهذا عيب في التعريف(٢١٠).

والفواصل جمع فاصلة، والفصل لغة هو البت والقطع يقال فصلت كذا عن كذا: يعنى قطعته عنه، والفاصلة والفواصل مصطلح خاص بنظم القرآن الكريم، وسمة من سمات بلاغته وبيانه، والفواصل القرآنية هي مجامع بلاغة القرآن ومعاقد معانيه، والنظر إليها ودراستها يسفر عن عدة خصائص في إعجازه ونظمه، ومن ذلك: فهي من جهة تتيح استراحة لقارئ القرآن الكريم حيث يسكت قليلا عند نهاية كل آية قبل أن يأخذ في تلاوة الآية التي بعدها، وهي من جهة ثانية تحدد نهايات الآيات وبداياتها وتميز بين الآيات؛ لأن من سنن تلاوة القرآن وأدائه الأمثل، هو الوقوف عند رأس كل آية إلا في مواضع قليلة في القرآن الكريم، فيحسن وصل الآية بما بعدها، وهي من جهة ثالثة تمكن قارئ القرآن الكريم من حسن الأداء، وتتيح للسامع فرصة حسن المتابعة لما يتلى مع تذوق المعانى وتدبرها، ومن جهة رابعة تؤدي الفواصل القرآنية دورًا عظيم الشأن في إنسجام الإيقاع الصوتي مما أضفى على القرآن خاصية فريدة في نوعها، وهي انفراده بإيقاع صوتي شجي يستولى على القلوب، ويستقطب العقول، ويأسر الأسماع بحلاوة وعذوبة وقعه (٢١١).

وقد قسم البديعيون السجع ومثله الفواصل إلى أقسام مطرف ومرصع ومتوازن ومتماثل، فالمطرف: أن تختلف الفاصلتان في الوزن وتتفقا في حروف السجع نحو " ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا " (٢١٢)، فأما المطرف: فهو: ما اختلفت فيه الفاصلتان في الوزن العروضي، كما في قوله تعالى: " مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا " نوح: ١٣، ١٤، فقوله: " وَقَارا " هو الفاصلة الأولى، وقوله: " أَطْوَارًا " هو الفاصلة الثانية، وقد اختلفت الفاصلتان في الوزن العروضي، لأن الأولى على وزن " فعولن " والثانية على وزن " مستفعل "، وإنما سمي هذا النوع باسم المطرف، لأن الذي وقع به التوافق إنما هو الطرف، وهو الحرف الأخير (٢١٣).

والحديث عن الفاصلة قديم قدم الدراسات الأدبية للقرآن، فقد أكّد الرماني في تعريفه الأدبي للفاصلة سموّها واختلافها عن الأسجاع وقال: " الفواصل حروف متشابكة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، ذلك لأن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها، والرماني يرى أن التعلق الشكلي المتعيّن في مماثلة الأصوات في الرّويّ يدعو إلى التكلّف المستهجن، وهذا مستفاد من أصل تسمية الأسجاع، فسجع الحمام يعني ترديد الصوت نفسه، وكذلك السّجع في فنّ النثر، وكأنّ الرماني يلمّح إلى وجود فواصل متقاربة الروي في القرآن، فبناء الفواصل ينطوي غالبا على المغايرة والتنويع، مراعاة للمعاني، وهذه الفضيلة تبعد السّجع عن أسلوب القرآن (٢١٤).

وقول الرماني: إن السجع عيب والفواصل بلاغة غلط فإنه إن أراد بالسجع ما يتبع المعنى– وهو غير مقصود متكلف– فذلك بلاغة والفواصل مثله وإن أراد به ما تقع المعاني تابعة له وهو مقصود متكلف فذلك عيب والفواصل مثله قال وأظن الذي دعاهم إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا رغبتهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم وهذا غرض في التسمية قريب والحقيقة ما قلناه(٢١٥).

فالفاصلة القرآنية كلمة تختم بها الآية وغالبا ما تضمنت الواو والنون، أو الياء والنون، وذلك لأهمية التّطريب(٢١٦).

فوظيفة الفاصلة تحسين للكلام وراحة للنفس عند التلاوة، حيث يحسن السكوت عليها وقد كمل المعنى أو قارب الكمال، بحيث يشهد الذوق بذلك ويدركه وتؤذن بانتهاء الآية وتميز بينها وبين التي تليها كما تميز قافية الشعر بيتًا من بيت مع اختصاص الفاصلة بأحكام الربط ودقة النظم وجمال التلاؤم، وتساعد الفاصلة على تلاوة القرآن مرتلًا مجودًا بأنغام آسرة ذات إيقاع جميل(٢١٧).

والفواصل القرآنية، تعتمد على التنويع ولا تأتي على نسق واحد، فمنها الطويلة، والمتوسطة، ومنها القصيرة، كما أن رويّها يختلف في السور القرآنية وحتى في السورة الواحدة غالبا، لتبتعد الفاصلة القرآنية عن مظنّة السجع المعتمد على النظام الموحّد في حركة حرفه الأخير، والفاصلة في القرآن كالقافية في الشعر، لها دورها الإيقاعي في نهاية كل آية، ولكنّ وظيفتها ليست إيقاعية فنية فحسب، وإنما هي مناسبة للمعنى، تزيد في وضوحه وجلائه، وهي ملائمة للسياق، كما أنّها تحكم المعنى في نهاية السياق، وتقوّيه من خلال إيقاعها الموسيقى الخاص(٢١٨).

وهل يجوز استعمال السجع في القرآن خلاف الجمهور على المنع لأن أصله من سجع الطير فشرف القرآن أن يستعار لشيء منه لفظ أصله مهمل ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك، ولأن القرآن من صفاته تعالى فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها، كما ذهب الأشعرية إلى امتناع أن يقال في القرآن سجع بل فواصل، وفرّقوا بأنّ السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحال المعنى عليه، والفواصل هي التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها، ولذلك كانت الفواصل بلاغة والسجع عيبا، وذهب كثير من غير الأشاعرة إلى إثبات السجع في القرآن وزعموا أنّ ذلك مما يبين به فضل الكلام وأنّه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة، كالجناس والالتفات ونحوهما(٢١٩).

وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها، وإنما أخذ السجع في الكلام من سجع الحمامة، وذلك أنه ليس فيه إلا الأصوات المتشاكلة، كما ليس في سجع الحمامة إلا الأصوات المتشاكلة، فإذا كان المعنى لما ستكلف من غير وجه الحاجة إليه والفائدة فيه لم يعتد به، فصار بمنزلة ما ليس فيه إلا الأصوات المشاكلة، والفواصل على وجهين: أحدهما على الحروف المتجانسة، والآخر على الحروف المتقاربة، فالحروف المتجانسة كقوله تعالى " طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى "، وكقوله " وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ " الطور ١، ٢، وأما الحروف المتقاربة كالميم مع النون كقوله تعالى: "الرحمن الرحيم مالك يوم الدين " وكالدال مع الباء نحو: " ق والقرآن المجيد " ثم قال "هذا شيء عجيب" وإنما حسن في الفواصل الحروف المتقاربة لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع، لما فيه من البلاغة وحسن العبارة، وأما القوافي فلا تحتمل ذلك لأنها ليست في الطبقة العليا من البلاغة وإنما حسن الكلام فيها إقامة(٢٢٠).

فمثلًا قوله تعالى " واتقوه وأطيعون " معطوفان على " اعبدوا " وحذفت ياء المتكلم لمناسبة رءوس الآي أي وأطيعوني (٢٢١).

فالفاصلة تأتي متمكّنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة! يتعلّق معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما، بحيث لو طرحت اختلّ واضطرب الفهم، فهي تؤدي في مكانها جزءًا من معنى الآية، ينقص ويختل بنقصانها، أي إن الفاصلة تقوم بدورها في إحكام بناء الآية في الشكل والمضمون، أو في المبنى والمعنى على حد سواء؛ لأن منهج الآية في التقديم والتأخير، والحذف والزيادة، والفصل والوصل، لا يقوم على اعتبارات شكلية محضة، بل يتبع كذلك المعنى فيسهم في إحكامه أيضا على أوثق وجوه الإحكام(٢٢٢).

ونلاحظ الفرق بين المصطلحين شكلي فأحدهما أكثر ارتباطًا بكلام العرب والأخر أكثر ارتباطًا بالقرآن الكريم، فلا مجال إذن إلى إنكار ما لا مجال لإنكاره، أليس السجع ظاهرة لغوية استعملها القرآن الكريم كما استعمل غيرها من ظواهر اللغة كالحذف والزيادة والتكرار وغير ذلك من صور البيان العربي.

وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقًا عجيبًا يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها؛ أو بالمد، وهو كذلك طبيعي في القرآن، فإن لم تنته بواحدة من هذه، كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى، كان ذلك متابعة لصوت الجملة وتقطيع كلماتها، وماسبة للون المنطق بما هو أشبه وأليق بموضعه، وعلى أن ذلك لا يكون أكثر ما أنت واجده إلا في الجمل القصار، ولا يكون إلا بحرف قوي يستتبع القلقلة أو الصفير أو نحوهما مما هو ضروب أخرى من النظم الموسيقي(٢٢٣).

ومعلوم أن القرآن يعتمد التصوير أساسًا من أسس التعبير فيه، وبعد تدبر لأي القرآن وجدت أن الفاصلة عنصر أساسي من عناصر التصوير باللوحة القرآنية، حيث إن اللوحة القرآنية بتعريفها الذي قدمت تتبع كل آياتها تقريبًا فاصلة واحدة أو فواصل متقاربة الإليقاع، حتى إذا تمت اللوحة وبدأت لوحة جديدة أو موضوع جديد من موضوعات السورة تغيرت الفاصلة، وهي بذلك تدخل عنصرًا أساسيًا من عناصر تكوين اللوحة القرآنية، وهذه اللوحات تعتمد الدلالة واللفظ بما يحمله من أصوات وإيقاع عناصر مكونة للوحدة، ويتضح هذا كثيرًا في السور المكية القصار على وجه الخصوص.

ومن اللوحات التي ساعدت الفواصل على تصويرها في سورة نوح عليه السلام حيث بدأت بإخبارالله عز وجل أنه أرسل نوحًا إلى قومه، ثم يقص طرفًا من خطاب نوح إليهم في الآيات٤-١، وفواصل هذه الآيات (أليم، مبين، أطيعون، تعلمون) وفيها كان

الخطاب مباشرًا من نوح إلى قومه، ولكنهم كذبوه ولم يجد منهم إجابة لدعوته، ولذا اتجه إلى ربه بالخطاب شاكيًا مناجيًا، وهنا تتغير الفاصلة " قال ربّ إني دعوت قومي ليلًا ونهارًا "، ويستمر ذلك الخطاب إلى نهاية السورة ويتبع فاصلة واحدة هي الألف المنصوبة المنونة التي تتحول إلى حرف مد بالوقف على التنوين، فيناسب حرف المد هذا جّو الشكوى والمناجاة والحزن !! وقد ساعدت الفاصلة في رسم اللوحدة ونقل الصورة كاملة، وهذا بلا شك لون من ألوان الإعجاز في هذا الكتاب الخالد(٢٢٤).

ثم وجدنا بعد ذلك عدم انتظام الفاصلة في الآيات التي دعا فيها نوح قومه إلى التأمل في الكون وفي أنفسهم، وذلك نحو(طِبَاقًا، سِرَاجًا، نَبَاتًا، إِخْرَاجًا، بِسَاطًا، فِجَاجًا)، وكأن عدم انتظام الفاصلة يصور حال نوح – عليه السلام– وتعجبه ودهشته من عدم إيمان قومه بالله رغم الدلائل الواضحة على وجود الله، وبمجرد الإنتهاء من ذكره للأدلة، انتظمت الفاصلة حيث عاد إلى الإسترسال مرة أخرى في بث شكواه وحزنه إلى الله، فعادت الفاصلة إلى حرف الراء في(خَسَارًا كُبَّارًا، نسرًا، أَنْصَارًا، دَيَّارًا، كَفَّارًا، تَبَارًا)(٢٢٥).

كما جاءت الفواصل في سورة نوح بحروف متعددة، فبدأت السورة بحرفي الميم والنون، ثم تغيرت الفواصل بعد ذلك فجاءت حروف الراء، والقاف، والجيم، والطاء المتبوعات بالمد، وأكثر ما تنتهي الفواصل في القرآن الكريم(بالنون والميم)، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها، أو بالمد وهو كذلك طبيعي في القرآن (٢٢٦).

وحرف الميم يعبر عن تضامٍّ أو استواءٍ ظاهريٍّ لشيء أو على شيء، وذلك المعنى اللغوي للميم يلتقي مع الشعور بتكون الميم بالتقاء الشفتين في نقطة أقرب إلى ظاهرهما– مع خروج زمير الجهر من الأنف، وحرف النون يعبّر عن امتدادٍ لطيف في جوفٍ أو باطن جرمٍ أو منه، وهذا المعنى اللغوي للنون يلتقي مع الشعور بخروج النون زميرًا يمر في الخياشيم وقصبة الأنف حتى يخرج منها مع التصاق طرف اللسان بأعلى لثة الثنايا العليا، فكأن الحكم قد صدر بعد ما أنتهت القصة وهو العذاب الأليم الذي يبلغ إيجاعه غاية الإيجاع " والسياق القرآني لكلمة " أليم " يؤكد ذلك، فإن جمهور ما

جاء منها هو صفة لـ " عذاب " والعذاب من جنس الوجع ولكنه أشد وأثره أشمل، فإذا وصف " العذاب " بأنه أليم بلغ الغاية في ذلك(٢٢٧).

فقد جاءت الفاصلة بالميم والنون في بداية السورة مناسبة لأحداثها، وقد علمنا عناد قوم نوح واستمرارهم على كفرهم، وهذا يتطلب إيقاعًا قويًّا رصينًا، يلفت الأنظار والأذهان، ويقرع الآذان فكانت النفس متشوقة من أول السورة لكي تقف على موقف نوح– عليه السلام– من قومه والعذاب الذي نزل بهم، واستحقاقهم لهذا العذاب الأليم.

ومعلوم أن العرب قد مالت في سجعها وقوافيها إلى استعمال حروف المد واللين والغنة، كالنون والميم، وكذلك الحروف الشفوية والأسنانية، وابتعدوا عن الحروف صعبة النطق، أو التي لا تتضح عند الوقوف عليها وذلك مثل الحاء والخاء والقاف والظاء والضاد، وعلى هذا الأساس جاءت فواصل القرآن الكريم، والفاصلة لها أثرها الصوتي المميز، وتعد من وجوة إعجاز القرآن، كما تعد من أكبر دعائم النغم القرآني، ويعطي الترنيم بالمد والنون أو المد والميم وهو الغالب على الفواصل في القرآن، فقد كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك كما قال سيبويه: أنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون لأنهم أرادوا مد الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا وجاء في القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع، ولا تحسن المحافظ على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سردها على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والتآمه فأما أن تهمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مؤداه فليس من قبيل البلاغة (٢٢٨).

وأكثر الحروف العربية إظهارًا للغنة والترنّم حرفا النون والميم، ولذا نجدهما أكثر الحروف استعمالًا في فواصل القرآن، والنون من الأصوات التي يحسن السكوت عليها للغنة التي تحصل عند النطق، والميم في التنغيم أخت النون وإن كانت أقل استعمالًا منها في الفواصل(٢٢٩)، فجاءت هذه الأصوات الواضحة والتي تتميز بالوضوح السمعي وكذلك التنغيم مناسباً لكل أحداث السورة.

والملاحظ أن معظم حروف الفواصل الواقعة في سورة نوح عليه السلام تتمتع بخاصية الوضوح السمعي، فالأصوات الأنفية كالنون والميم، والتكرارية كالراء من الحروف ذات الوضوح السمعي، وأيضًا حرفا النون والميم هما حرفا الترنّم الطبيعي في اللغات الإنسانية، ولذلك أُثر على غيرهما في فواصل القرآن وأرتفعت نسبة استعمالهما في فواصل السور القرآنية، وحرف النون يمثل أكثر من نصف فواصل القرآن تقريبًا، فالنون والتنوين يفوزان بأكبر نصيب في الفواصل لما فيهما من الغنة الجميلة في السجع، ثم جاء حرف الميم تاليًا للنون، ويليه الراء ثم الدال، والملاحظ أن الميم حرف شفوي والراء والدال من الحروف التي تنطق بإعتماد اللسان مع سقف الحنك أو أصول الأسنان، وكل هذه الحروف تنطق من الجزء الأمامي لجهاز النطق وهذا أمر ملاحظ في الفواصل حيث إن حروف الحنجرة والحلق أقل استعمالًامن الحروف الشفوية والأسنانية ولهذا كله علاقة بسهولة النطق والوضوح السمعي الذي جاء ظاهرًا من خلال سياق السورة الكريمة [٢٣٠].

فما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صوَر تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقًا عجيبًا يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها؛ أو بالمد وهو كذلك طبيعي في القرآن، فإن لم تنته بواحدة من هذه، كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى، كان ذلك متابعة لصوت الجملة وتقطيع كلماتها، ومناسبة للون المنطق بما هو أشبه وأليق بموضعه، وعلى أن ذلك لا يكون أكثر ما أنت واجده إلا في الجمل القصار، ولا يكون إلا بحرف قوي يستتبع القلقلة أو الصفير أو نحوهما مما هو ضروب أخرى من النظم الموسيقي كل هذا تراة وتحسه واقعًا عندما تتناول سورة نوح عليه السلام[٢٣١].

ومعلوم أن صيغ المبالغة إذا كانت في حق البشر ففيها الزيادة والنقصان، وأما إذا عُبّر بها عما يتعلق بصفات الله تعالى فليست واحدة منها بأبلغ من الأخري في

الصفة، إذ لا يتصور لقدرته ولا لسمعه أو بصره أو علمه سبحانه زيادة أو نقصان، ولكن تبقي إعتبارات السياق وأهمها في هذه الحالة، الإعتبارات الصوتية، فتبقي مجالًا للبحث عن صور التنوع في الألفاظ والتراكيب، ونري هذا واقعًا ملموسًا في سورة نوح عليه السلام، فقد تم إيثار فاصلة على أخرى مع اتفاقهما في المعنى والمبالغة، وذلك لإعتبارالسياق والتنوع في الألفاظ والتراكيب، فإن لفظ " غفور " و " غفّار " في صفات الله في المعنى والمبالغة سواء، ولكن إحداهما تؤثر في الفاصلة عن الأخري لإعتبارات التنوع والفاصلة، فقد وردت صيغة " غفور " على سبيل المثال فاصلة عشر مرات على حين وردت صيغة " " غفّار " فاصلة خمس مرات، فهذه الصيغ إذا استعملت في حق الله تعالى فلا يتصور بينهما تفاضلاً أو زيادة أو نقص فقوله تعالى " كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ " سبأ: ١٥، والفاصلة فيها قوله " غفور " وقوله تعالى في سورة نوح عليه السلام " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا " نوح ١٠، والفواصل هنا هي " إسرارًا، وغفارًا، ومدرارًا، " فقد ناسبت كل صيغة من " غفور "، "وغفارًا " موضوعها تمامًا وأدت وظيفتها الإيقاعية على خير وجه، ولا أظن أن ثمة تفاضلًا دلاليًا بينهما ولأن قوم نوح طُلب إليهم إستغفارالله تعالى لأنه غفا، وكذلك أهل سبأ طُلب إليهم شكر الله تعالى والتوبة إليه لأنه " غَفُورٌ " فقال تعالى " إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا " وَلَمْ يَقُلْ: " إِنَّهُ غَفَّارٌ "؟، ولأن الْمُرَادُ: أَنَّهُ كَانَ غَفَّارًا فِي حَقِّ كُلِّ مَنِ اسْتَغْفَرُوهُ كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَا تَظُنُّوا أَنَّ غَفَّارِيَّتَهُ إِنَّمَا حَدَثَتِ الْآنَ، بَلْ هُوَ أَبَدًا هَكَذَا كَانَ، فَكَأَنَّ هَذَا هُوَ حِرْفَتُهُ وَصَنْعَتُهُ، وتأمل أيضًا قوله تعالى في سورة نوح عليه السلام " قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا "، فالمعتاد في هذه الفواصل استعمال صيغة " كبير "، للمبالغة ولكن الفواصل هنا لا تحتملها، ولذا أُثرت عليها صيغة، " فُعّال " وهي أشد من صيغة " فُعَال " المخففة في المبالغة، يقول الزمخشري: " كُبَّارًا " قرئ بالتخفيف والتثقيل، والكبار أكبر من الكبير، والكبار أكبر من الكبار ونحوه، طوال وطوّال[٢٣٢].

فقد دلت لفظة " غفّار " على كمان غفران الله عز وجل، وكما يزيل استعمال هذه الصيغة كل ذريعة أمام قوم نوح عليه السلام بأنهم يتخوفون من أن لا يغفر الله لهم، وكما أن لفظة " كُبَّارًا " بصورة النكرة تقوي دلالة بنية الإسم وتبرز عظمة المشاريع العظيمة التي خططها الكفار لإخفاق دعوة نوح عليه السلام، وكما ناسبت صيغة " مدرارًا " موضوعها تمامًا وأدت وظيفتها الإيقاعية على خير وجه، ففيها دلالة على سرعة استجابة الله تعالى لدعوة قوم نوح عليه السلام إن هم استغفروا من ذنوبهم، فجاءت صيغة مدرارًا لتزيد على سرعة استجابه الله تعالى سَعة رحمته لعباده وعمومَ خيراته لاستمالة القوم إلى الإستغفار(٢٣٣).

وتأمل أيضًا مراعاة الفاصلة في قوله تعالى " والله أنبتكم من الارض نباتًا "، وكان حقّه إنباتا ولكنّه مصدر مخالف للصدر(٢٣٤)، فقد روعي في الفاصلة إيثار مصدر مؤكد غير مصدر الفعل الموجود، فجعل النَّبَاتَ " المصدر، والمصدر "الإنْبات" لأن هذا يدل على المعنى(٢٣٥)، فمصدر " أنبت "، " إنبات " ولكن بهذه الصيغة لا يتحقق الايقاع في الفواصل، ولذا أوثر مصدرًا آخر من لفظه فقد أوثر عليه " نبات " وذلك لخفة اللفظ وأدائه المعنى نفسه، والنحويون يقولون: نباتًا موضوع موضع الإنبات، وهو مصدر(٢٣٦).

يقول الإمام الرازي: كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ: " أَنْبَتَكُمْ إِنْبَاتًا " إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ بَلْ قَالَ: " أَنْبَتَكُمْ نَبَاتًا "، وَالتَّقْدِيرُ أَنْبَتَكُمْ فَنَبَتُّمْ نَبَاتًا، وَفِيهِ دَقِيقَةٌ لَطِيفَةٌ: وَهِيَ أَنَّهُ لَوْ قَالَ: أنبتكم إنباتا كان المعنى أنبتكم إنباتا عجيبا غَرِيبًا، وَلَمَّا قَالَ: " أَنْبَتَكُمْ نَبَاتًا " كَانَ الْمَعْنَى أَنْبَتَكُمْ فَنَبَتُّمْ نَبَاتًا عَجِيبًا، وَهَذَا الثَّانِي أَوْلَى لِأَنَّ الْإِنْبَاتَ صِفَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَصِفَةُ اللَّهِ غَيْرُ مَحْسُوسَةٍ لَنَا، فَلَا نَعْرِفُ أَنَّ ذَلِكَ الْإِنْبَاتَ إِنْبَاتٌ عَجِيبٌ كَامِلٌ إِلَّا بِوَاسِطَةِ إِخْبَارِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا الْمَقَامُ مَقَامُ الِاسْتِدْلَالِ عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا يُمْكِنُ إِثْبَاتُهُ بِالسَّمْعِ، أَمَّا لَمَّا قَالَ: أَنْبَتَكُمْ ... نَبَاتًا عَلَى مَعْنَى أَنَبَتَكُمْ فَنَبَتُّمْ نَبَاتًا عَجِيبًا كَامِلًا كَانَ ذَلِكَ وَصْفًا لِلنَّبَاتِ بِكَوْنِهِ عَجِيبًا كَامِلًا، وَكَوْنُ النَّبَاتِ كَذَلِكَ أَمْرٌ مُشَاهَدٌ مَحْسُوسٌ، فَيُمْكِنُ

الِاسْتِدْلَالُ بِهِ عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَكَانَ هَذَا مُوَافِقًا لِهَذَا الْمَقَامِ فَظَهَرَ أَنَّ الْعُدُولَ مِنْ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ إِلَى هَذَا الْمَجَازِ كَانَ لِهَذَا السِّرِّ اللَّطِيفِ(٢٣٧).

قوله بعده إخراجا فإنه لم يعدل عنه إلى: خروجا، لعدم ملاءمته لألفاظ الفواصل قبله المبنية على ألف مثل ألف التأسيس فكما تعد مخالفتها في القافية عيبا كذلك تعد المحافظة عليها في الأسجاع والفواصل كمالا.

وتأمل الفاصلة في قوله تعالى " وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا" ولم يخبر عن الشمس بالضياء كما في آية سورة يونس " هو الذي جعل الشمس ضياء" يونس ٥، والمعنى واحد وهو الإضاءة، فلعل إيثار السراج هنا لمقاربة تعبير نوح في لغته، مع ما فيه من الرعاية على الفاصلة، لأن الفواصل التي قبلها جاءت على حروف صحيحة ولو قيل: ضياء لصارت الفاصلة همزة والهمزة قريبة من حروف العلة فيثقل الوقف عليها(٢٣٨).

وتأمل دور الفاصلة في سورة نوح في تصوير اللوحة القرآنية، ففي القرآن الكريم لوحات جمالية ناطقة ومعبرة، واللوحة القرآنية تحديدًا مجموعة آيات متتابعات في موضوع واحد، وهي لوحة تتسم بالحياة والخلود، وتعرف طريقها إلى الفطرة، والفطرة من خلق الله تعالى، والقرآن من كلام الله تعالى وهما إذن يتلاقيان عندما تسلم الفطرة من الآفات التي تُفسدها، إن اللوحة القرآنية لوحة بديعة متحركة نابضة تُرضي العقل وتشبع الذوق السليم، حيث يؤدي كل عنصر دورة في السياق في إنسجام تام يجعل جمال اللوحة يتسرب إلى المتلقي، فتؤدي اللوحة حسب استعداد المتلقي الغرض المراد منها وهو أولًا وآخرًا الهداية إلى طريق الحق، ومن صور الهداية هذه التمتع بجمال القرآن وإعجازه، والقرآن يعتمد التصوير أساسًا من أسس التعبير فيه، والفاصلة عنصر أساسي من عناصر التصوير في اللوحة القرآنية حيث إن اللوحة القرآنية تتبع كل آياتها تقريبًا فاصلة واحدة أو فواصل متقاربة الإيقاع، حتى إذا تمت اللوحة وبدأت لوحة جديدة أو موضوع جديد من موضوعات السورة تغيرت الفاصلة وهي بذلك تدخل كعنصرًا أساسيًا

من عناصر تكوين اللوحة القرآنية، وهذه اللوحة تعتمد على الدلالة واللفظ بما يحمله من أصوات وإيقاع عناصر مكونة للوحدة ويتضح هذا كثيرًا في السور المكية والقصار على وجه الخصوص، ومن اللوحات التي ساعدت الفواصل على تصويرها في سورة نوح عليه السلام ما جاء في أول السورة من إخبار الله تعالى أنه أرسل نوحًا إلى قومه ثم يقص طرفًا من خطاب نوح إليهم في الآيات من (١-٤)، وفواصل هذه الآيات (أليم ـ مبين ـ أطيعون ـ تعلمون) وفيها كان الخطاب مباشرًا من نوح إلى قومه، ولكنهم كذبوه ولم يجد منهم إجابة لدعوته، ولذا اتجه إلى ربه بالخطاب شاكيًا ومناجيًا وهنا تتغير الفاصلة " قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا " ويستمر ذلك الخطاب إلى نهاية السورة الكريمة، ويتبع فاصلة واحدة هي الألف المنصوبة التي تتحول إلى حرف مد بالوقوف على التنوين، فناسب حرف المد هذا جو الشكوي والمناجاة والحزن وساعدت الفاصلة على رسم اللوحة ونقل الصورة كاملة وهذا بلا شك لون من ألوان الإعجاز في هذا الكتاب الخالد [٢٣٩].

ولابد أن تعرف أن للفاصلة القرآنية إيقاعًا موسيقيًا يترك أثره في النفوس، ويستولي على القلوب والأسماع فهي وجهًا من وجوه إعجازه، ومن دعائم النغم القرآني، وهي مجامع بلاغة القرآن ومعاقده ومعانيه، والنظر فيها ودراستها يسفر عن عدة خصائص في إعجازه ونظمه، وهي الطريقة التيْ يبايِنُ القرآن بها سائر الكلام، ويربط الإيقاع الموسيقى للألفاظ بالحالة النفسية، أو المعنى المراد تصويره، فليست حركات الكلمة، ومدودها، مجرد إيقاع موسيقي، يتردّد صداه في التعبير القرآني دون غرض أو فائدة معنوية، بل إنه يقوم بوظيفة أساسية في جلاء المعنى، وتوضيحه عبر هذه المؤثرات الصوتية. وهي تربط الإيقاع الموسيقى للألفاظ بالمعنى المراد، والحالة النفسية، والجوّ العام للسياق، وهذا منهج سليم، لأن الإيقاع الموسيقى في القرآن لم يقصد لذاته، لمجرد التنغيم. والإطراب بهذه النبرات الصوتية المنغّمة بل هو وسيلة لتصوير المعاني الدينية [٢٤٠].

المبحث الرابع ـ الفصل والوصل وأثره في دلالة النظم القرآني من خلال السورة.

الفصل والوصل من أهم موضوعات البلاغة، ويعد ظاهرة أسلوبية دقيقة في نظم القرآن، وعنوانا على ربط المعاني وقطعها لأغراض بلاغية، فقد تأتي الجملة في نسق مفصولة عما قبلها من جمل، وقد تأتي في نسق آخر موصولة بما قبلها، فالمعنى قد لا يتسق إلا بالوصل أو لا يتسق إلا بالفصل، فالفصل والوصل وسيلة فنية لتحقيق المعنى المقصود، وهو فن جميل وبه يعرف كيف أداء القرآن، ويترتب على ذلك فوائد كثيرة واستنباطات غزيرة، وبه يتبين معاني الآيات، ويؤمن الاحتزاز في الوقوع في المشكلات.

ومعنى الفصل والوصل عند النحاة والبلاغيين: هو وجه من وجوه الإعجاز اللغوي في القرآن وهو من أبواب البلاغة، باب عظيم لا يتنبه له إلا أولو الفطنة من أصحاب البلاغة، ولذا نبه العُلماء على أهميته، وأهمية معرفته وفهمه؛ لأنّ ذلك يبين رَوعة القرآن في استخدام هذين الفنين من فنون البلاغة(٢٤١).

والوصل: هو العلم بمواضع العطف والإستئناف والإهتداء إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها(٢٤٢).

واختص الوصل بالواو؛ لأنها تفيد معنى الإشراك دون غيرها من أدوات العطف التي تفيد مع الإشراك معاني أخرى، والفصل يكون بين جملتين أحدها خبرية والأخرى إنشائية، ولكن إذا كان الفصل يوهم خلاف المقصود، فيجب الوصل(٢٤٣).

ووصفة الجرجاني بقوله: وأعلمْ أنَّه ما من عِلْمٍ من علوم البلاغة أنت تقول فيه: إنه خَفيٌّ غامضٌ، ودقيقُ صَعْبٌ إلاّ وعِلْمُ هذا البابِ أغمضُ وأخفى وأدقُّ وأصعبُ(٢٤٤).

ومعنى الفصل والوصل الذي هو أنف البلاغة الذي تعطس منه(٢٤٥)، ترك عطف جملة على أخرى، وضدّه الوصل وهو عطف بعض الجمل على

بعض وهذا الباب أغمض أبواب المعاني حتى قيل لبعضهم: ما البلاغة؟، فقال: معرفة الفصل والوصل(٢٤٦).

وقد وقع الفصل والوصل بوضوح في هذه السورة الكريمة، وكشف ما دار في خلجات نفوس هولاء السادة الذين صدوا أتباعهم عن دعوة نوح عليه السلام، ففي الفصل والوصل بين الجمل والألفاظ مراعاة لمقتضى حال المتكلم والمخاطب، ولك أن تتأمل قوله تعالى " قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ " ولم يقل: " فقال يا قوم " ؛ ليدل على سرعة استجابة نوح – عليه السلام– لأمر ربه فالله تعالى لما أمره بإنذار قومه في قوله " إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " امتثل ذلك الأمر مباشرة، فعدم وجود العاطف هنا يشير إلى إنعدام الفاصل الزمني بين الأمر والإمتثال.

يقول صاحب التفسير القرآني: قوله " قالَ يا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ " بعد الأمر الذي أمر به من ربه، دون توان أو تردد– في هذا ما يشير أيضا إلى أن الأمر يقتضي المبادرة بإنذار القوم، قبل أن تقع بهم الواقعة التي هي وشيكة الوقوع! وفى كلمات قليلة، ألقى نوح إلى القوم بهذا الإنذار " إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ "، إنه لا وقت للحديث والنار تشتمل على القوم، وتكاد تعلق بهم.. إنها كلمة واحدة أن اطلبوا وجها للنجاة من هذا البلاء!!، ثم يقدم إليهم نوح بعد هذا التنبيه إلى الخطر، مركب النجاة، الذي إن أسرعوا إليه، ودخلوا فيه، سلموا من الخطر المحدق بهم (٢٤٧)، وهنا يظهر بوضوح إنعدام الفاصل الزمني بين الأمر والامتثال.

وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لما أمره بذلك إمتثل ذلك الأمر(٢٤٨)، فمجئ قوله " قالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ " مباشرةً دون عطفها على ما قبلها يشعر النفس بمبادرة نوح – عليه السلام – لإنذار قومه بمجرد أن جاءه الوحي من الله بأن ينذر قومه، ثم تصدير دعوته بحرف التوكيد؛ لأن المخاطبين يترددون في الخبر، لذلك أتبعه بقوله " لكم " للإشارة إلى أن فائدة ذلك الإمتثال لدعوته تعود عليهم، فهو لا يجتني من دعوتهم فائدة من متاع الدنيا، وإنما فائدة ذلك لهم(٢٤٩).

فلم تعطف جملة " قال يا قوم " بالفاء التفريعية على جملة " أرسلنا نوحا إلى قومه " لأنها في معنى البيان لجملة " أنذر قومك " لدلالتها على أنه أنذر قومه بما أمره الله أن يقوله لهم، وإنما أدمج فيه فعل قول نوح للدلالة على أنه أمر أن يقول فقال، تنبيها على مبادرة نوح لإنذار قومه في حين بلوغ الوحي إليه من الله بأن ينذر قومه(٢٥٠).

فجاء الفصل في بداية السورة ليدل على عزم نوح – عليه السلام وسرعة استجابته – لأمر ربه، فالحق سبحانه وتعالى أمره بإنذار قومه " إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " وامتثل ذلك الأمر مباشرة وكانت لهذه السرعة وانعدام العاطف بين الآيتين دلالة على استمالتهم إلى الإيمان فقد كان عليه السلام حريص أشد الحرص على مراعاة الجوانب النفسية لقومه والتركيز على الجوانب التي تقنع المدعو بصدق الدعوة التي بعث فيها النبي(٢٥١)، وقد ساعد على هذا سرعة الإستجابة دون فاصل بين الآيتين.

كذلك جاء الفصل بدون العطف في قوله " قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا " جرد فعل " قال " هنا من العاطف لأنه حكاية جواب نوح عن قول الله له " أنذر قومك " عومل معاملة الجواب الذي يتلقى به الأمر على الفور على طريقة المحاورات التي تقدمت في قوله تعالى " قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها " سورة البقرة ٣٠، تنبيها على مبادرة نوح بإبلاغ الرسالة إلى قومه وتمام حرصه في ذلك كما أفاده قوله " ليلا ونهارا " وحصول يأسه منهم، فجعل مراجعته ربه بعد مهلة مستفادة من قوله " ليلا ونهارا " بمنزلة المراجعة في المقام الواحد بين المتحاورين، ولك أن تجعل جملة " قال رب " مستأنفة استئنافا بيانيا لأن السامع يترقب معرفة ماذا أجاب قوم نوح دعوته فكان في هذه الجملة بيان ما يترقبه السامع مع زيادة مراجعة نوح ربه تعالى، وهذا الخبر مستعمل في لازم معناه وهو الشكاية والتمهيد لطلب النصر عليهم لأن المخاطب به عالم بمدلول الخبر(٢٥٢).

ومن الفصل أيضًا قوله تعالى " قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا " قالَ نُوحٌ أعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه فهو بدل من " قال " الأول، ولذا ترك العطف أي قال مناجيا له تعالى " رَبِّ " أي " إِنَّهُمْ عَصَوْنِي " داموا على عصيانى ومخالفتى فيما أمرتهم به مع ما بالغت في إرشادهم بالعظة والتذكير " وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسارًا " أي استمروا على اتباع رؤسائهم الذين ابطرتهم أموالهم وغرتهم أولادهم وصارت تلك الأموال والأولاد سببا لزيادة خسارهم في الآخرة فصاروا سوة لهم الخسار وفى وصفهم بذلك اشعار بأنهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الأموال والأولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع[٢٥٣].

يقول صاحب التحرير والتنوير: وإعادة الفعل " قال " للربط بين كلاميه لطول الفصل بينهما، والجملة مستأنفة استئنافا بيانيا لأن ما سبقها من قوله " قال رب إني دعوت قومي " إلى هنا مما يثير عجبا من حال قومه المحكي بحيث يتساءل السامع عن آخر أمرهم، فابتدئ ذكر ذلك بهذه الجملة وما بعدها إلى قوله " أنصارا "، وتأخير هذا بعد عن قوله " قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا " ارتقاء في التذمر منهم لأن هذا حكاية حصول عصيانهم بعد تقديم الموعظة إليهم بقوله " يرسل السماء عليكم مدرارا " إلى قوله " سبلا فجاجا وإظهار اسم نوح مع القول الثاني دون إضمار لبعد معاد الضمير لو تحمله الفعل، وهذا الخبر مستعمل في لازم معناه، وتأكيد الخبر ب " إن " للاهتمام بما استعمل فيه من التحسر والاستنصار[٢٥٤].

وحرف العطف يأتي للربط بين الجمل، وحينما يحذف يكون أبلغ في إيصال المعنى ودليلًا على كمال الإتصال بين الكلامين، وهو أن يكون بين الجملتين " شبه كمال الاتصال " وهذا يكون حينما تكون الجملة السابقة مما يثير في نفس المتلقي سؤالًا يتردد في نفسه ولو لم يصرّح به، فتأتي الجملة التالية لتجيب على هذا السؤال[٢٥٥].

ومن المواضع التي يجب فيها الفصل بين الجملتين هو أن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال يفهم من الأولى، ويقال حينئذ إن بين الجملتين "شبه كمال الاتصال"[٢٥٦]، فجملة " قالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ " مُسْتَأْنَفَةٌ اسْتِئْنَافًا بَيَانِيًّا عَلَى تَقْدِيرِ سُؤَالٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَمَاذَا قَالَ نُوحٌ؟ فَقَالَ: قَالَ لَهُمْ ... إِلَخْ. وَالْمَعْنَى: إِنِّي لَكُمْ مُنْذِرٌ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ، وَمُخَوِّفٌ لَكُمْ، وَمُبَيِّنٌ لِمَا فِيهِ نَجَاتُكُمْ [٢٥٧]، فالكلام مستأنف، لأن ما سبقه يستدعى سؤالًا تقديره: ماذا كانت عاقبة قوم نوح بعد أن نصحهم ووعظهم بتلك الأساليب المتعددة؟ فكان الجواب: قالَ نُوحٌ- عليه السلام- بعد أن طال نصحه لقومه، وبعد أن مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، وبعد أن يئس من إيمانهم وبعد أن أخبره- سبحانه- أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن [٢٥٨].

فالبعد النفسي في هذا الأسلوب يجعل المخاطب مترقبًا متلهفًا لمعرفة الغموض الذي أحدثته الجملة الأولى، وتحدث في نفسه تساؤلات، فتأتي الجملة الثانية لتطفئ أشواق النفس وتشبع تطلعه العاطفي[٢٥٩].

ومن حروف العطف وأكثرها شيوعًا في السورة الكريمة حرف (الواو) فهي أصل حروف العطف، فتعطف الشيء على مصاحبه؛ وعلى سابقه، وعلى لاحقه[٢٦٠] ويُستخدم حرف العطف بالواو للمشاركة بين المعطوف والمعطوف عليه، ولا يفيد الترتيبَ[٢٦١]، والواو تقع بين الجملتين لتفصل بين معنييهما، فتكون كل واحدة ذات معنى مستقل عن الآخر ومتميز عنه، فإذا تكررت الجملتان في مقام آخر وسقطت هذه (الواو) كان الكلام واحدا، يقرر بعضه بعضا [٢٦٢].

ومن خلال هذه الصفات لمعنى حرف (الواو) الذي يستعمل بهذا المفهوم وأنه للجمع المطلق من غير أن يكون الأول داخلا في

الحكم قبل الآخر، ولا أن يجتمعا في وقت واحد بل الأمران جائزان، فالواو للجمع المطلق بإجماع النحاة؛ ولأنها تستعمل حيث يمتنع الترتيب [٢٦٣].

وأول هذه المواضع قوله تعالى " أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى "، فجاء العطف بالواو في الآية الكريمة ليعطي مضمون الجمل المعطوفة استقلالا بالقصد إليها؛ " لأن أصل العطف بالواو أن يدل على مغايرة المعطوفات في الذات(٢٦٤)، ثُمَّ إِنَّهُ عليه السلام أَمَرَ الْقَوْمَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ، بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَتَقْوَاهُ وَطَاعَةِ نَفْسِهِ، فَالْأَمْرُ بِالْعِبَادَةِ يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ الْوَاجِبَاتِ وَالْمَنْدُوبَاتِ مِنْ أَفْعَالِ الْقُلُوبِ وَأَفْعَالِ الْجَوَارِحِ، وَالْأَمْرُ بِتَقْوَاهُ يَتَنَاوَلُ الزَّجْرَ عَنْ جَمِيعِ الْمَحْظُورَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ، وَقَوْلُهُ " وَأَطِيعُونِ " يَتَنَاوَلُ أَمْرَهُمْ بِطَاعَتِهِ وَجَمِيعَ الْمَأْمُورَاتِ وَالْمَنْهِيَّاتِ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ دَاخِلًا فِي الْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَتَقْوَاهُ، إِلَّا أَنَّهُ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ تَأْكِيدًا فِي ذَلِكَ التَّكْلِيفِ وَمُبَالَغَةً فِي تَقْرِيرِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى لَمَّا كَلَّفَهُمْ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ الثَّلَاثَةِ وَعَدَهُمْ عَلَيْهَا بِشَيْئَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَنْ يُزِيلَ مَضَارَّ الْآخِرَةِ عَنْهُمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ: يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ الثَّانِي: يُزِيلُ عَنْهُمْ مَضَارَّ الدُّنْيَا بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ، وَذَلِكَ بأن يؤخر أجلهم إلى أقصى الإمكان(٢٦٥).

وجاء العطف في قوله تعالى " وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى " فناسب العطف بالواو سياق السورة، ولأن المقام دعوة قومه إلى عبادة الله تعالى وتقواه، ونفوس هولاء مترقبة ومتشوقة لما يترتب على قبول دعوته من الفوائد العاجلة لهم، فكان العطف بالواو الذي يدل على المغايرة والذي أظهر لهم العديد من الفوائد إن آمنوا واتقوا، ثم تتابع العطف بالواو في قوله " يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا " لنفس السبب وهو استمالة هولاء إلى الدخول في دين الله تعالى واتباع نوح عليه السلام.

وأيضًا جاء العطف في بعض الآيات ليلفت الإنتباة إلى آيات الله تعالى في هذا الكون وقدرته تعالى، ليظهر لهم كمال قدرته تعالى في هذا الكون، ليرجعوا عن عنادهم وكفرهم بدعوة نوح عليه السلام، ويؤمنوا بخالق هذا الكون وما فيه من آيات ونري هذا في آيات السورة الكريمة منها قوله تعالى " ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوارًا " والوقار بمعنى العظمة والسلطان فالكلام وعيد وتخويف (٢٦٦)، وبيان لما سلكه نوح في

دعوته لقومه، من جمعه بين الترغيب والترهيب، فهو بعد أن أرشدهم إلى أن استغفارهم وطاعتهم لربهم تؤدى بهم إلى البسطة في الرزق..أتبع ذلك بزجرهم لسوء أدبهم مع الله- تعالى- منكرا عليهم استهتارهم واستخفافهم بما يدعوهم إليه أى: ما الذي حدث لكم- أيها القوم- حتى صرتم لا تعتقدون لله- تعالى- عظمة أو إجلالا، والحال أنه- سبحانه- هو الذي خلقكم وأوجدكم في أطوار متعددة، نطفة، فعلقة، فمضغة، ... فقد أفادت هذه الآية، أنهم عصوا نوحا وخالفوه مخالفة ليس هناك ما هو أقبح منها ظاهرا، حيث عطلوا أسماعهم وأبصارهم، وليس هناك ما هو أقبح منها باطنا، حيث أصروا على كفرهم، واستكبروا على اتباع الحق (٢٦٧).

كما أن العطف أظهر ما تنطوي عليه نفوسهم من الحقد على نوح عليه السلام ودعوته، وتكشف لنا كيف بالغوا بشتي الوسائل من أجل عدم سماع دعوته عليه السلام قال تعالى " وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا، فالواو جاءت لتوضح أنهم استجمعوا كل ما لديهم من طاقات في سبيل الحيلولة دون سماع الحق، ولعل في اختيار حرف الواو دون غيره من حروف العطف ليصور لنا أن هذه الصفات لا يترتب بعضها على بعض إذ كأنها تداخل بعضها مع بعض وطويت في زمن واحد بل لحظة واحدة " (٢٦٨).

لعل أول ما يبدو من إيثار النظم القرآنى العطف بالواو، هو أن هذا العطف بالواو في هذا المقام، يتسع لتحقيق المعنى الذي تتحق به الموافقة للواقع، والعطف بالواو، وبالواو وحدها، هو الذي يحقق هذه الصورة المجتمعة المتفرقة في آن واحد.. وذلك لأن الواو لمطلق الجمع من جهة، وللترتيب بين المتعاطفين من جهة أخرى، ثم إنه ليس بين متعاطفيها إمهال ملتزم، كما يكون ذلك بين المتعاطفين بالفاء، أو ثم (٢٦٩).

فلعلّ تكرير الواو في هذه الآية أيضا يريد أن يصور حالة هولاء في عنادهم وصدهم عن دعوته عليه السلام، والمبالغة في الرفض بوضع أصابعهم في آذنهم، واستمرارهم في العتو والإستكبار.

واستمر العطف في إظهار ما تنطوي عليه نفوسهم من الحقد على نوح عليه السلام ودعوته، فكان العطف بالواو موضحًا لموقف قوم نوح من دعوته قال تعالى " قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا "، ولأن العطف بالواو يقتضي المشاركة ويقتضي أيضاَ الجمع دون الترتيب [٢٧٠]، ففي الآية عطف بين عصيانهم لنوح عليه السلام وإتباع الزعماء، وما قاموا به من مكر وضلال وإضلال لغيرهم ؛ وما أضمروة في نفوسهم من الحقد والطغيان والضلال، وكما أظهر العطف مدى حزن نوح عليه السلام على عدم استجابتهم لدعوته، وبلغ به اليأيس مبلغًا من ايمانهم وترك ضلالهم وطغيانهم، فشكا هذا إلى الله تعالى، فالواو تكررت في الآية الكريمة أحد عشر مرّة، وهي أثقل الصوائت، حيث يحتاج اللسان لتلفظهما إلى جمع شفتيه إلى الأمام ممّا يودّي إلى صعوبة في التلفّظ بالنسبة إلى بقية الحروف، وخاصة حينما ذكرت أسماء آلهة قوم نوح عليه السلام الذين رفضوا دعوته فلعلّ ثقل تلفّظ الواو في الآية ولا سيّما في أسماء الآلهة " ودّ و سُواع ويغُوث ويعوق " يريد أن يصوّر تصوير هذه الآلهة تصويرا ثقيلًا وقبيحا في ذهن القارئ، وكل هذا ساعد في إظهار حالة اليأس والحزن التي وصل لها نوح عليه السلام[٢٧١].

ونلاحظ أن هذه الآية الكريمة، قد صورت عناد قوم نوح، وجحودهم للحق، تصويرا بلغ الغاية في استحبابهم العمى على الهدى[٢٧٢].

وكذلك جاء العطف بـ " بالواو " ولم يأتي بثم في قوله: " وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا "، وقبلها قوله: " وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا " أي إنباتًا عجيبًا، وأنشأكم منها إنشاء غريبًا بواسطة إنشاء أبيكم آدم منها، أو أنشأ الكل منها من حيث إنّه خلقهم من النطف المتولدة عن النبات المتولد من الأرض، استعير الإنشاء لكونه أدل على الحدوث والتكون من الأرض؛ لأنهم إذا كانوا نباتًا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات، ولم

يقل: ثم يخرجكم بل ذكر بالواو الجامعة إيَّاها مع " يُعِيدُكُمْ " رمزًا إلى أن الإخراج مع الإعادة في القبر كشيء واحد، لا يجوز أن يكون بعضها محقّق الوقوع دون بعض، والمعنى: أي ثم يعيدكم في الأرض كما كنتم ترابًا، ويخرجكم متى شاء أحياء كما كنتم بشرًا [٢٧٣].

وقيل عطف " وَيُخْرِجُكُمْ " بالواو دون ثم مع أنه كذلك لأن أحوال البرزخ والآخرة في حكم شيء واحد فكأنه قضية واحدة ولا يجوز أن يكون بعضها محقق الوقوع دون بعض بل لا بد أن تقع الجملة لا محالة، وإن تاخرت عن الإبداء[٢٧٤].

فجاء العطف " بالواو " الجامعة إياها مع " يعيدكم " رمزًا الى ان الإخراج مع الإعادة في القبر كشئ واحد لا يجوز أن يكون بعضها محقق الوقوع دون بعض[٢٧٥].

وجاء العطف بالواو في قوله وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا "، وقرنت بواو العطف لتكون مستقلة فلا تتبع جملة " إنهم عصوني " للإشارة إلى أن دعوة نوح حصلت بعد شكايته بقوله: " إنهم عصوني" [٢٧٦].

ثم جاء العطف بالفاء في قوله تعالى " إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلَّا فِرارًا "، فناسب هذا القصد العطف بالفاء الْمُحْرِزة معنى الترتيب[٢٧٧]، لأن العطف بالفاء يستدعي مزيد الاتصال بين المعطوف والمعطوف عليه لما في معنى الفاء من التفريع والتسبب، [٢٧٨]، وجاء العطف بالفاء في الآية ليدل على تعقب فرارهم وكفرهم بنوح عليه السلام ودعوته، أي لم ينظروا في تلك الدعوات ولا تأملوها، بل عقبوا مجيئها بالكفر والفرار، فالفاء للعطف مع الترتيب والتعقيب، وأيضًا كان العطف بالفاء للدلالة على المبادرة بالاستكبار، وفيه تكذيب وعلة للتكذيب، أي فكذبوا واستكبروا عن الإستماع إلى الحق وأصموا آذانهم فور دعائي لهم[٢٧٩].

فالعطف في الآية ناسب فرارهم وإعراضهم عن دعوته عليه السلام مباشرة عقب دعوته لهم فأنعدم الفاصل الزمني فناسب هذا القصد العطف بالفاء الْمُحْرِزة معنى الترتيب(٢٨٠).

ولهذا جاء العطف بالفاء ليفيد التعقيب والترتيب بين المقدمة والنتيجة، أو بين الباطل والنار، وبهذا تتضح العلاقة الوثيقة بين الاثنين في التصوير والتعبير والتأثير(٢٨١)، وهذا بيان لحال قوم نوح – عليه السلام– وأنهم حرموا أنفسهم ولم يتركوا لها فرصة لتتدبر وتتامل فيما دعاهم غليه، ولم يأخذوا قسطًا من الوقت لهذا، فبمجرد دعوة نوح لهم أظهروا الإعراض والإنكار له ولدعوته.

وجاء العطف أيضاَ بالفاء في قوله تعالى " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا"، فقد منع الله عنهم القطر، يعني المطر وذلك أن قوم نوح كذبوا نوحا زمانا طويلا، ثم حبس الله عليهم المطر وعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فهلكت جناتهم ومواشيهم، فصاحوا إلى نوح فقال لهم، " اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ " من الشرك " إِنَّهُ كانَ غَفَّارًا " للذنوب، كان ولم يزل غفارًا للذنوب(٢٨٢).

فجاء العطف بالفاء التعقيبية ليفيد أن طلب الإستغفار وقع عقب دعوتهم بكل السبل سرًا وعلانيًا من غير ريث حتى لا يتبقي لهم أدني حجة على كفرهم، وأن الإستغفار سبب لرفع البلاء عنهم وجلب العطاء لهم (٢٨٣).

وذلك أن قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فهلكت أموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم أي من الشرك واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم أبواب نعمه وذلك لأن الإشتغال بالطاعة يكون سببا لإتساع الخير والرزق، وكما أن العطف بالفاء في الآية دلل على أن النصح مطلوب والأخذ به كذلك، والنصيحة بين المسلمين واجبة، وقد حث عليه الرسول كثيرا(٢٨٤).

وكذلك العطف في قولة " مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا "، فأدخلوا عطف على أغرقوا وجعل دخولهم النار متعقبا لإغراقهم نظرا لاقترابه ولأنه كائن لا محالة فكأنه قد كان(٢٨٥)، فجاء العطف بالفاء في الآية مناسبًا وله غرض ومعنى مقصود، عقيب الوعيد في الميعاد المحدد كان العطف بالفاء ؛ لإفادة التعقيب ووقوع العذاب في الموعد المحدد دون تأخير(٢٨٦)، وأيضًا لأنهم كذبوا الرسول بسرعة دون نظر أو بحث عن حقيقة؛ لأنهم لا يريدون الحقيقة بل يريدون أهواءهم، فهم لا يقبلون التفكير ولو قليلا في أي أمر يعارض شهواتهم وأهواءهم حتى ولو كان من عند الله سبحانه وتعالى، وكما أن في العطف بالفاء أيضًا إشارة لمبادرتهم بالإنكار وتعجبهم (٢٨٧).

فالعطف بالفاء في الآية الكريمة جاء مطابقًا تماما لحس هولاء المجرمين الذين يدخلون يوم القيامة في النار، وإذ هم يحسون بأنهم أغرقوا فناموا نومة لاقوا فيها عذاب البرزخ دون إحساس بمرور الزمن فبعثوا فأدخلوا نارًا(٢٨٨).

وكما أسرع الشقىّ بكلمة الكفر يجهر بها، كذلك أسرع إليه العقاب الذي يستحقه بسبب هذه الخطايا الفاجرة التي صدرت عنه(٢٨٩).

وقيل المراد عذاب القبر أو عذاب الآخرة، والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الإغراق والإدخال، أو لأن المسبب كالمتعقب للسبب وإن تراخى عنه لفقد شرط أو وجود مانع، وتنكير النار للتعظيم أو لأن المراد نوع من النيران(٢٩٠).

والمقصود به التعجيل ببيان سوء عاقبتهم، والتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما أصابه من قومه، والتعبير بالفاء في قوله " أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نارًا، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصارًا "، للإشعار بأن دخولهم النار كان في أعقاب غرقهم بدون مهلة، وبأن صراخهم وعويلهم كان بعد نزول العذاب بهم مباشرة، إلا أنهم لم يجدوا أحدا، يدفع عنهم شيئا من هذا العذاب الأليم(٢٩١).

ولـم يكـن إغـراقهم بالطوفـان، فإدخـالهم النـار إلا مـن أجـل خطيئـاتهم، فجعـل دخولهم النار في الآخرة كأنه متعقب لإغراقهم، لاقترابه ولأنه كائن لا محالة، فكأنه قد كان(٢٩٢).

فدخول النار ترتب على إرتكاب الخطايا وكفرهم بدعوة نوح عليه السلام، وجاء العطف بالفاء التي أفادت أن دخولهم النار كان عقب إغراقهم فلم يوجد فاصل زمني بل تلاشي تمامًا، وعلى هذا معنى لفظ الماضي في قوله: (فأدخلوا) للاستقبال، وذكر على لفظ الماضي لصحة كونه وصدق الوعد به(٢٩٣).

ثم جاء العطف بحرف الفاء أيضًا ليظهر لنا حال هولاء وهم يبحثون عن من يناصرهم ويعاونهم فجاءت الآية الكريمة " فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصارًا " فلم يجد أحدهم واحدًا من الأنصار وفيه تعريض لاتخاذهم آلهة من دونه سبحانه وتعالى وبأنها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم(٢٩٤).

يقول الامام الرازي: وَهَذَا تَعْرِيضٌ بِأَنَّهُمْ إِنَّمَا وَاظَبُوا عَلَى عِبَادَةِ تِلْكَ الْأَصْنَامِ لِتَكُونَ دَافِعَةً لِلْآفَاتِ عَنْهُمْ جَالِبَةً لِلْمَنَافِعِ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ عَذَابُ اللَّهِ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِتِلْكَ الْأَصْنَامِ، وَمَا قَدَرَتْ تِلْكَ الْأَصْنَامُ عَلَى دَفْعِ عَذَابِ اللَّهِ عَنْهُمْ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا " الأنبياء: ٤٣ وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ حُجَّةٌ عَلَى كُلِّ مَنْ عَوَّلَ عَلَى شَيْءٍ غير الله تعالى(٢٩٥).

وعطفه بالفاء إما لأن المراد عذاب القبر؛ لأن نَارًا منكرة ولو أريد جهنم لعرفت، وفيه إشارة وهو أن العطف بالفاء المقتضية للتعقيب لَا تقتضي إلا عدم وجدان الناصر إثر دخولهم النار، لَا دائما، فهلا عطف بالواو المقتضية لعدم وجدان الناصر دائما؟ والجواب بأن هذا في أشخاصهم، والعام في الأشخاص عندنا عام في الأزمنة والأحوال، يرد بأنهم موصوفون بـ " لم " التي هي لنفي الوجدان، لَا نفي الوجود، فظاهر الآية أن

هناك أنصارًا خفيت عنهم ولم يجدوهم؛ مع أن الثابت في نفس الأمر عدم الناصر بالإطلاق، ويحتمل أن يكون تهكما، ويكون من باب نفي الشيء بإيجابه(٢٩٦).

وأيما كان الأمر فالعطف بالفاء التي تقتضي التعقيب يصور لنا مشهد القضاء السريع على هؤلاء العصاة، وكأنه يعبر المسافة بين الإغراق والإحراق، كأن هذا الأمر تم في لمح البصر، فهؤلاء العصاة بكل ما أوتوا من سلطان وأموال وأولاد تم انتهاء أمرهم في لمح البصر ولم يبق لهم أثر، ولم تنفعهم آلهتهم (٢٩٧).

وفي مواضع أخرى من السورة الكريمة جاء العطف بـ (ثم) ففي قوله تعالى " ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا "، وهوه بخلاف العطف بالفاء والواو، وَمَعْنَى " ثُمَّ " الدَّلَالَةُ عَلَى تَبَاعُدِ الْأَحْوَالِ، لِأَنَّ الْجِهَارَ أَغْلَظُ مِنَ الْإِسْرَارِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ أَغْلَظُ مِنْ إِفْرَادِ أَحَدِهِمَا(٢٩٨)، وقد فعل عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالأهون والترقي في الأشد فالأشد، وهذا يدل على مدى الشفقة والحرص على إيمانهم، وعَلَى أَنَّ مَرَاتِبَ دَعْوَتِهِ كَانَتْ ثَلَاثَةً، فَبَدَأَ بِالْمُنَاصَحَةِ فِي السِّرِّ، فَعَامَلُوهُ بِالْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ، ثُمَّ ثَنَى بِالْمُجَاهَرَةِ، فَلَمَّا لَمْ يُؤَثِّرْ جَمَعَ بَيْنَ الْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ(٢٩٩).

ومع كل هذا الإعراض والعناد.. فقد حكت لنا الآيات، أن نوحا- عليه السلام- قد واصل دعوته لهم بشتى الأساليب، فقال- كما حكى القرآن عنه " ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهارًا " (٣٠٠)، فجاء العطف ب " ثم " ليدل على طول فترة دعوتهم، وطول عنادهم وصدهم، ومدى صبر نوح عليه السلام في دعوتهم .

وفى العطف بثم ما يشير إلى أن كل حال من تلك الأحوال كانت تستغرق وقتا طويلا يقف فيه نوح، حتى يملّ الوقوف، وحتى يستيئس من أن أحدًا يسمعه.. إنه ينادى أمواتا، ويهتف بعوالم من الجماد(٣٠١).

فالعطف ب " ثم " أظهر مدى العناء والصعوبة التي لاقاها نوح عليه السلام معهم، فارتقى في شكواه واعتذاره بأن دعوته كانت مختلفة الحالات في القول من جهر وإسرار، فعطف الكلام ب " ثم التي " تفيد في عطفها الجمل أن مضمون الجملة المعطوفة أهم من مضمون المعطوف عليها، لأن اختلاف كيفية الدعوة ألصق بالدعوة من أوقات إلقائها لأن الحالة أشد ملابسة بصاحبها من ملابسة زمانه، فذكر أنه دعاهم جهارا، أي علنا، وارتقى فذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار لأن الجمع بين الحالتين أقوى في الدعوة وأغلظ من إفراد إحداهما، فتوخى ما يظنه أوغل إلى قلوبهم من صفات الدعوة، فجهر حين يكون الجهر أجدى مثل مجامع العامة، وأسر للذين يظنهم متجنبين لوم قومهم عليهم في التصدي لسماع دعوته(٣٠٢).

وجاء العطف ب " ثم " ملائمًا وكاشفًا لما أنطوت عليه نفوسهم، وعبرت عما لاقاه منهم من الصد والعتو، ففِي الْعَطْفِ بِثُمَّ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ تَمَادَوْا فِي الضَّلَالِ زَمَانًا(٣٠٣)، فذكر دعاءه لهم في جميع الأوقات مع إعراضهم، وكان هذا مؤيسًا وموجبًا للإقلاع عن الدعاء، وإن وجد الدعاء بعده في غاية البعد منه على إيجاده مع الإستغراق به لجميع الحالات كما استغرق جميع الأوقات، فعبر بأداة التراخي للدلالة على تباعد الأحوال فقال " ثم " وأكد لنحو ما مضى من أن تجرد إقبالهم على دعائهم بعد ذلك لا يكاد يصدق فضلًا عن الإكثار(٣٠٤).

وأقول: وفي ذلك كله درس جديد من دروس الدعوة أن يلجأ الداعية إلى كل الوسائل العلنية والسرية لتبليغ دعوته بالمحاضرة والخطاب المنفرد والجهر والسر(٣٠٥).

وكذلك جاء العطف بـ (ثم) في قوله: " ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا " فجاءت معطوفة على قوله " وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا "، " ثُمَّ يُعِيدُكُمْ " عطفه بثم لما بين الإنشاء والإعادة من الزمان المتراخي الواقع فيه التكليف الذي به استحقوا الجزاء بعد الإعادة(٣٠٦).

يقول الألوسي: " ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها " أي في الأرض بالدفن عند موتكم وَيُخْرِجُكُمْ منها عند البعث والحشر إِخْراجًا محققا لا ريب فيه وعطف يُعِيدُكُمْ بثم لما بين الإنشاء والإعادة من الزمان المتراخي الواقع فيه التكليف الذي به استحقوا الجزاء بعد الإعادة، وعطف يُخْرِجُكُمْ بالواو دون ثم مع أن الإخراج كذلك لأن أحوال البرزخ والآخرة في حكم شيء واحد فكأنه قضية واحدة ولا يجوز أن يكون بعضها محقق الوقوع دون بعض بل لا بد أن تقع الجملة لا محالة وإن تأخرت عن الإبداء[٣٠٧].

وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمَعْهُودَةِ فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا كَانَ قَادِرًا عَلَى الِابْتِدَاءِ كَانَ قَادِرًا عَلَى الْإِعَادَةِ[٣٠٨].

والمعنى: ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها مقبورين، وَيُخْرِجُكُمْ إِخْراجًا بالحشر، وأكده بالمصدر كما أكد به الأول دلالة على أن الإعادة محققة كالابداء، وأنها تكون لا محالة، وقيل: ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها أي في الأرض بالدفن عند موتكم وَيُخْرِجُكُمْ منها عند البعث والحشر إِخْراجًا محققا لا ريب فيه وذلك لمجازاة الأولياء ومحاسبة الأعداء [٣٠٩].

المبحث الخامس ـ التكرار وأثره في دلالة النظم القرآني من خلال السورة.

معلوم أن القرآن الكريم نزل بلسان القوم، وعلى مذاهبهم، ومن مذاهبهم التكرار: إرادة التوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الإختصار: إرادة التخفيف والإيجاز، لأن افتتان المتكلم والخطيب في الفنون، وخروجه عن شيء إلى شيء– أحسن من اقتصاره في المقام على فنّ واحد(٣١٠)، فالتكرير لتقرير النِّعم وتأكيد التذكير بها، قال ابن قتيبة: من مذاهب العرب التكرار للتوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الإختصار للتخفيف والإيجاز لأن افتنان المتكلّم والخطيب في الفنون أحسن من اختصاره في المقام على فنٍّ واحدٍ، يقول القائل: واللهِ لا أفعله، ثم واللهِ لا أفعله، إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع مِنْ أنْ يفعله(٣١١).

والتكرار أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة، وله فوائد، منها: التقرير، وقد قيل: الكلام إذا تكرّر تقرّر، فهو تقريرا للمعاني في الأنفس وترسيخًا لها في الصدور مع تعليق كل واحدة بعلة، وفن التكرير فن دقيق المأخذ وربما اشتبه على أكثر الناس بالإطناب مرة وبالتطويل مرة أخرى (٣١٢).

والتكرار الذي يحدث في بعض السور القر آنية يؤدي وظيفة حيوية في إبراز جوانب لا يمكن إبرازها على وجه واحد من وجوه الّنظم، بل لا بد أن تعاد العبارة مرة مرة كي تحمل في كل مرة بعضًا من مشخصات المشهد، ويشبه ذلك التصوير السينمائي، فالصورة تتشكل من مئات وآلاف من اللقطات حتى تتجسم الأحداث والشخوص، ولعل قصة سيدنا نوح عليه السلام خير مثال على ذلك، فقد وردت في عدة سور قرآنية يظن القارئ السطحي أنها مكررة، ولكن لو أمعنا النظر جيدًا لوجدنا أننا نستطيع تصنيف هذه السور الواردة فيها، إلى مجموعات بحيث تمثل كل مجموعة، مرحلة من مراحل دعوته عليه السلام، فالتكرار من محسِّنات الفصاحة العربية إذا استخدم بشكل سليم، ووظف بطريقة مناسبة وهو أبلغ من الإيجاز وأشد موقعًا من الاختصار (٣١٣).

وقد يكون التكرار في المعنى وليس في اللفظ، وإذا كان التكرار في المعنى يدل على معنيين مختلفين، كأن يكون أحد المعنيين خاصًا والأخر عامًا، ومثاله في السورة الكريمة قوله تعالى " رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا " فقد خصّ نوح عليه السلام نفسه بطلب المغفرة من ربه تعالى، ثم طلبها لوالديه، ولكل من دخل بيته مؤمنًا فعمّم ومعلوم أنه من دخل بيته، فأدخل نفسه في العموم وأخيرًا قال " وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ "، وكل من دعا له سابقًا يدخل في عموم المؤمنين أو في عموم المؤمنات، فأفاد هذا التعميم بعد التخصيص تأكيد الدعاء وتكريره لمن ذكروا سابقًا، وهذا من باب ذكر العام بعد الخاص(٣١٤).

ففي التكرير تقريرا للمعاني في الأنفس، وتثبيتا لها في الصدور، ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها، وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب وأرسخ في الفهم وأثبت للذكر وأبعد في النسيان؟ ولأنّ هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الإنصات للحق، وقلوب غلف عن تدبره، فكوثرت بالوعظ والتذكير، وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذنا، أو يفتق ذهنا، أو يصقل عقلا طال عهده بالصقل، أو يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدأ(٣١٥).

وقد اشتملت السورة الكريمة على تكرار بعض الألفاظ، فقد ورد لفظ الفعل الماضي " قال " في مواضع ست من السورة الكريمة وهي كالتالي.

الموضع الأول قوله تعالى: " قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ " وفائدة حكاية ما ناجى به نوح ربه وإظهار توكله على الله، وانتصار الله له، والإتيان على مهمات من العبرة بقصته، بتلوين لحكاية أقواله وأقوال قومه وقول الله له، فقد حكي الفعل " قال " معنى الإنذار الذي كلفه الله تعالى به " وإنما أدمج فيه فعل قول نوح للدلالة على أنه أمر أن يقول فقال، تنبيها على مبادرة نوح لإنذار قومه في حين يلوغ الوحي إليه من الله بأن ينذر قومه" (٣١٦).

الموضع الثاني قوله تعالى: " قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا " وفي هذا الموضع أظهرت معاناة نوح عليه السلام، وكذلك أظهرت معنى الشكاية التي توجه بها عليه السلام إلى الله تعالى " قَالَ رَبِّ " أي نوح مناجيا لربه وحاكيا له وهو أعلم بحال ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال بعد ما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الإنذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل، كما أظهرت مبادرة نوح بإبلاغ الرسالة إلى قومه وتمام حرصه في ذلك كما أفاده قوله: ليلا ونهارا وحصول يأسه منهم، فجعل مراجعته ربه بعد مهلة مستفادة من قوله: ليلا ونهارا بمنزلة المراجعة في المقام الواحد بين المتحاورين(٣١٧).

الموضع الثالث قوله تعالى: " قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي " وفي هذا الموضع حكي معنى التذمر واليأس من قومه فقد شكا منهم، والشكوى لا تجوز إلا إلى الله عز وجل، ولذا شكى نوح قومه إلى ربه، وأنهم عصوه ولم يتبعوه فيما أمرهم به من الإيمان، بعد أن لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، داعيا لهم، وهم على كفرهم وعصيانهم(٣١٨).

يقول الإمام الألوسي: " قالَ نُوحٌ " أعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه عزّ وجلّ أي قال عليه السلام مناجيا له تعالى شاكيا إليه عزّ وجلّ " رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي " أي داموا على عصياني فيما أمرتهم به مع ما بالغت في إرشادهم بالعظة والتذكير " وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسارًا " أي واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين أبطرتهم أموالهم وغرتهم أولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة فصاروا أسوة لهم في الخسار والظاهر أن اتباع عامتهم وسفلتهم لأولئك الرؤساء وفي وصفهم بذلك إشعار بأنهم اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الأموال والأولاد لا لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع في الجملة(٣١٩).

وتأير هذا عن قوله " قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا " ارتقاء في التذمر منهم لأن هذا حكاية حصول عصيانهم بعد تقديم الموعظة إليهم بقوله: " يرسل السماء

عليكم مدرارا " إلى قوله: " سبلا فجاجا " وإظهار اسم نوح مع القول الثاني دون إضمار لبعد معاد الضمير لو تحمله الفعل(٣٢٠).

الموضع الرابع قوله تعالى: " وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا " وفي هذا الموضع حكي معنى العناد والإصرار على الكفر، وكان هذا ردًا على دعوته عليه السلام لهم بالايمان والمواعظ والنصائح التي قدمها لهم وَقَالُوا: أَيْ كُبَرَاؤُهُمْ لِأَتْبَاعِهِمْ، أَوْ قَالُوا، أَيْ: جَمِيعُهُمْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، لَا تَذَرُنَّ: لَا تَتْرُكُنَّ، آلِهَتَكُمْ: أَيْ أَصْنَامَكُمْ، وَهُوَ عَامٌّ فِي جَمِيعِ أَصْنَامِهِمْ، ثُمَّ خُصُّوا بَعْدَ أَكَابِرِ أَصْنَامِهِمْ، وَهُوَ وَدٌّ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ(٣٢١).

الموضع الخامس قوله تعالى: " وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا " وفي هذا الموضع حكي معنى الهلاك والإستئصال المتمثل بالدعاء عليهم حين يئس من اتباعِهم له، أى: وقال نوح متابعا حديثه مع ربه، ومناجاته له: يا رب، لا تترك على الأرض من هؤلاء الكافرين دَيَّارًا أى: واحدا يسكن دارا، أو واحدا منهم يدور في الأرض ويتحرك عليها، بل خذهم جميعا أخذ عزيز مقتدر(٣٢٢).

يقول صاحب التحرير والتنوير: وأعيد فعل قال لوقوع الفصل بين أقوال نوح بجملة " مما خطيئاتهم " إلخ، أو بها وبجملة " ولا تزد الظالمين إلا ضلالا " (٣٢٣).

وعطف على قوله " قال نوح رب إنهم عصوني " أعقبه بالدعاء عليهم بالإهلاك والإستئصال بأن لا يبقي منهم أحدا، أي لا تبق منهم أحدا على الأرض، وأعيد فعل "قال" لوقوع الفصل بين أقوال نوح بجملة " مما خطيئاتهم " إلخ، أو بها وبجملة " ولا تزد الظالمين إلا ضلالا "، وقرنت بواو العطف لتكون مستقلة فلا تتبع جملة " إنهم عصوني" للإشارة إلى أن دعوة نوح حصلت بعد شكايته بقوله: " إنهم عصوني" (٣٢٤).

فالفعل " قال " وإن دل على ما حدث في الزمن الماضي الأّ أنه دلّ على معاني متلونة بتلون طرق المحاورة بين اثنين فكان مبدؤه الإنذار والذي يستوجب

العقاب، ثم دلّ على معاني كثيرة، منها الشكوي عند بدء المخالفة، ثم دلّ على معنى طلب الإستغفار للرجوع هذه المخالفة أو المعصية مع تقديم ما يُسرُّ ويُفرح، ثم دلّ على معنى التذمر واليأس بسبب الإصرار على المعاصي والعناد باتباع عبادة الأصنام والتي بسببها كان هلاكهم واستئصالهم بدلالة الدعاء عليهم(٣٢٥).

وكما اشتملت السورة على تكرار بعض الأعلام ومنها:

١ـ لفظ الجلالة " الله " فقد ورد لفظ الجلاله " الله " في السورة الكريمة سبع مرات، ولا يمكن الوقوف على المعاني النفسية لتكرار هذا اللفظ دون معرفة دلالته، فلهذا التكرار أغراضه البلاغية ولعل جميعها ترنو لتربية المهابة والجلالة في نفوس السامعين في كل ما أتون به وما يذرون لكي يمتثلوا أوامر الله ويجتنبوا نواهيه، ففي بداية السورة جاء لفظ الجلاله في قوله " أن اعبدوا الله واتقوه " فهذه العظمة التي لا توازيها عظمة تُولد في نفوس قوم نوح المهابة والروعة علّ وعسي أن يعودوا إلى رشدهم ويستجيبوا لدعوته عليه السلام، فلفظ الجلاله " اعبدوا الله " أي الذي له جميع العظمة من الخلق والأمر، فإنه مستحق لذلك وقد كلف عباده به(٣٢٦).

يقول الامام الألوسي: في قوله تعالى " مالكم لا ترجون لله وقار " وما يتسبب عن ذكر لفظ الجلالة من العظمة في نفس الأمر أو في نفوس الناس أي أي سبب حصل لكم حال كونكم غير خائفين أو غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه سبحانه بالإيمان به جل شأنه والطاعة له تعالى، ففي تكرار لفظ الجلالة عند دعوتهم إلى التأمل والتفكر في آيات الأنفس والكون، ما يبزر مقدار مقاومة قوم نوح لدعوته، وإلا ما احتاج إلى إعادة ذكر لفظ الجلالة مع كل دليل، وكذلك في تخويفهم بعذاب الله تعالى في الآخرة، وفي الإتيان بالاسم الجليل الجامع تأكيد لذلك التهويل، فقد كان عليه السلام يطمع في خضوع قومه لطاعته، فاسم الله عز وجل يولد فيهم الخوف والرهبة(٣٢٧).

وكذلك في قوله تعالى " أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا " فقد كرر الأسم الأعظم " الله " في هذه الآيات لإظهار عظمة هذا الخالق، والذي له العلم التام والقدرة البالغة والعظمة الكاملة، فهو الملك الأعظم الذي له الأمر كله، وقوله " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا " الأصل أن يقول وهو جعل لكم الأرض بساطًا، ولكن عدل عن ذلك وذكر الأسم الظاهر بدلًا من المضمر من أجل زيادة الإقرار بعظمته وغرس ذلك في نفس المؤمن(٣٢٨).

فلفظ الجلاله " الله " هو اسم علم خاص لله تعالى تفرد به الباري سبحانه وتعالى ليس بمشتق ولا يشركه فيه أحد وهو الصحيح المختار دليله قوله تعالى: هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا يعني لا يقال لغيره الله(٣٢٩).

وكما يقدم لفظ الجلاله " اللَّهُ " للتعظيم كما في قوله تعالى " وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا " فالإنبات استعارة في الإنشاء، فقد أنشاء آدم من الأرض وصارت ذريته منه، فصّح نسبتهم كلهم إلى أنهم أُنبتوا منها وفي ذلك دلالة واضحة على عظمة الله تعالى(٣٣٠).

فقد انتقل نوح – عليه السلام– من تنبيههم إلى ما في خلق السماوات والشمس والقمر من دلالة على وحدانية الله وقدرته.. إلى لفت أنظارهم إلى التأمل في خلق أنفسهم، وفي مبدئهم وإعادتهم إلى الحياة مرة أخرى بعد موتهم، فقال– كما حكى القرآن عنه " وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا " (٣٣١).

وَاللَّهُ كرر الاسم الجليل للتعظيم والتيمن والتبرك(٣٣٢)، فذكر لفظ الجلاله في السورة يستحضر دلالات نفسية عميقة فنوح – عليه السلام– في مقام دعوتهم إلى الله، وهم من هم في الكبر والعناد، فتكرر لفظ الجلاله فيه حث للنفس البشرية على

استحضار عظمة المولي عز وجل وذلك بالنظر والتأمل في طلاقة قدرة المولي عز وجل في الأنفس والكون؛ وذلك لإيقاظهم من غفلتهم، وإقناعهم بعبادة الله، حتى يدخلوا في رحمة الله فهو وحده تعالى من يغفرالذنوب، وهو وحده الذي يمد في أعمارهم ويؤخرفي آجالهم، وهو الذي خلقهم وأنبتهم من الأرض وهو من يميتهم ويعيدهم إليها، وهو من يخرجهم من الأرض بالبعث، وهو من جعل لهم الأرض بساطا، ففي كل مرة يكرر فيها لفظ الجلاله يبعث في نفوسهم الطمأنينة واستحضار عظمة المولي عز وجل، وأنه تعالى وحده الأجدر بالعبادة.

فكلما ازداد ترديده كان أمكن له في القلب، وأرسخ في الفهم، واثبت للذكر، وأبعد عن النسيان، لعل ذلك يفتح أذنا، أو يفيق ذهنا، أو يصقل عقلا طال عهده بالصقل، أو يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدأ [٣٣٣].

فلفظ الجلالة في السورة الكريمة ولَّد الثقة العالية في نفس نوح التي بها واجه أعداءه بكل ثباتٍ وصلابة[٣٣٤].

ولفظ الجلالة يربّي في النفس تعظيم وتقدير هذا الخالق الذي يدَّخر الأجر كله والثواب كله لحَمَلَةِ دعوته في الآخرة، ومنهم نبينا نوح –عليه السلام فقد كان نوح – عليه السلام– يطمع في خضوع قومه لطاعته فاسم الله –عز وجل– يوّلد فيهم الخوف والَّ رهبة.

وكذلك لفظ الجلالة يحقق ـ هنا– تربية المهابة في نفوس الموحدين؛ لأنَّ علمه يحيط بكل صغيرة وكبيرة ؛ فيرتدع المؤمن ويلتزم بما أمر به.

٢ـ لفظ "رب" وجاء لفظ " رب " في السورة الكريمة خمس مرات، أربع منها جاءت مجردة من الضمائر ومرة واحدة مضافة إلى ضمير المخاطبين، ويدور لفظ الرب حول معاني عدة تختبئ خلف هذا اللفظ، فالرب في اللغة: هو المالك، والشهيد، والسيد، والخالق، والصاحب، والمصلح للشيء[٣٣٥].

فكل معاني لفظ الرب في اللغة صادقة على الله سبحانه وتعالى، فهو المالك لها، والسيد عليها، والمدبر لمصالحها، والقائم بحفظها، والمؤلف بينها، لا يشاركه فيها أحد من خلقه، تعالى(٣٣٦).

وكما جاء لفظ الجلالة مضافًا لضمير المخاطبين في قوله " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا "، وفى وصفه تعالى بالربوبية مبالغة في وجوب الامتثال لأمره، لما في لفظ الرب من التربية التي هي الإنعام والإكرام على ضروب لا حصر لها(٣٣٧).

ولأن لفظ الرب مشعر بالتربية والرحمة والفضل والإحسان فإذا تذكر العبد إنعام الله عليه وإحسانه إليه فعند ذلك يقوى مقام الرجاء، فالرب هو المالك الذي يرب مملوكه أي، يدبر شؤونه، وليتأتى بذكر لفظ " الرب " طريق الإضافة الدالة على أنهم محقوقون بتقواه حق التقوى، والدالة على أن بين الرب والمخاطبين صلة تعد إضاعتها حماقة وضلالا (٣٣٨).

ولما كان المشركون يعتقدون ربوبيتين، ربوبية الله، وربوبية آلهتهم، وكان لفظ الرب يشترك فيه الربوبيتان، على نحو ما كانوا يزعمونه، قال " اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ " أي الرب الحقيقي، الذي خلقكم، فإن ما سواه ليس بخالق فلا يستحق العبادة(٣٣٩).

ولما ئس نوح عليه السلام منهم كرر لفظ " رب " في دعائه عليهم قال تعالى " وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا " فصدر الدعاء عليهم بلفظ الرب وفي هذا مبالغة في الإبتهال والتضرع، فتكرير لفظ الرب وإعادته في كل مرةٍ لتعظيم ما نسبوا إليه(٣٤٠).

ولم يكن أحد من العرب الذين سموا أصنامهم وغيرها من معبوداتهم آلهة، يعتقد أن اللات أو العزى أو هبلا خلق شيئا من العالم أو يدبر أمرًا من أموره، وإنما تدبير أمور العالم يدخل في معنى لفظ الرب، والشواهد على هذا في القرآن كثيرة ناطقة بأنهم كانوا يعتقدون ويقولون: إن خالق السماوات والأرض ومدبر أمورهما هو الله تعالى، وإن

آلهتهم ليس لها من أمر الخلق والتدبير شيء، وإن شركهم لأجل التقرب إليه تعالى، وابتغاء الشفاعة عنده بعبادة ما عبدوه، ولذلك كانوا يقولون في طوافه: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك.

ففي تكرار لفظ الجلالة في السورة دلالات كثيرة تظهر مدى معاناة نوح عليه السلام عند دعوة قومه ولذلك احتاج إلى إعادة ذكر لفظ الجلالة مع كل دليل في حواره عليه السلام مع قومه.

٣- **لفظ "قوم":** تكرر لفظ " قوم " في السورة الكريمة أربع مرات، فجاء مضافًا إلى الضمائر في مواضع ثلاثة من السورة، وجاء مسبوقًا بحرف النداء في موضع واحد، وفي التعبير بهذا اللفظ وتكراره العديد من الدلالات ولابد أن نتأملها ونقف عندها، فهذا اللفظ جديرًا بأن يحرك العاطفة في قلوبهم فتحمل المستعد على الإصغاء لما يقول والتأمل فيه[٣٤١]، والقوم في اللغة تطلق على الشيعة والعشيرة، " وقوم كل رجل: شيعته وعشيرته " [٣٤٢]، فجاء التعبير بلفظ " قوم " مضافاً لضمير نوح عليه السلام في بداية السورة " إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ "، وفيها ما فيها من التشويق لإثارة النفس لمعرفة تفاصيل الأحداث بعد ذلك(٣٤٣)، والمراد بقومه أي الذين كانوا في غاية القوة على القيام بما يحاولونه وهم بصدد أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه ويكرموه لما بينهم من القرب بالنسب واللسان، وكانوا جميع أهل الأرض من الآدميين[٣٤٤]، وأفاد اللفظ أيضًا إلهاب نوح عليه السلام- ليحرص على نجاة قومه من العذاب، فخاطبهم بإظهار الشفقة عليهم وارادة الخير لهم وتطبيبا لهم[٣٤٥]، وكما جاء اللفظ مضافًا إلى ضمير المتكلم في قوله " قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا " والإضافة لضمير نوح عليه السلام لأنه أرسل إليهم فلهم مزيد اختصاص به، ولأنه واحد منهم وهم بين أبناء له وأنسباء، فإضافتهم إلى ضميره تعريف لهم إذ لم يكن لهم اسم خاص من أسماء الأمم الواقعة من بعد فأضافهم إلى نفسه إظهارًا للشفقة عليهم، وفي العدول عن أن يقال له: أنذر الناس إلى قوله: " أنذر قومك "

إلهابا لنفس نوح ليكون شديد الحرص على ما فيه نجاتهم من العذاب، فإن فيهم أبناءه وقرابته وأحبته[٣٤٦]، وكذلك جاء اللفظ مسبوقًا بيا النداء في قوله "قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ " من باب قصد استمالتهم إلى الإيمان وكان نوح عليه السلام حريص أشد الحرص على مراعاة الجوانب النفسية لقومه والتركيز على الجوانب التي تقنع المدعو بصدق الدعوة التي بعث فيها النبي، فجاء التلطف بالنداء بقوله " ياقوم" فهذه العبارة لها مدلولات نفسية واسعة في تقريب الفجوة بين النبي المؤمن وبين المدعو، لما تبدي من التوافق والمحبة والتآخي ولا يخفى ما لهذه العبارات من أثر في نفسية المدعو وجعله قابلًا ومسلمًا لدعوة نبيه[٣٤٧]، وهذا كله يتناسب مع ما في نفوسهم من الإغترار والتكبر والعناد، الذي يجعلهم لا يستجيبون إلا لمؤثرات عنيفة[٣٤٨].

وهكذا يتضح أهمية التكرار لبعض الألفاظ في السورة الكريمة، ودور التكرار في الوقوف على الجوانب النفسية والعاطفية في السورة الكريمة.

الخاتمة

الحمدلله الذى بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على من رسالته خاتمة الرسالات، محمد وآله وصحبه أجمعين. وبعد...

فقد شرف الله اللغة العربية بالقرآن الكريم، إذ نزل على حرفها فقال "وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ" الشعراء ١٩٢– ١٩٥، ولا يزال القرآن يمدنا بأنواع من العلوم، ويفجر لنا كنوز المعرفة، ويحيي عقولنا بإثارة الفكر، ففهم القرآن وتوضيح المعنى الذي تنشده الآيات، وبيان ما تقصده من دلالات لا يتأتي إلا بفهم لغته وبهذا يظهر إعجاز القرآن الكريم في إيجازه، وكيف أن المفردة الواحدة تحتمل أكثر من مدلول وتعدد في المعاني التفسيرية.

هذه السورة قصيرة في عدد آياتها، عظيمة في دروسها وعبراتها، ذلك أنها تعرض خلاصة تجربة دعوية، ربما تكون الأطول عمرًا في تاريخ البشرية، ومن خلال معايشة السورة الكريمة تظهر رحمة الله تعالى بخلقه، ورعايته لبني الإنسان حيث أرسل إليهم الرسل تترى، رغم عناد البشر وإعراضهم، وصدهم عن الحق وضلالهم، بل وكيدهم بالمؤمنين ومكرهم، لكنها سنة الله تعالى في التدافع بين الحق والباطل، والخير والشر، فكما أن للحق دعاته وأنصاره فللباطل سدنته وأعوانه ولكن بعد ذلك كله، فإن من تمام رحمة الله بعباده أن جعل العاقبة للمتقين، والنصر للمؤمنين، قال تعالى "وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ" الروم ٤٧

ويتبين أيضًا أن نوحاَ عليه السلام كان يواجه قومه ويجاهدهم من أجل التوحيد، والدعوة إلى عبادة الله –وحده–، ومحاولة إرجاعهم إلى الفطرة التي خلق الله الخلق عليها وأشهدهم على ذلك، ثم اجتالتهم الشياطين ليشركوا فتفرقوا واختلفوا، وهذا الإنحراف في الفطرة ممتد عبرالعصور كلها، وهو عين ما واجهه نبي الرحمة – صلى الله عليه وسلم– ومَنْ انتهج نهجه واتبع سنته إلى يوم الدين؛ ومن هنا كان حري بالدعاة أن يقتدوا بأنبياء الله وسلكوا سبيلهم، وتظهر الأهمية البالغة للحوار القرآني لما يحويه من الأصول والقواعد والأساليب والآداب وغيرها، وقد اشتملت سورة " نوح " على أنواع متعددة من الحوارات، تميز كل منها بخصائص ومسائل مختلفة عن بعضها.

وأثبتت السورة أن نبي الله نوحًا –عليه السلام– أنموذجٌ يُحتذى للداعية الصابر الصامد الحريص على إنقاذ قومه من الضلال والغواية إلى الهداية والرشاد، من خلال مدة دعوته قومه، وتنوع أساليب الدعوة، التي ختمها بالبشارة ثم المناقشة بالأدلة العقلية والكونية عن طريق لفت الانتباه بقوله " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا "، فالسورة يغلب عليها أسلوب الحوار والمحاجة، واعتمدت الأسلوب البلاغي المعجز الذي أبهر المفسرين والبلاغيين فكتبوا في روعة إعجازه وعددوا في وجوه بلاغته ما استطاعت عقولهم إدراكه ولم يدركوا كل وجوة الإعجاز وروعة البيان.

وكذلك توضح السورة فن التعليل قد انتشر بكثرة في ثنايا آياتها ويعود سبب ذلك إلى كثرة مناقشات نوح عليه السلام، ومجادلاته فكانت هذه التعليلات على أسئلة متوقعة من قومه.

كما تصدرت أساليب التوكيد مطلع السورة الكريمة ولعل من أسباب ذلك هو طبيعة قوم نوح عليه السلام الذين امتازوا بالجفاء والغلظة، والإعراض عن دعوته، لذا أكثر نوح عليه السلام منه علَّهم يستجيبوا له.

ووصل البحث من خلال هذا الجهد المتواضع إلى أن الدراسات القرآنية لاتخلق، لأنها صدى للقرآن العظيم الذى لاتنقضى عجائبه، ولا يخلق على آثرة التكرار، فقد يوفق باحث لكشف النقاب عن أسرار وعجائب لم يسبق إليها.

وكما أظهر أن التكرار الذي يحدث في بعض مشاهد السور القرآنية يؤدي وظيفة حيوية في إبراز جوانب لا يمكن إبرازها على وجه واحد من وجوه الّنظم، وقصة نوح عليه السلام خير مثال على ذلك، فقد وردت في عدة سور قرآنية يظن القارئ السطحي أنها مكررة، ولكن لو أمعنا النظر جيدًا لوجدنا أننا نستطيع تصنيف هذه السور الواردة فيها، إلى مجموعات بحيث تمثل كل مجموعة، مرحلة من مراحل دعوته عليه السلام.

وبعد هذه الرحلة المباركة في رحاب سورة نوح عليه السلام، أتوجه إلى الله تعالى بهذا العمل، وأرجو أن يكون في ميزان حسناتي يوم القيامة، وأعوذ بالله من فتنة القول والعمل، والله أعلى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسّلم.

الهوامش

(١) البلاغة فنونها وأفنانها " علم المعاني " فضل حسن عباس، (ص١٩)، دار الفرقان، الطبعة الأولى- ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٢) حركة المعنى في سورة الفجر: دراسة بلاغية أ.د/ إبراهيم صلاح الهدهد، (ص٧)، مكتبة وهبة الطبعة الثانية-٢٠١٩م.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، (ص: ١٤٢)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة – ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، تاريخ آداب العرب مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، (١٣٥/٢)، دار الكتاب العربي.

(٤) إعجاز القرآن الكريم، فضل عباس حسن وسناء، (ص) ٦٨، د .ط، عمان : دار الفرقان، ١٩٩١م.

(٥) بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ص ٢٧- ٣٦)، تحقيق/ محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام، الطبعة الثانية، مصر، دار المعارف، ١٣٨٦هـ.

(٦) البرهان في علوم القرآن أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، (٢/ ١٧٤/١٧٥) المحقق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

(٧) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، (ص٣٩)، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الخامسة ١٩٩٨م.

(٨) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، (ص: ١٨١)، تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي (المتوفى: ١٣٥هـ)، (١٧٣/٢).

(٩) الدلالة النفسية لألفاظ القرآن الكريم، (ص١٣)، محمد جعفر محيسن العارضي، رسالة دكتوراه جامعة القادسية.

(١٠) دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، (ص٥٤)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ- / ١٩٩٢م، الصورة الأدبية تاريخ ونقد، المؤلف: علي علي صبح، (٦٠/١)، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، بدون رقم طبعة.

(١١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، (٢٣٧/٢٣٥/١)، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣، دار الثقافة، بيروت – لبنان.

(١٢) دلائل الإعجاز للجرجاني، (ص ٥١، ص٤٣).

(١٣) النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ، (ص٨٣)، دار الطباعة المحمدية القاهرة – مصر، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.

(١٤) الدلالة النفسية لألفاظ القرآن الكريم، (ص٢٦)

(١٥) الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية، خالد بن حامد الحازمي، (ص٥٠٨)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى: العدد (١٢١) ، سنة (٣٥) ١٤٢٤هـ.

(١٦) التفسير الواضح الحجازي، محمد محمود، (٣/ ٧٥٣)، دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة – ١٤١٣هـ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير].

(١٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) (٥/ ٣٧٢)، المحقق / عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

(١٨) التفسير الوسيط ا.د/محمد سيد طنطاوي، (١٥/ ١١١)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.

(١٩) أسرار البلاغة القرآنية في سورة تبت يدا أبى لهب د /محمود توفيق) ٣٧/٣٦)، مكتبة وهبة الطبعة: الأولى، ٢٠١٧ .

(٢٠) فتح الرحمن في تفسير القرآن مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٩٢٧ هـ)، (٧/ ١٦٨)، محاسن التأويل للقاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، (٩/ ٣٢٢).

(٢١) التحرير والتنوير، (١٨٦/٢٩، ١٨٥)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٣٧٢)، زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، (٣٤١/٤).

(٢٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، (٢٠/ ٤٢٣)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٢٣) البحر المحيط في التفسيرلأبي حيان، (١٠/ ٢٨٠).

(٢٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي، (١٥/ ٧٥).

(٢٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٤٦١/٢٠ –٤٢٥/٤٦٢–٤٢٤).

[٢٦] تفسير المراغي أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، (٢٩/ ٩١)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ط١ ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.

[٢٧] تفسير مقاتل بن سليمان أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، (٤/٤٤٧)، تحقيق/ عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة الأولى- ١٤٢٣هـ.

[٢٨] المختصر في تفسير القرآن الكريم (١/ ٥٧٠)، تصنيف: جماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٦هـ.

[٢٩] زهرة التفاسير محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، (٧/ ٣٧١١)، دار النشر: دار الفكر العربي.

[٣٠] فقد جاءت قصة نوح – عليه السلام- في ست من سور القرآن الكريم وهي (الأعراف -- هود-- المؤمنون -- الشعراء -- القمر -- نوح)، وكان أكثرها تفصيلا ما جاء في سورة هود.

[٣١] التعبير القرآني والدلالة النفسية، عبد الله محمد الجيوسي، (٤٨٦) ندار الغوثاني دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ- / ٢٠٠٦م.

[٣٢] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، (٢٩/ ١٣٤)، دار الفكر المعاصر – دمش، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

[٣٣] التعبير القرآني والدلالة النفسية، (ص٤٨٦).

[٣٤] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠/ ٤٢٤).

[٣٥] التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله، (١٠/ ٧١)، المحقق: غلام نبي التونسي -- مكتبة الرشدية – الباكستان، ١٤١٢ هـ، " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد " محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى١٣٩٣هـ) (٢٩/ ١٨٦)، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ هـ، التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، (١٢/ ٩٩٣)، دار الفكر العربي، القاهرة

[٣٦] الإرسال في ضوء القرآن الكريم، يسري بنت عبد الفتاح ابو جاسر (ص٥)، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية – غزة، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

[٣٧] معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، (ص: ١٠٣)، المحقق:

الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط١، ١٤١٢هـ.

(٣٨) التفسير الوسيط ا.د/ محمد سيد طنطاوي، (٧/ ٥١٦).

(٣٩) روح البيان إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، (١٠/ ١٧٢)، دار الفكر – بيروت.

(٤٠) تفسير العز بن عبد السلام تفسير القرآن " وهو اختصار لتفسير الماوردي " ، (٣/ ٣٦٥)، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى٦٦٠هـ).

المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون – آخر سورة السجدة محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (المتوفى: ٤٠٦هـ)، (٣/ ٤٩)، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير) عدد الأجزاء: ١، الناشر: جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ – ٢٠٠٩ م، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٠/ ٢٨٦)، تفسير القرآن " وهو اختصار لتفسير الماوردي " أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، (٣/ ٣٦٥)، المحقق/ الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت.

(٤١) من بلاغة القرآن أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)، (١١٢/١)، نهضه مصر – القاهرة، عام النشر: ٢٠٠٥، الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، كود المادة: IUQR3213، (ص: ٣٣٤)، المرحلة: بكالوريوس، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية، تفسير الألوسي = روح المعاني (١٥/ ٧٨).

(٤٢) النظم القرآني في قصة سيدنا نوح عليه السلام " دراسة في الدلالة والأسلوب " رمضان يعقوب شاكر يعقوب (ص٣٣٠)، رسالة ماجستير – جامعة بيرزيت – فلسطين، اشراف د/مهدي عرعر، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

(٤٣) الموسوعة القرآنية إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، (٢/ ٣٦٧)، مؤسسة سجل العرب، الطبعة: ١٤٠٥هـ – ـ، إعجاز القرآن للباقلاني أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ)، (٢٢٧/١)، المحقق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، ط٥ ١٩٩٧م.

(٤٤) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، (١٥/ ١١٩٤).

(٤٥) النظم القرآني في قصة نوح عليه السلام دراسة في الدلالة والأسلوب، رمضان يعقوب شاكر يعقوب، (ص٩١) – جامعة القدس – رسالة ماجستير ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، التحرير والتنوير (٢٩/ ١٩٨).

(٤٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، (٤٤٤/٧)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٤٧) الاعجاز النفسي في القرآن " دراسة تأصيلية " عبد الله على عبد الرحمن أبو السعود، (ص١٨٨)، مشرف الرسالة د/ محمد خازر المجالي– رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية ٢٠٠٥م.

(٤٨) التحرير والتنوير (٢٩/ ١٨٧)، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى ٧١٠هـ)، (٣/ ٥٤١)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له/ محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى –١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.

(٤٩) جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (٢٣/ ٦٢٧)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠ م، الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى نحو ٣٩٥هـ)، (ص٢٤٢)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة القاهرة – مصر، تفسير السمرقندي = بحر العلوم أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، (٣/ ٤٩٩)، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير].

(٥٠) روح البيان إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، (١٠/ ١٧٢)، دار الفكر – بيروت، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير].

(٥١) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي، الدوسري (المتوفى: ١٣٩٢هـ)، (٢/ ٩٢)، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.

[٥٢] الأسئلة والأجوبة في العقيدة صالح بن عبد الرحمن بن عبد الله الأطرم (المتوفى: ١٤٢٨هـ)، (ص: ٥٤)، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

[٥٣] القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، د/ حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي (١/ ١٧٢)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

[٥٤] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠/ ٤٢٧) والأثافي هي: حِجَارَةُ الْقِدْرِ انظر: لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، (٣/ ٥١٨) دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤١٤هـ.

[٥٥] التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، (٣٠/ ٦٤٩)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

[٥٦] زاد المسير في علم التفسير أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، (٤/ ٣٤١).

[٥٧] الأساس في التفسير سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، (١١/ ٦١٥٣)، الناشر دار السلام – القاهرة، الطبعة السادسة – ١٤٢٤هـ.

[٥٨] مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٦٤٩/٦٥٠).

[٥٩] رسالة الاعجاز النفسي في القرآن دراسة تأصيلية عبد الله على الرحمن ابوالسعود، (ص١٨٨).

[٦٠] تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٠٠)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٦٥٠).

[٦١] نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد " دراسة في طريق التفسير الموضوعي "، (ص١٧١)، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم – دمشق، والدار الشامية – بيروت، ط١ ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

[٦٢] النظم القرآني في قصة سيدنا نوح عليه السلام " دراسة في الدلالة والأسلوب " رمضان يعقوب شاكر يعقوب (٣٢٩).

[٦٣] التحرير والتنوير (٢٩/ ١٩٠).

[٦٤] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، (٦١٥/٤)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣ – ١٤٠٧هـ.

(٦٥) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى ١٤٠٣هـ) (١٠/، ٢٢٦، ٢٢٥)، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية (دارالیمامة، دمشق، بيروت) (دار ابن كثير، دمشق، بيروت)، ط٤، ١٤١٥هـ.

(٦٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، (٥/ ٣٧٣).

(٦٧) أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، (١٤/ ٣٣١)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٦٨) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام د/ حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، (١/ ١٧٣).

(٦٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، (١٥/ ٨٠).

(٧٠) الإتقان في علوم القرآن عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، (٣/ ٢١٢)، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، غرائب التفسير وعجائب التأويل محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، (١/ ٤٠٠)، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الأسرار البلاغية لحذف حرف النداء " ياء " وحرفا العطف (الواو، والفاء) في القرآن الكريم نماذج من سور الربع الثاني /عبدالله وايبي، (ص١٦٥) جامعة ورقلة – مجلة الذاكر – تصدر عن مخبر للتراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري – العدد الثاني- يناير ٢٠١٩م.

(٧١) التعبير القرآني، د/ فاضل السامرائي، (ص٥٤)، دار عمار – عمان، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

(٧٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠/ ٤٣٠)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، (١٨/ ٣٠٠)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

(٧٣) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، (١/ ١٧٢).

(٧٤) التفسير الوسيط ا.د/ محمد سيد طنطاوي، (١٥/ ١١٤).

[٧٥] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي (المتوفى١٢٧٠هـ)، (١٥/٨٠).

[٧٦] البحر المحيط أبو حيان (١٠/ ٢٨١، ٢٨٢).

[٧٧] التحرير والتنوير (٢٩/ ١٩٤).

[٧٨] فتح القدير محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، (٥/، ٣٥٧/٣٥٦)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١ – ١٤١٤هـ.

[٧٩] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، (٥٣٨/٢)، المكتبة العلمية – بيروت.

[٨٠] التحرير والتنوير (٢٩/ ١٩٤).

[٨١] الوسيط في تفسير القرآن المجيد أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، (٤/ ٣٥٦)، تحقيق وتعليق/الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د/ أحمد محمد صيرة، د/ أحمد عبد الغني الجمل، د/ عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، تفسير السمرقندي (٣/ ٤٧٨).

[٨٢] الجدول في إعراب القرآن الكريم محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، (٢٩/ ٩٨) دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٤، ١٤١٨ هـ، (٢٠/ ٤٣٢).

[٨٣] نظم الدرر، (٢٠/ ٤٣٢)، والكشاف، (٦١٦/٤).

[٨٤] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠/ ٤٣٢).

[٨٥] الموسوعة القرآنية إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، (٧٣/١٠)، مؤسسة سجل العرب، الطبعة: ١٤٠٥ هـ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٣٦١).

[٨٦] لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، (٣/ ٦٣٥)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر.

[٨٧] التحرير والتنوير (٢٩/ ١٩٦).

[٨٨] رسالة الجدل في القرآن خصائصة ودلالاته جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجا دراسة لغوية دلالية من إعداد الطالب: يوسف عمر لعساكر، (ص٢١٩)، السنة الجامعية : ٢٠٠٤ – ٢٠٠٥ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة الجزائر (بن يوسف بن خده، كلية الآداب واللغات.

[٨٩] التفسير الوسيط ا.د/ محمد سيد طنطاوي (١٥/ ١١٤، ١١٥).

(٩٠) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى ١٤٠٣هـ)، (١/ ٥٢)، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير، دمشق، بيروت)، ط٤، ١٤١٥ هـ

(٩١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان (١٠/ ٢٨١).

(٩٢) تفسير الماوردي، النكت والعيون أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى ٤٥٠هـ)، (٦/ ١٠١) ت/ السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٩٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، (٧/ ١٤٥) ت/ أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩هـ.

(٩٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، (١٠/ ٤٦٩)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

(٩٥) التحرير والتنوير (٢٩/ ١٩٧، ١٩٦).

(٩٦) النظم القرآني في قصة نوح عليه السلام دراسة في الدلالة والأسلوب /رمضان يعقوب شاكر يعقوب، (ص٩١)<

(٩٧) اللباب في علوم الكتاب أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، (١٩/ ٣٨٥)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٣٥٧).

(٩٨) النظم القرآني في قصة نوح عليه السلام دراسة في الدلالة والأسلوب /رمضان يعقوب شاكر يعقوب، (ص٨٥)، التحرير والتنوير (٢٩/ ١٩٨).

(٩٩) التحرير والتنوير (٢٩/ ١٩٨)، النظم القرآني في قصة نوح عليه السلام دراسة في الدلالة والأسلوب، (ص١٤٠).

(١٠٠) فتحُ البيان في مقاصد القرآن أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، (٣٣٥/١٤)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه:

خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، إعراب القرآن وبيانه (١٠/ ٢٢٧).

(١٠١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٣/ ٦٣٣).

(١٠٢) الموسوعة القرآنية إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى ١٤١٤هـ)، (٢/ ٤٠٣)، الزيادة والإحسان في علوم القرآن محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، المعروف كوالده بعقيلة (المتوفى: ١١٥٠ هـ)، (٥/ ١٩٢).

(١٠٣) بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعا وبعث به خاتمهم محمدا عليه السلام عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، (ص: ٥٣).

(١٠٤) البحر المحيط في التفسير أبو حيان (١٠/ ٢٨٢)

(١٠٥) اللباب في علوم الكتاب بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) (١٩/ ٣٨٦)

(١٠٦) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، (٣٠/ ٢٥٤).

(١٠٧) التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٠٠).

(١٠٨) البحر المحيط في التفسير أبو حيان (١٠/ ٢٨٣)، تفسير البغوي – إحياء التراث (٥/ ١٥٦)، جامع البيان للطبري (٦٣٤/٢٣).

(١٠٩) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٩/ ٣٨)

(١١٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لإبن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، (٥/ ٣٧٤).

(١١١) إعراب القرآن وبيانه (١٠/ ٢٣٠).

(١١٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٥/ ٣٧٤)،

(١١٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٦١٨).

(١١٤) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، (١٥/ ١١٩٩).

(١١٥) النظم القرآني في قصة نوح عليه السلام دراسة في الدلالة والأسلوب /رمضان يعقوب شاكر يعقوب، (ص٨٦)، التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٠٣).

(١١٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٦١٨).

(١١٧) التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٠٤).

(١١٨) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠/ ٤٤٢).

(١١٩) البحر المحيط في التفسير أبو حيان (١٠/ ٢٨٣).

(١٢٠) إعراب القرآن وبيانه (١٠/ ٢٢٩).

(١٢١) التعبير القرآني، د/ فاضل السامرائي، (ص٥٤).

(١٢٢) الآيات تناسب في الدرر نظم والسور (٢٠/٤٤٤).

(١٢٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم أ.د/ محمد سيد طنطاوي، (١٥/ ١٢٠).

(١٢٤) التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٠٤).

(١٢٥) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٦٥٤، ٦٥٥).

(١٢٦) التفسير الوسيط ا.د/ محمد سيد طنطاوي (١٥/ ١٢١/١٢٠)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ١٧٣).

(١٢٧) التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، (٦/ ٣١١)، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(١٢٨) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٢٨٤)، التيسير في أحاديث التفسير (٦/ ٣١١).

(١٢٩) تفسير المراغي أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، (٢٩/ ٨٧)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.

(١٣٠) روح المعاني للألوسي، (١٥/ ٨٥)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، (٩/ ٤٠)، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

(١٣١) فتح القدير محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، (٥/ ٣٥٩).

(١٣٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٥٠).

(١٣٣) التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٠٧/ ٢٠٦).

(١٣٤) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٦٥٦/ ٦٥٥).

(١٣٥) معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، (ص: ٢٠٧)، ت/ الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ط١، ١٤١٢هـ، الفروق اللغوية أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، (ص: ٢٦٠) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

(١٣٦) اللباب في علوم الكتاب أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، (١٩/ ٣٩٣).

(١٣٧) إعراب القرآن للأصبهاني إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، (ص: ٤٧٢/٤٧٣)، قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، الناشر: غير معروف (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض)، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(١٣٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٥٠)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٦١٩).

(١٣٩) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، (٩/ ٤٠).

(١٤٠) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣٠/ ٢٦١).

(١٤١) رسالة الجدل في القرآن خصائصة ودلالاته جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجا دراسة لغوية دلالية / يوسف عمر لعساكر، (ص٢٥٩).

(١٤٢) الأسئلة والأجوبة في العقيدة صالح بن عبد الرحمن بن عبد الله الأطرم (المتوفى: ١٤٢٨هـ)، (ص: ٥٤).

(١٤٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣٠/ ٢٦١).

(١٤٤) تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٩/ ٣٢٥).

(١٤٥) جامع البيان الطبري (٢٣/ ٦٤٠).

(١٤٦) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د وهبة بن مصطفى الزحيلي، (٢٩/ ١٤٨)، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢، ١٤١٨، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٦١).

(١٤٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٦٢٠).

(١٤٨) التفسير الوسيط ا.د/ محمد سيد طنطاوي، (١٥/ ١٢٤)، الوجوه والنظائر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، (٣٠١)، تحقيق : محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ- / ٢٠٠٧م.

(١٤٩) التحرير والتنوير (٢٩/ ٢١٣/٢١٠/٢١١).

(١٥٠) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣٠/ ٢٦٤)، البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٢٨٧).

[١٥١] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٦٢٠).

[١٥٢] تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/ ٢٣٦).

[١٥٣] زاد المسير في علم التفسير، (٤/ ٣٤٤).

[١٥٤] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣٠/ ٢٦٥).

[١٥٥] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠/ ٤٥٤).

[١٥٦] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٦٢٠)

[١٥٧] فتح القدير محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، (٥/ ٣٦١)، تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٥٠).

[١٥٨] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠/ ٤٥٦).

[١٥٩] التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) (١٥/ ١٢٠٥).

[١٦٠]التحرير والتنوير (٢٩/ ٢١٥).

[١٦١] الدر المنثور عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، (٨/ ٢٩٥)، دار الفكر – بيروت، تفسير البغوي – إحياء التراث (٥/ ١٥٨).

[١٦٢] تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء أبو الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي المعروف ب– " ابن خمير " (المتوفى: ٦١٤هـ)، (ص: ٨٣)، ت/محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط١ ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

[١٦٣] معالم التنزيل في تفسير القرآن محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى ٥١٠هـ)، (٥/ ١٥٨)، ت/عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ.

[١٦٤] منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام (١/ ١٧٦).

[١٦٥] مختصر تفسير البغوي عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، (٥/ ٦٧٣)، دار السلام للنشر والتوزيع– الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

[١٦٦] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٦٢١)، إعراب القرآن وبيانه (١٠/ ٢٣٤).

[١٦٧] إعراب القرآن وبيانه (١٠/ ٢٣٤).

[١٦٨]محاسن التأويل محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، (٩/ ٣٢٧).

(١٦٩) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي(٣٠/ ٦٦٠).

(١٧٠) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) (١/١٧٥)، ت/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ.

(١٧١) معجم الفروق الدلالية، (٢/٤٦٢).

(١٧٢) المخصص أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، (٤/٣٩٩)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(١٧٣) فتح القدير محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، (٥/ ٣٦١)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣٠/ ٢٦٧)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٦٥٩/٦٦٠)، اللباب في علوم الكتاب (١٩/٤٠٢).

(١٧٤) تفسير القرطبي (١٨/ ٣١٤)، تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى ٧٧٤هـ)، (٨/ ٢٣٧) ت/ سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩ م، والحديث أخرجه الامام مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى ٢٦١هـ) (١/ ٤٥٩)، (باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة)، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(١٧٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠/ ٤٥٩).

(١٧٦) تفسير القرطبي (١٨/ ٣١٤)، اللباب في علوم الكتاب (١٩/ ٤٠٣).

(١٧٧) النظم القرآني في قصة نوح عليه السلام دراسة في الدلالة والأسلوب / رمضان يعقوب شاكر يعقوب، (ص٨٦).

(١٧٨) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى ٢٦١هـ)، (٤/ ٢١٧١)، (باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة).

(١٧٩) درة التنزيل وغرة التأويل أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (المتوفى: ٤٢٠هـ)، (١/١٣٠٥)، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين، الناشر:

جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

(١٨٠) التحرير والتنوير (٢٩/ ٢١١).

(١٨١) سورة نوح دراسة اسلوبية دلالية في مستوى الصوت، علي رضا محمد ضايي (ص٦٣) مجلة كليات اللغات الأجنبية – جامعة أصفهان، ١٤٣٥هـ-ق، ١٣٩٢هـ- ش، العدد رقم ٩.

(١٨٢) الخصائص أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، (١/ ٦٦) الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الرابعة.

(١٨٣) جماليات المفردة القرآنية أحمد ياسوف، (ص: ٢٣٠ /٢٢٤/٢٢٣)، دار المكتبي – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

(١٨٤) تاريخ آداب العرب (٢/ ١٤٣) مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي.

(١٨٥) تاريخ آداب العرب مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، (١٤٣/٢)، دار الكتاب العربي، " ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي".

(١٨٦) النشر في القراءات العشر شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ)، علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ) (١/ ٢٠٢)، المطبعة التجارية الكبرى " تصوير دار الكتاب العلمية " ، معاني القرآن وإعرابه إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، (١/ ٤١٤)، عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط١ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(١٨٧) سورة نوح دراسة أسلوبية دلالية في مستوى الصوت والصرف، علي رضا محمد رضايي (ص٥٦).

(١٨٨) الإقناع في القراءات السبع أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر، المعروف بابن البَاذِش (المتوفى ٥٤٠هـ)، (٦١/١)، دارالصحابة للتراث، الأصوات اللغوية أنيس إبراهيم (ص٢٣) مكتبة نهضة مصر – القاهرة.

(١٨٩) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني المؤلف: محمد محمد أبو موسى (ص٨٠)، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: السابعة.

(١٩٠) الجدل في القرآن خصائصة ودلالاته جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجا دراسة لغوية

دلالية، يوسف عمر لعساكر، (ص٢٥٨)، كلية الآداب واللغات – قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة الجزائر ٢٠٠٤، ٢٠٠٥م.

(١٩١) سورة نوح دراسة أسلوبية دلالية في مستوى الصوت والصرف، علي رضا محمد رضايي، دانش محمدي ركعتي، (ص٥٧، ٥٨)، بحوث في اللغة العربية وآدابها– مجلة عليمة محكمة لكلية اللغات الأجنبية نصف سنوية ـ– جامعة أصفهان – العدد التاسع، خريف وشتاء ١٤٣٤–١٤٣٥هـ. ق/١٣٩٢.هـ. ش).

(١٩٢) التحرير والتنوير (٢٩/ ٢١١)، رسالة الجدل في القرآن خصائصة ودلالاته جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجا دراسة لغوية دلالية، (ص٢٥٨).

(١٩٣) أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية دكتور/صَبَّاح عبيد دراز، (ص٦٩)، مطبعة الامانة – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، أثر المستوى الصوتي في تشكيل الدلالة سورة الحاقة نموذجا نرمين غالب أحمد، (ص٤٥)، مجلة حوليات التراث – العدد ١٦ / ٢٠١٦، جامعة زاخو كردستان، العراق.

(١٩٤) أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية (ص٥٦/٥٨).

(١٩٥) معجم علوم القرآن إبراهيم محمد الجرمي، (ص: ١٣٢)، دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م.

(١٩٦) ظاهرة المد في الأداء القرآني دراسة صوتية للمدة الزمنية للمد العارض للسكون يحيى بن علي المباركي، (ص: ٤٣٦)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة، العدد ١٢٠ – السنة ٣٥–١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، الدلالة النفسية في سورة نوح عليه السلام/ د مروة محمد عبد العظيم، حولية كلية اللغة العربية – جرجا (٦٢٦٣)، حولية كلية اللغة العربية – جرجا، العدد الخامس والعشرونن الجزء السادس،، ١٤٤٢هـ، ٢٠٢١م.

(١٩٧) أثر المسوي الصوتي في تشكيل الدلالة سورة الحاقة نموذجا نرمين غالب أحمد، (ص٤٦).

(١٩٨) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، (ص: ٤٢)، مكتبة الخانجي بالقاهرة، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط٣ ١٤١٧هـ–١٩٩٧م، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، (ص: ١٢٤) دار الفكر العربي، الطبعة الثانية – القاهرة ١٩٩٧، التمهيد في علم التجويد (ص: ٨٧)، علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، د/عبد العزيز علام، (ص ١٢٠)، ط١ ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(١٩٩) موسوعة علوم القرآن عبد القادر محمد منصور، (ص: ١٦٩)، دار القلم العربى – حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

(٢٠٠) الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات (أصل الكتاب رسالة دكتوراة من كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة حلب ٢٠٠٥ م)، (ص: ٨٨)، عبد البديع النيربانى، دار الغوثانى – دمشق، ط١ ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٢٠١) غاية المريد في علم التجويد عطية قابل نصر(ص: ١٤٤/١٤٣)، الناشر: القاهرة، ط٧. مزيدة ومنقحة، الموسوعة القرآنية المتخصصة مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، (١/ ٣٦٩)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، عام النشر: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٢٠٢) منعت الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات(أصل الكتاب رسالة دكتوراة من كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة حلب ٢٠٠٥ م)، (ص ٧٣)، عبد البديع النيربانى، دار الغوثانى، دمشق، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

(٢٠٣) فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد صفوت محمود سالم، (ص: ٤٢)، دار نور المكتبات، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣ م، التمهيد في علم التجويد شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، (ص ٩١)، تحقيق الدكتور/ على حسين البواب، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(٢٠٤) النشر في القراءات العشر شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى ٨٣٣ هـ)، (١/ ٢٠٢)، إبراز المعاني من حرز الأماني أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ)، (ص: ٧٥٢)، الناشر: دار الكتب العلمية.

(٢٠٥) معترك الأقران في إعجاز القرآن عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (١/ ٢٥)، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٣/ ٣٣٤).

(٢٠٦) المدخل إلى علوم القرآن الكريم محمد فاروق النبهان، (ص: ١٢٩)، دار عالم القرآن – حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(٢٠٧) الموسوعة القرآنية إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، (٢/ ٢٧٥)، البرهان في علوم القرآن أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، (١/ ٥٤/٥٣).

(٢٠٨) المحكم والمحيط الأعظم أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، (٨/ ٣٢٩)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٢٠٩) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٣٢)، البرهان في علوم القرآن (١/ ٥٣).

(٢١٠) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى)، (١/ ٢١٨)، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢ م

(٢١١) الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، (١/ ٤٩٦، ٤٩٥)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، عام النشر: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٢١٢) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٥٦).

(٢١٣) البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر (المتوفى ١٤٢٩ هـ)، (ص ١٩٣)، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة، مصر، الطبعة: سنة ٢٠٠٦م.

(٢١٤) النكت في إعجاز القرآن ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (المتوفى ٣٨٤هـ)، (ص: ٩٧)، المحقق: محمد خلف الله د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م، جماليات المفردة القرآنية أحمد ياسوف، (ص: ٣١٠)، دار المكتبى – دمشق، عدد الأجزاء: ١، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي].

(٢١٥) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٣٧).

(٢١٦) جماليات المفردة القرآنية أحمد ياسوف، (ص: ٣٠٩).

(٢١٧) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (١/ ٢٢٥).

(٢١٨) وظيفة الصورة الفنية في القرآن عبد السلام أحمد الراغب، (ص: ٣٩٤)، الناشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١ م

(٢١٩) الإتقان في علوم القرآن عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، (٣/ ٣٣٤)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى بعد ١١٥٨هـ)، (١/ ٩٣٢)، تقديم وإشراف ومراجعة

د. رفيق العجم، تحقيق د/علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية د.عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية د.جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

(٢٢٠) النكت في إعجاز القرآن ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " سلسلة: ذخائر العرب (١٦) "، (ص: ٩٨).

(٢٢١) إعراب القرآن وبيانه (١٠/ ٢٢٢).

(٢٢٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٧٩)، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه عدنان محمد زرزور، (ص: ١٩٢)، دار القلم / دار الشاميه – دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، "ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي " ، من بلاغة القرآن أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)، (ص: ٦٥).

(٢٢٣) تاريخ آداب العرب مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، (٢/١٤٤/ ١٤٣).

(٢٢٤) الفواصل القرآنية – دراسة بلاغية د/ السيد خضر (ص١٠)، قسم اللغة العربية – كلية المعلمين بالرياض.

(٢٢٥) الدلالة النفسية في سورة نوح عليه السلام / د مروة محمد عبد العظيم (ص ٦٢٧٠).

(٢٢٦) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، (ص ١٥٠)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة- ١٤٢٥هـ- / ٢٠٠٥م.

(٢٢٧) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، د.محمد حسن حسن جبل، (١/ ٣٧)، (٤/ ٢٣٤٠)، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى٢٠١٠م.

(٢٢٨) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٥٩).

(٢٢٩) فقة اللغة المقارن، دكتور ابراهيم السامرائي (ص١٢٦)، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

(٢٣٠) الفواصل القرآنية دراسة بلاغية د/ السيد خضر – كلية التربية (١٦٢/٨١)، توزيع مكتبة الإيمان، المنصورة – أمام جامعة الأزهر، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٢٣١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي مصطفى صادق الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، (ص:١٥٠).

[٢٣٢] مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٦٥٢)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٦١٩)، الفواصل القرآنية – دراسة بلاغية (ص١٢٠).

[٢٣٣] سورة نوح دراسة اسلوبية دلالية في مستوى الصوت، علي رضا محمد ضايي (ص٦٣) مجلة كليات اللغات الأجنبية – جامعة اصفهان، ١٤٣٥هـ– ق، ١٣٩٢هـ– ش، العدد رقم ٩.

[٢٣٤] تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، (١٠/ ٤٥)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور نمراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط،١ ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م.

[٢٣٥] معانى القرآن للأخفش أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى ٢١٥هـ)، (٢/٥٥٠) ت/ الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ–١٩٩٠م.

[٢٣٦] الفواصل القرآنية – دراسة بلاغية د/ السيد خضر، (ص١٢٠)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦ هـ)، (٤/ ١٣٦)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ–١٩٩٦م.

[٢٣٧] مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٦٥٥).

[٢٣٨] التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٠٣/ ٢٠٤).

[٢٣٩] الفواصل القرآنية – دراسة بلاغية د/ السيد خضر، (ص١٤٧– ١٤٨).

[٢٤٠] وظيفة الصورة الفنية في القرآن عبد السلام أحمد الراغب (ص٣٩٢).

[٢٤١] الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم – جامعة المدينة (ص: ٤٠٩)، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية، IUQR321.

[٢٤٢] جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ)، (١/ ١٨)، اشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، الناشر: مؤسسة المعارف، بيروت، أرشيف ملتقى أهل الحديث – ٣ (١٣٥/ ٢٦٣) الكتاب، أرشيف ملتقى أهل الحديث – ٣، تم تحميله في: المحرم ١٤٣٢ هـ = ديسمبر ٢٠١٠م، أنشأ (http://baheth.info/all.jsp?term= أنشأ http://baheth.info/all.jsp?term)

[٢٤٣] النظم القرآني في قصة سيدنا نوح عليه السلام " دراسة في الدلالة والأسلوب " رمضان يعقوب شاكر يعقوب (ص٣٣٠).

[٢٤٤] دلائل الإعجاز في علم المعاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، (١/ ٢٣١).

[٢٤٥] التفسير والمفسرون في العصر الحديث – فضل عباس الأستاذ الدكتور فضل حسن عبَّاس، (٣/ ١١٠)، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

[٢٤٦] إعراب القرآن وبيانه محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠هـ)، (١٠/ ٣٩).

[٢٤٧] التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، (١٥/ ١١٩٤).

[٢٤٨] مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٦٤٩).

[٢٤٩] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، (٧/٤٤٤).

[٢٥٠] التحرير والتنوير (٢٩/ ١٨٧).

[٢٥١] رسالة الاعجاز النفسي في القرآن دراسة تأصيلية عبد الله على عبد الله ابوالسعود، (ص١٨٨).

[٢٥٢] التحرير والتنوير (٢٩/ ١٩٣).

[٢٥٣] روح البيان (١٠/ ١٨٠).

[٢٥٤] التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٠٦).

[٢٥٥] البلاغة العربية عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، (١/ ٥٩٥)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

[٢٥٦] علم المعاني عبد العزيز عتيق (المتوفى: ١٣٩٦ هـ)، (١٦٤/١)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩ م، الفصل والوصل في القرآن الكريم منير سلطان (ص: ١٦٥)، الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة: الثانية، شرح مائة المعاني والبيان (١١/ ٥، بترقيم الشاملة آليا).

[٢٥٧] فتح القدير، (٥/٣٥٥).

[٢٥٨] التفسير الوسيط أ.د/محمد سيد طنطاوي، (١٥/ ١٢٢).

[٢٥٩] التعبير القرآني والدلالة النفسية، عبد الله محمد الجيوسي، (٣٣٩).

[٢٦٠] دراسات لأسلوب القرآن الكريم محمد عبد الخالق عضيمة (ت ١٤٠٤ هـ)، (٣/ ٥٠٤)، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة.

[٢٦١] ميزان الأصول في نتائج العقول علاء الدين شمس النظر أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي (المتوفى: ٥٣٩ هـ)، (١/ ٤١٦)، حققه وعلق عليه وينشره لأول مرة الدكتور/ محمد زكي عبد البر، الأستاذ بكلية الشريعة – جامعة قطر، ونائب رئيس محكمة النقض بمصر (سابقا) – مطابع الدوحة الحديثة – قطر الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

[٢٦٢] الفصل والوصل في القرآن الكريم منير سلطان، (ص: ٩٢)، منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة الثانية.

[٢٦٣] الإبهاج في شرح المنهاج ط دبي الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفي سنه ٧٨٥هـ)، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، (١/ ٣٣٨)، دار الكتب العلمية – بيروت، عام النشر: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

[٢٦٤] التحرير والتنوير، (٢٢/ ٢٤).

[٢٦٥] مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٦٤٩).

[٢٦٦] إعراب القرآن وبيانه (١٠/ ٢٢٩).

[٢٦٧] التفسير الوسيط ا.د/ محمد سيد طنطاوي (١٥/ ١١٥/ ١١٨).

[٢٦٨] التعبير القرآني والدلالة النفسية عبد الله محمد الجيوسي، (ص٣٣٨).

[٢٦٩] التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، (١٥/ ١١٦٩).

[٢٧٠] المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد أبو يوسف مدحت بن حسن آل فراج المصري (المتوفى: ١٤٣٥هـ)، (ص: ٢٥٣)، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥ م، الفصل والوصل في القرآن الكريم(١٣١).

[٢٧١] سورة نوح دراسة أسلوبية دلالية (ص٥٧).

[٢٧٢] التفسير الوسيط ا.د/ محمد سيد طنطاوي (١٥/ ١١٤).

[٢٧٣] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، (٣٠/ ٢٥٧).

[٢٧٤] حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، (٨/ ٢٥١)، دار النشر: دار صادر – بيروت.

[٢٧٥] روح البيان (١٠/ ١٧٩).

[٢٧٦] التحرير والتنوير (٢٩/ ٢١٣).

[٢٧٧] معترك الأقران في إعجاز القرآن (٣/ ١٨٥).

[٢٧٨] التحرير والتنوير (٧/ ٣١٧).

[٢٧٩] زهرة التفاسير محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، (١٠/ ٥٣٦٠)، (٧/ ٣٦١٩)، دار النشر: دار الفكر العربي، أعده للشاملة/ أبو إبراهيم حسانين، جزاه الله خيرا، التحرير والتنوير (٧/ ٣١٧).

[٢٨٠] معترك الأقران في إعجاز القرآن (٣/ ١٨٥).

[٢٨١] وظيفة الصورة الفنية في القرآن عبد السلام أحمد الراغب، (ص: ٧٠).

[٢٨٢] زاد المسير في علم التفسير جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، (٤/ ٣٤٢)، تفسير مقاتل بن سليمان أبو الحسن بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، (٤/ ٤٥٠).

[٢٨٣] تفسير الألوسي = روح المعاني (٨/ ٣١٩).

[٢٨٤] بيان المعاني عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ) (٢/ ٣٦٣)، تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، (٤/ ٣٤٥)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

[٢٨٥] إعراب القرآن وبيانه (١٠/ ٢٣٣).

[٢٨٦] أرشيف ملتقى أهل التفسير (ص: ٠)، تم تحميله في: المحرم ١٤٣٢هـ = ديسمبر ٢٠١٠م، رابط الموقع: http: //tafsir.net

[٢٨٧] بيان المعاني عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، (٤/ ٢٦٩)، مطبعة الترقي – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ-١٩٦٥ م، تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ)، (٤/ ٥٣)، جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م.

[٢٨٨] النظم القرآني في قصة سيدنا نوح عليه السلام " دراسة في الدلالة والأسلوب " رمضان يعقوب شاكر يعقوب، (ص٢٦٨).

[٢٨٩] التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، (١٥/ ١٢٩٣).

(٢٩٠) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٥٠).

(٢٩١) التفسير الوسيط ا.د/محمد سيد طنطاوي، (١٥/ ١٢٤).

(٢٩٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٦٢٠).

(٢٩٣) التفسير البسيط أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، (٢٢/ ٢٧٢).

(٢٩٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٦٢٠)، تفسير الألوسي = روح المعاني (١٥/ ٨٨).

(٢٩٥) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٦٥٩).

(٢٩٦) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي (المتوفى: ٨٠٣هـ)، (٤/ ٣٠٠).

(٢٩٧) الدلالة النفسية في سورة نوح (ص ٦٢٧٨).

(٢٩٨) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٢٨٢).

(٢٩٩) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٦١٦)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير(٣٠/ ٦٥١).

(٣٠٠) التفسير الوسيط ا.د/محمد سيد طنطاوي، (١٥/ ١١٥).

(٣٠١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب (١٥/ ١١٩٧).

(٣٠٢) التحرير والتنوير (٢٩/ ١٩٦/ ١٩٧).

(٣٠٣) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، (٤/ ٣٢٨).

(٣٠٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠/ ٤٣٥).

(٣٠٥) الأساس في التفسير سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ) (١١/ ٦١٥٤).

(٣٠٦) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي شهاب الدين الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، (٨/ ٢٥١).

(٣٠٧) روح المعاني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، (١٥/ ٨٤)، حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي شهاب الدين الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، (٨/ ٢٥١).

(٣٠٨) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٦٥٥).

(٣٠٩) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٤٩)، روح البيان إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، (١٠/ ١٧٩).

(٣١٠) تأويل مشكل القرآن أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، (ص: ١٤٩)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم محمد بن علي الفاروقي الحنفي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، (١/ ٥٠٢).

[٣١١] زاد المسير في علم التفسير جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، (٤/ ٢٠٨).

[٣١٢] تفسير المنار محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، (٩/ ٩٨)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م، الموسوعة القرآنية إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، (٢/ ٢٣٦)، إعراب القرآن وبيانه (٧/ ١٣٠).

[٣١٣] النظم القرآني في قصة سيدنا نوح عليه السلام " دراسة في الدلالة والأسلوب " رمضان يعقوب شاكر يعقوب (ص٣٣٠).

[٣١٤] النظم القرآني في قصة سيدنا نوح عليه السلام " دراسة في الدلالة والأسلوب " رمضان يعقوب شاكر يعقوب، (ص٢٦١).

[٣١٥] فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤هـ)، (١١/ ٤١٧)، ت/ إياد محمد الغوج، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣ م، تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٣٣٤).

[٣١٦] التحرير والتنوير (١٨٧/٢٩ /١٩٣).

[٣١٧] روح البيان (١٠/ ١٧٤)، التحرير والتنوير (٢٩/ ١٩٣).

[٣١٨] التفسير المنير للزحيلي د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، (٢٩/ ١٥٢)، تفسير القرطبي (٣٠٦/١٨).

[٣١٩] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (١٥/ ٨٥)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود العمادي، (٩/ ٤٠).

[٣٢٠] التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٠٦).

[٣٢١] البحر المحيط في التفسير أبو حيان أثير الدين الأندلسي، (المتوفى: ٧٤٥هـ)، (١٠/ ٢٨٥).

[٣٢٢] التفسير الوسيط أ.د/ محمد سيد طنطاوي (١٥/ ١٢٥).

[٣٢٣] التحرير والتنوير (٢٩/ ٢١٣).

[٣٢٤] التحرير والتنوير (٢٩/ ٢١٣).

[٣٢٥] الصيغ الصرفية في سورة نوح عليه السلام " دراسة دلالية " د سلوان علي حسين الحديثي، (ص٣٤١)، كلية الامام الأعظم – قسم اللغة العربية.

(٣٢٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٧/ ٤٢٧).

(٣٢٧) تفسير الألوسي = روح المعاني (١٥/ ٨٢)، (٦/ ٢٤٥).

(٣٢٨) النظم القرآني في قصة سيدنا نوح عليه السلام " دراسة في الدلالة والأسلوب " رمضان يعقوب شاكر يعقوب، (ص، ٢٨٨/٢٦٤).

(٣٢٩) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، (١/ ١٧)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٣٣٠) التعبير القرآني، د/ فاضل السامرائي، (ص٥٤)، دار عمار – عمان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

(٣٣١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم أ.د /محمد سيد طنطاوي، (١٥/ ١٢٠).

(٣٣٢) روح البيان (١٠/ ١٧٩).

(٣٣٣) محاسن التأويل محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، (٤٧٥/٧)، التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، (٤/ ٣٩٧)، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(٣٣٤) نظم الدرر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، (٣ / ٤٦٦).

(٣٣٥) مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، (٣٨١/٢)، " ر ب " ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م – تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، (١٣٠/١) " ر ب ب " ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤ ١٤٠٧هـ- /١٩٨٧م.

(٣٣٦) منهج الإمام جمال الدين السُّرَّمَرِّي في تقرير العقيدة (مطبوع مع: تحقيق ودراسة كتابه «خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام " خالد بن منصور المطلق، (ص ١٢٦)، إشراف أ.د. علي بن محمد الدخيل الله السويلم، الأستاذ في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، أصل الكتاب رسالة ماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١ ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

(٣٣٧) تفسير المراغي أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، (٢٨/ ١٣٦).

(٣٣٨) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي المعروف بالخازن (المتوفى ٧٤١هـ)، (٢/ ٢٨٧)، التحرير والتنوير (٤/ ٢١٥).

(٣٣٩) تفسير ابن بدران = جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار (ص: ٩٤)، عبد القادر بن أحمد بدران، المحقق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩١م.

(٣٤٠) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (١٩/ ١٩٤)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (١١/ ٣٤٢)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، ت/ إياد محمد الغوج، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

(٣٤١) تفسير المنار محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، (٩/ ٩٨)، (٨/ ١٠٣).

(٣٤٢) العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، (٥/٢٣١)، (ق و م)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار الهلال.

(٣٤٣) التعبير القرآني والدلالة النفسية، (ص٤٨٦).

(٣٤٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠/ ٤٢٤)

(٣٤٥) روح البيان (١٠/ ١٧٢).

(٣٤٦) التحرير والتنوير (٢٩/ ١٨٧)، تفسير النسفي، (٣/ ٥٤١).

(٣٤٧) رسالة الاعجاز النفسي في القرآن دراسة تأصيلية عبد الله على عبد الله ابوالسعود، (ص١٨٨).

(٣٤٨) جامع البيان في تأويل القرآن (٢٣/ ٦٢٧)، الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ص٢٤٢)، تفسير السمرقندي (٣/ ٤٩٩).

المراجع والمصادر

القرآن الكريم جل من أنزله

١- تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ)، جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م.

٢- تفسير ابن بدران = جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار، عبد القادر بن أحمد بدران، المحقق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩١م.

٣- تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون – آخر سورة السجدة محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (المتوفى: ٤٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير) عدد الأجزاء: ١، الناشر جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣، – ٢٠٠٩م.

٤- تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور نمراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١ ١٤٢٢،هـ-٢٠٠٢م.

٥- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٦- تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٧- تفسير السمرقندي، بحر العلوم أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (المتوفى ٣٧٣هـ) وترقيمه موافق للمطبوع، ضمن خدمة مقارنة التفاسير.

٨- تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٩- تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي) أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت.

١٠- تفسير العز بن عبد السلام تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق/ الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت.

١١- درة التنزيل وغرة التأويل أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (المتوفى: ٤٢٠هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين، الناشر: جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٢- زاد المسير في علم التفسير جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى- ١٤٢٢هـ.

١٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

١٤- روح البيان إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، دار الفكر – بيروت.

١٥- زهرة التفاسير محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، أعده للشاملة/ أبو إبراهيم حسانين.

١٦- فتح الرحمن في تفسير القرآن مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٩٢٧ هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإِسلامِيّة – إدَارَةُ الشُؤُونِ الإِسلاَمِيّةِ) نط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٧- فتح القدير محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى- ١٤١٤هـ.

١٨- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، ت/ إياد محمد الغوج، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

١٩- تفسير المنار محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

٢٠- تفسير الماوردي = النكت والعيون أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

٢١- تفسير المراغي أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.

٢٢- تفسير مقاتل بن سليمان أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، تحقيق عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٣هـ.

٢٣- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٤- الأساس في التفسير سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، الناشر دار السلام - القاهرة، ط٦، ١٤٢٤هـ.

٢٥- التفسير البسيط : أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه نعمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١ ١٤٣٠هـ.

٢٦- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبدالله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، الطبعة: ١٤١٩هـ.

٢٧- البحر المحيط في التفسير أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

٢٨- التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٢٩- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية – تونس ١٩٨٤هـ.

٣٠- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

٣١- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

٣٢- الدر المنثور عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر – بيروت.

٣٣- التفسير والمفسرون في العصر الحديث، الأستاذ الدكتور فضل حسن عبَّاس، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦ م.

٣٤- التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة.

٣٥- التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٦- القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٣٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣ – ١٤٠٧هـ.

٣٨- التفسير الواضح الحجازي، محمد محمود، دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة – ١٤١٣هـ، " وترقيمه موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير "

٣٩- التفسير الوسيط أ.د/ محمد سيد طنطاوي،، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة الأولى.

٤٠- المختصر في تفسير القرآن الكريم، تصنيف: جماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة: الثالثة، ١٤٣٦هـ.

٤١- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر– دمشق الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

٤٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق / عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت ـ– الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

٤٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٤٤.- محاسن التأويل محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٨هـ.

٤٥- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

٤٦- مختصر تفسير البغوي عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

٤٧- اللباب في علوم الكتاب أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط١، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.

٤٨- لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، ت/: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر.

٤٩- التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله، المحقق: غلام نبي التونسي - مكتبة الرشدية - الباكستان، الطبعة: ١٤١٢هـ.

٥٠- جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٥١- غرائب التفسير وعجائب التأويل محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.

٥٢- الوسيط في تفسير القرآن المجيد أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٥٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت

٥٤- أرشيف ملتقى أهل التفسير، تم تحميله في: المحرم ١٤٣٢هـ- = ديسمبر ٢٠١٠ م، رابط الموقع: http: //tafsir.net.

٥٥- أرشيف ملتقى أهل الحديث - ٣، تم تحميله في: المحرم ١٤٣٢هـ- = ديسمبر ٢٠١٠ م، http: //baheth.info/all.jsp?term= أنشأ (http: //baheth.info/all.jsp?term= أنشأ).

٥٦- أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية دكتور/صَبَّاح عبيد دراز، مطبعة الامانة - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٥٧- أثر المستوى الصوتي في تشكيل الدلالة سورة الحاقة نموذجا نرمين غالب أحمد، مجلة حوليات التراث - العدد ١٦ / ٢٠١٦، جامعة زاخو كردستان، العراق

٥٨- أسرار البلاغة القرآنية في سورة تبت يدا أبى لهب د /محمود توفيق، مكتبة وهبة الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

٥٩- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٦٠- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة – ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
٦١- إعجاز القرآن للباقلاني أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ)، المحقق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، ط٥ ١٩٩٧م.
٦٢- إعجاز القرآن الكريم، فضل عباس حسن وسناء، د .ط، عمان: دار الفرقان، ١٩٩١م.
٦٣- إبراز المعاني من حرز الأماني أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.
٦٤- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة – ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٥م.
٦٥- إعراب القرآن وبيانه محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، (دار اليمامة، دمشق، بيروت) (دار ابن كثير، دمشق، بيروت)، ط٤، ١٤١٥هـ.
٦٦- إعراب القرآن للأصبهاني إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، الناشر: غير معروف (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض)، ط١، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.
٦٧- الأسرار البلاغية لحذف حرف النداء " ياء " وحرفا العطف (الواو، والفاء) في القرآن الكريم نماذج من سور الربع الثاني /عبدالله وايبي، جامعة ورقلة – مجلة الذاكر – تصدر عن مخبر للتراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري – العدد الثاني – يناير ٢٠١٩م.
٦٨- الأسئلة والأجوبة في العقيدة صالح بن عبد الرحمن بن عبد الله الأطرم (المتوفى: ١٤٢٨هـ)، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ
٦٩- الإتقان في علوم القرآن عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
٧٠- الإرسال في ضوء القرآن الكريم، يسري بنت عبد الفتاح ابو جاسر (ص٥)، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية – غزة، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٧١- الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، كود المادة: IUQR3213، المرحلة: بكالوريوس، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.
٧٢- الاعجاز النفسي في القرآن "دراسة تأصيلية" عبد الله على عبد الرحمن أبوالسعود، مشرف الرسالة د/محمد خازر المجالي- رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية ٢٠٠٥م.
٧٣- الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية، خالد بن حامد الحازمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى - العدد (١٢١)، سنة ١٤٢٤هـ.
٧٤- الإبهاج في شرح المنهاج ط دبي الإبهاج في شرح المنهاج ((منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفي سنه ٧٨٥هـ)، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، دار الكتب العلمية -بيروت، عام النشر: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٧٥- البرهان في علوم القرآن أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ-١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
٧٦- بيان المعاني عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقي - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨هـ-١٩٦٥م.
٧٧- بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، تحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام، الطبعة الثانية .- مصر: دار المعارف، ١٣٨٦م
٧٨- بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعا وبعث به خاتمهم محمدا عليه السلام عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، رئاسة إدارة البحوث العلمية
٧٩- البلاغة فنونها وأفنانها " علم المعاني " فضل حسن عباس، دار الفرقان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٨٠- البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر (المتوفى ١٤٢٩ هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة، مصر، الطبعة: سنة ٢٠٠٦م.
٨١- البلاغة العربية عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦م.

٨٢- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار الهلال.
٨٣- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣هـ)، ت/ إياد محمد الغوج، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.
٨٤- فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد صفوت محمود سالم، دار نور المكتبات، جدة، المملكة العربية السعودية الطبعة الثانية، ١٤٢ هـ، ٢٠٠٣م.
٨٥- فتحُ البيان في مقاصد القرآن أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٨٦- الفصل والوصل في القرآن الكريم منير سلطان، منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة الثانية.
٨٧- الفواصل القرينية دراسة بلاغية د/ السيد خضر – كلية التربية، توزيع مكتبة الإيمان، المنصورة – أمام جامعة الأزهر، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٨٨- التمهيد في علم التجويد شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) ت/ الدكتور على حسين البواب ط١ ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م.
٨٩- ظاهرة المد في الأداء القرآني دراسة صوتية للمدة الزمنية للمد العارض للسكون يحيى بن علي المباركي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة نالطبعة، العدد ١٢٠ – السنة ٣٥ – ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٩٠- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦ هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٩١- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، ط ٢- القاهرة ١٩٩٧م.
٩٢- علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، د/عبد العزيز علام، ط١ ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٩٣- حركة المعنى في سورة الفجر: دراسة بلاغية ا.د /ابراهيم صلاح الهدهد، مكتبة وهبة – الطبعة الثانية ٢٠١٩م.

٩٤- حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي،(المتوفى: ١٠٦٩هـ)، دار النشر: دار صادر – بيروت
٩٥- جماليات المفردة القرآنية أحمد ياسوف، دار المكتبى، دمشق، عدد الأجزاء ١، ط٢، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩م، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي.
٩٦- الخصائص أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، لهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الرابعة.
٩٧- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني المؤلف: محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة: السابعة.
٩٨- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى)، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
٩٩- غاية المريد في علم التجويد عطية قابل نصر، الناشر: القاهرة، الطبعة السابعة مزيدة ومنقحة.
١٠٠- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العربأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ)، أشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت.
١٠١- الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات (أصل الكتاب رسالة دكتوراة من كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة حلب ٢٠٠٥ م)، عبد البديع النيرباني، دار الغوثانى – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٠٢- الجدل في القرآن خصائصة ودلالاته جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجا دراسة لغوية دلالية، يوسف عمر لعساكر، كلية الآداب واللغات -- قسم اللغة العربية وآدابها -- جامعة الجزائر ٢٠٠٤، ٢٠٠٥م.
١٠٣- الجدول في إعراب القرآن الكريم محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، (٢٩/ ٩٨) دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٤، ١٤١٨هـ.
١٠٤- التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي، الدوسري (المتوفى: ١٣٩٢هـ)،، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٣هـ.
١٠٥- تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى ٣٩٣هـ) ت/أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤ ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
١٠٦- التعبير القرآني والدلالة النفسية، عبد الله محمد الجيوسي، ندار الغوثاني دمشق، الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ- / ٢٠٠٦م.
١٠٧- التعبير القرآني، د/ فاضل السامرائي، دار عمار - عمان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
١٠٨- التمهيد في علم التجويد شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى ٨٣٣هـ)، ت/د على حسين البواب، ط١ ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م.
١٠٩- تأويل مشكل القرآن أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
١١٠- تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء أبو الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي المعروف ب- «ابن خمير» (المتوفى: ٦١٤هـ)، المحقق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
١١١- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣، دار الثقافة، بيروت - لبنان.
١١٢- تاريخ آداب العرب مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي.
١١٣- دراسات لأسلوب القرآن الكريم محمد عبد الخالق عضيمة (ت ١٤٠٤ هـ)، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة،
١١٤- دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة- دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ- / ١٩٩٢م.
١١٥- الدلالة النفسية لألفاظ القرآن الكريم، محمد جعفر محيسن العارضي، رسالة دكتوراه جامعة القادسية.
١١٦- الدلالة النفسية في سورة نوح عليه السلام، د. مروة محمد عبد العظيم، حولية كلية اللغة العربية- جرجا، حولية كلية اللغة العربية - جرجا، العدد الخامس والعشرونن الجزء السادس، ١٤٤٢هـ، ٢٠٢١م.
١١٧- رسالة الجدل في القرآن خصائصة ودلالاته جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجا دراسة لغوية دلالية من إعداد الطالب: يوسف عمر لعساكر، السنة الجامعية : ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة الجزائر، بن يوسف بن خده، كلية الآداب واللغات.

١١٨- الزيادة والإحسان في علوم القرآن محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة (المتوفى: ١١٥٠ هـ)، المحقق: أصل هذا الكتاب مجموعة رسائل جامعية ماجستير للباحثين: محمد صفاء حقي، وفهد علي العندس، وإبراهيم محمد المحمود.
١١٩- سورة نوح دراسة اسلوبية دلالية في مستوى الصوت، علي رضا محمد ضايي، مجلة كليات اللغات الأجنبية، جامعة أصفهان، ١٤٣٥هـ- ق، ١٣٩٢هـ- ش، العدد رقم ٩.
١٢٠- شرح مائة المعاني والبيان، بترقيم الشاملة آليا).
١٢١- الصيغ الصرفية في سورة نوح عليه السلام " دراسة دلالية " د سلوان علي حسين الحديثي، كلية الامام الأعظم – قسم اللغة العربية.
١٢٢- الصورة الأدبية تاريخ ونقد، المؤلف/ علي علي صبح، الناشر/ دار إحياء الكتب العربية، بدون رقم طبعة.
١٢٣- علم المعاني عبد العزيز عتيق (المتوفى ١٣٩٦ هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
١٢٤- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة الخامسة ١٩٩٨م.
١٢٥- الفروق اللغوية أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
١٢٦- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة د/رفيق العجم، ت: د/علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية د.عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية د/جورج زيناني، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
١٢٧- المحكم والمحيط الأعظم أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، ت/عبد الحميد هنداوي، دارالكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
١٢٨- المخصص/أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، ت/ خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
١٢٩- المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد أبو يوسف مدحت بن حسن آل فراج المصري (المتوفى: ١٤٣٥هـ)، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٣٠- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه/ عدنان محمد زرزور، دار القلم/دار الشاميه، دمشق /بيروت ط٢/ ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م " وترقيمه موافق للمطبوع مذيل بالحواشي " .
١٣١- المدخل إلى علوم القرآن الكريم محمد فاروق النبهان، دار عالم القرآن – حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
١٣٢ – المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي المؤلف: رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
١٣٣- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ).، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٣٤- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت.
١٣٥- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، د.محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
١٣٦- معجم علوم القرآن إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم – دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
١٣٧- معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ب- «قم»، ط١، ١٤١٢هـ،)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة القاهرة – مصر.
١٣٨- مجموعة رسائل جامعية ماجستير للأساتذة الباحثين: (محمد صفاء حقي، وفهد علي العندس، وإبراهيم محمد المحمود، ومصلح عبد الكريم السامدي، خالد عبد الكريم اللاحم)، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، ط١، ١٤٢٧هـ.
١٣٩- معترك الأقران في إعجاز القرآن عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨م.
١٤٠- معانى القرآن للأخفش أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى ٢١٥هـ)، ت/ الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١ ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
١٤١- معاني القرآن وإعرابه إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٤٢- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، ت/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ.

١٤٣- مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

١٤٤- من بلاغة القرآن أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)، نهضه مصر – القاهرة، عام النشر: ٢٠٠٥.

١٤٥- منعت الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات(أصل الكتاب رسالة دكتوراة من كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة حلب ٢٠٠٥ م)، عبد البديع النيرباني، دار الغوثانى – دمشق، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

١٤٦- منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام د/ حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

١٤٧- منهج الإمام جمال الدين السُّرَمَرِّي في تقرير العقيدة (مطبوع مع: تحقيق ودراسة كتابه «خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب على جميع الأنبياء عليهم السلام " خالد بن منصور المطلق، إشراف أ.د. علي بن محمد الدخيل الله السويلم، الأستاذ في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، أصل الكتاب رسالة ماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١ ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

١٤٨- الموسوعة القرآنية إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، مؤسسة سجل العرب، الطبعة: ١٤٠٥هـ.

١٤٩- موسوعة علوم القرآن عبد القادر محمد منصور، دار القلم العربى – حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

١٥٠- الموسوعة القرآنية إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، مؤسسة سجل العرب، الطبعة: ١٤٠٥هـ.

١٥١- الموسوعة القرآنية المتخصصة مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر عام، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢م.

١٥٢- ميزان الأصول في نتائج العقول علاء الدين شمس النظر أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي (المتوفى: ٥٣٩ هـ) حققه وعلق عليه وينشره لأول مرة: الدكتور محمد زكي عبد البر، الأستاذ بكلية الشريعة – جامعة قطر، ونائب رئيس محكمة النقض بمصر (سابقا) مطابع الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٥٣- نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد " دراسة في طريق التفسير الموضوعي "، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم – دمشق، والدار الشامية – بيروت، ط١ ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٥٤- النظم القرآني في قصة سيدنا نوح عليه السلام " دراسة في الدلالة والأسلوب " رمضان يعقوب شاكر يعقوب، رسالة ماجستير – جامعة بيرزيت – فلسطين، إشراف د/ مهدي عرعر، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

١٥٥- النشر في القراءات العشر شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ)، علي محمد الضباع. (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، المطبعة التجارية الكبرى " تصوير دار الكتاب العلمية ".

١٥٦- النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ، دار الطباعة المحمدية القاهرة، مصر، الطبعة الأولى١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.

١٥٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى٨٨٥هـ) دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

١٥٨- النكت في إعجاز القرآن ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (المتوفى ٣٨٤هـ)، المحقق: محمد خلف الله د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م.

١٥٩- وظيفة الصورة الفنية في القرآن عبد السلام أحمد الراغب، الناشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ١ " ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي ".

١٦٠- الوجوه والنظائر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق / محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ- / ٢٠٠٧م.